صبح ابراهيم
د. احمد سعود الخشاب
المولدة والقديرة
٢٠/٦/١٩٨١

من منشورات المركز الثقافي الاجتماعي جامعة الموصل

انسان الزمن الجديد

رواية

الدكتور عمر محمد الطالب

١٤٠١هـ — ١٩٨١ م

DR. F. SALLOUM
ARABIC STUDIES

مقدمـــة

في زمن القهر الذي حاصر الانسان العربي ، زمن النكسة ، ولد القسم الأول من روايتي هذه . وفي زمن محاولة اغتيال الثورة الفلسطينية ولد القسم الثاني منها : في القسم الأول بحث اليائس عن الخلاص من قهر النكسة . وفي القسم الثاني ضياع الانسان العربي المحاصر باطواق الاستلاب . ومحاولته كسر كل اطواق الفساد والخذلان . والانطلاق لايجاد الطريق ، طريق النضال من اجل الأرض والوطن ، طريق الثورة العظيمة .

لقد كان اليأس والضياع كبيرين في نفس الانسان العربي فولدا الذكرى والحلم والهروب من الواقع ، فجاء الخيال سلم الذكرى إلى الماضي واشعاع الحلم إلى الآتي ، وفي الذكرى والحلم تنشد اللغة شاعريتها ، ويتجزأ الواقع ليركب من جديد ، فجمع الاسلوب البنائي للرواية بين الواقع والخيال ، بين اليأس والأمل بين الضياع والوجود : بين الفساد والثورة عليه .

وعند ما يتوقد الصراع وتنشطر وتتوحد التجربة الشعورية افكاراً واحلاماً وذكريات يتعطش القلم إلى الشعر وينساب شاعرية وماهو اقرب إلى الشعر ، وقد احتفظت الذاكرة بالعديد من المقطعات والكلمات والجمل الشعرية عبر قراءة طويلة للشعر فاختزنت الالفاظ والعبارات واختفت الاسماء من الذاكرة ، فانسابت على اليراع تثبت وجودها ومقاومتها لنسيان الزمن :

إلى الذين اجتازوا ضياعهم وقهروا يأسهم اهدي روايتي هذه :

القسم الأول

انسان الزمن الجديد

الفصل الأول

الوصول واستمرارية الرحيل

- ١ -

أميرة

ينابيع الحياة الحقة مهدده بالجفاف ، . أشواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقاً للوحشة التي تذبل فيها معاني الاشياء.. أحس في نفسي فراغاً يتمدد، يثقل على صدري.. نظرت إلى نفسي بانكار ،: إنما أنظر إلى شيء لا يمت إليّ بصلة ،. قذفت بنفسي إلى الأرض: أبكي، أذيب هذا الألم الناهش الذي يتولد أبداً، لكي أبكي ابداً، لكي أتقيأ كل هذه المرارة التي لا تطاق.. متى تنتهي كل هذه المعاناة، هذا الألم الذي يعيش من غذاء حياتي ذاتها ؟! كيف؟ كيف أنتهي ؟ ! ؛

لا استطيع أن اتخلص من هذا التملك العذب الموجع الذي يأسر حياتي كلها في قبضتي.. لا أستطيع ان أفعل شيئاً، إنني أحبه حباً عميقاً يملأ شعاب نفسي جميعاً كبحر فائض من حنان، كرم، هبة، تملك: لم أعرف أن ثمار الحب بلا أشجار، بعض الاحلام المضطربة قد تصبح ناراً ملتهبة، تقتات بلحم أيدينا ، تعيش على أجسادنا، تمتد إلى الرقبة، إلى الرأس، لتتركه مجنوناً، ليعمق الشعور، ليجفّ الملح، ليتقيأ البحر ماءه.، القاع أصبح مجوفاً، الحزن فيه اكتهل: أنا أرثي لنفسي، إنه زمن الأحزان ، زمن الأزمان ، بحثت طوال حياتي عن حب خالص، عن إنسان أعطيه كل قلبي، يعطيني كل حياته، أردت أن أنسى العالم ، أن يكون قد تجمع لي في إنسان واحد، فيه كلّ فضيلة العالم، كلّ جماله، كلّ خصوبته ، من خلال العالم — إنساني — أردت أن أحب الجميع ، أخلص للجميع :، لمجتمعي، لوطني، للعالم. في حياتي أشياء مضحكة جداً، ينبغي لي أن أضحك منها أو أموت: جميل أن يموت الانسان وهو يضحك! أليس الضحك المميت أحد أشكال الموت العظيمة؟! ؛ عيناي مرآة تحطمت فيها صورة حزنها، تلمح الشقاء القريب من

عبد، إنتحر (هادي) ، هرب من حياته بطريقة لم يتوقعها أحد ::
إذا سألت من هو : أجبتك بأنهُ أخي

تجيبك أمي : إنه أبي ::

يجيبك (شريف) : هو استاذي :: استاذي الذي لم أحب فيه غير وجهه المجزأ إلى ألف وجه.. هل رأيته منهمكا في صنع اللعب؟ اقول لك : ستضحك :: تبكي:: تستيقظ .. تنام .. تضجر .. تبتهج.. تيأس.. تأمل:: تموت:: تحيا.هذا ما حدث لي ذات ضحى في الشهر العشرين عبر الزمن اللامعقول الذي عشته معه، عندما كان يصنع لعبة لم أفهم منها غير وجهه الذي تساقط عبر الخشب والورق إلى ألف وجه.

• • •

(اسمي (ثامر) : (هادي) صديقي .. لاأصدق أنه انتحر ، قد يكون رحل بعيداً :: إنه يعشق السندباد ، يتمنى أن يقطع المحيطات ، يعبر الجزر ، يتساق الجبال ، طالما ردّد : حين نكون على الطريق عندها نعرف المخاطر ، وبعد أن نرقى جبلاً واحداً يظهر لنا جبل آخر ، لكننا حين نبلغ القمم نرى آلاف الأميال بنظرة واحدة) : هل عرفته (ثامرٌ) هذا العلقة التي تمتلىء من دماء غيرها . أحب (هادي) بقدر ماكان يحب الدماء التي تملؤه حياة :

الانسان الذي أحبه رحل بعيداً ، نبيلاً كان اسمه ، قتله هادي ،.. انه ينتقم لنفسه من شخص شريف .. لاأفهم لماذا ينتقم مني ؟.. ألأنني أخته ؟! :

إنني أصيح بأعلى صوتي مارددته المآذن :: المنابر .. منصات القضاء :: مقابض السيوف عبر لمسات التاريخ المشرقة : ولا تزر وازرة وزر أخرى :

(– نبيل أنا ، صحيح أنني رحلت من زمن بعيد :: هادي دنياي كلها عندما فقدت دنياي .. فقدته :: رحلت بعيداً .. كنت أريد أن أرحل :: كان لابد من رحيلي لأحيا فيه :: إنني مازلت أحيا فيه :: رحل هو الآخر ، رحل هو الآخر ، هكذا يقولون لم ألقه بعد – أو في حكم الراحل :: تجسدتُ في شريف لأكون دنياه، كما كان دنياي ، فقدت دنياي ، ففقدته .. لاأريد أن يفقد دنياه كي لايفقدني: أسألكم ماحكاية شريف ؟! لم ألاقه بعد :: هل يشبهني حقاً .. ؟!):

– ٢ –

هادي

ماهذه الضجة ؟ أعرفكم بنفسي هادي أنا .. واحد من البلهاء .. عنترة المهزوم أمام غنيج عبلة .. اسكندر مكسور القرنين .. نوح من غير سفينة : يقول عني السذج : نال كل شيء .. الحياة .. نال أكثر مما يستحق ، انني أتنازل عن كل ماعندي مقابل غبائكم .. بلاهتكم .. أردت دائماً أن أحيا كما تحيون : أعلف أتكاثر .. أصبت .. أتكاسل .. أدفع الحيوانات الاخرى للعمل ، فإذا ماتوانت ناطحتها . لكنني حاربت بسيف عنترة ، ناطحت بقرني الاسكندر .. انقذت الكون بسفينة نوح .. عندما تقرّح جسدي من كثرة الطعن .. حملت جلد أيوب .. صبرت على كل الأخطاء .. الأخطاء التي قيلت لم .. لن تقال فعلت .. لم تفعل . لم تتحمل حيوانات الغابة صبري .. حملتني إلى الصليب .. صفعتني على خدي .. رفضت أن أجيب الأسئلة التي وجهها إليّ قوم موسى ، صحت بهم : إنكم لن تستطيعوا معي صبراً .. أنزلوني اليم ، أعطوني سفينة نوح بعد أن ثقبوها .. صارعت الموت ، إنها أشد منازلة خضتها .. تستطيعون تصورها وهي تجري في صورة لاتدرك باللمس .. لاشيء تحتها .. لاشيء حولها :: لانظارة تصفق .. لامجد .. لارغبة ملحة في النصر .. لاكثير خوف من الهزيمة في جو مريض من الرتابة الفاترة .. لاكبر إيمان في الحق الخاص ، وأقلّ من ذلك في حق الغريم .لا، إنهم لم يدفنوني مع ان هناك فترة من الزمن أذكرها بصورة مبهمة ، باستغراب يثير القشعريرة .. وجدت نفسي راجعاً إلى المدينة .. رأيت الجميع .. لم يرن

أحد..الناس في الشوارع يختلسون نقود بعضهم ..يسرقون وجوههم وجوه الأخرين يأتهمون غذاءهم ..يريقون الماء تحت أقدامهم بينما يموت الاخرون عطشاً لترتخي الارض الصلبة تحت أحذيتهم الملونة اللامعة .. يحملون أحلامهم الحشرية :: لقد انتهكوا حرمة أفكاري ..تطفلوا عليّ ..معرفتهم بالحياة مجرد زيف .. تأكدت أنهم لن يتمكنوا من معرفة الاشياء التي عرفتها ..ضحكت ملء شدقي ، زوجتي تحسب السنوات التي قضيتها بالعمل ..تحسب النقود التي ستؤول اليها ..كنت دائماً بالنسبة لها خزانة حديدية لحفظ النقود .

ثامرٌ يفتلُ شاربه الغليظ ..يحمد الله انه سيخلفني في مهنتي التي تقول فيها حيوانات الغابة :مهنة خسيسة لكنه أبدع فيها ، أراد أن يعلم الثعالب الطيران .أن يملأ رؤوس الحمير بالاحلام جعل الحية تقلع نابيها ..النحلة تقبل الزهرة ، امتنعت عن وخزها أبداً .

(– أحسن صنيعاً برحيله ،كان عليه أن يرحل.. أن يرحل من زمن بعيد ..قبل أن أعرفه حسناً فعل الأن) .

استولى على أكداس من الحبر والورق ، متيقناً أنه لن يقرأ كلمة، لقد سجل ماقاله في شريط رأسه يمكنه تشغيل المسجل ..سيربح نقوداً كثيرة إنه قارون مفلس.

أختي تبكي ،ترى أتبكيني ام تبكي حبها الذي قتله شريف ؟!.

شريفٌ تمثال من الصيوان بعد العيد الصغير في أيامه الكبيرة بمآسيه ، التقينا في مقهى أجمل مافيه سحب الدخان التي تنفثها الصدور ،الصدور الكئيبة ..الصدور السعيدة .. القلوب القانعة،.القلوب الآملة أحسست بمال قاتل يميتني .. كان لابد لي من الرحيل.. أخبرته بذلك ..ضحك .. دمعت عيناه ..لاأكذبكم ..لم أعلم لحد الان هل كان يحبني أم لا..قبل رحلي كنت أحس بحبه ..لاأباليه ..كرهه أحياناً .. بعد رحلي تحول إلى تمثال من الصيوان ..بعد أن قتلنا المال ، قبل أن نقتله قرر أن يذهب ..

الشارع بحر موحل تغوص فيه الأرجل إلى الركبتين .. بحر مليء بوحول الحياة وزيفها ..قال :أنت لاتصلح لحياتنا ..لابد أن ترحل .

بدت دهشة في وجهي .. هل تكرهني ؟ : أجاب : أنا أحبك .. لاأحبك .. أنت بالنسبة لي الموت .. الحياة .. اذا فقدتك افقدهما وأولد من جديد من غير موت :: كان مصيباً في قوله،أحسست بانني أطفو فرق وحول الشارع لأول مرة في حياتي ارى الحقيقة من دون زيف .. هذا الوجه .. وجهه وكأنه خارج من المرآة .. من صورة فوتوغرافية مجسمة حية إطارها عرض الحياة بأسرها.

أردف : صبر المقهور على القهر شجاعة .. أنت لست صابراً .. لست شجاعاً .. إذن لترحل . أردت أن أهزم الشتاء .. مُت في لهيب الصيف .. إنه لمجلبة للسخرية ذلك الزمن الضائع .. الممتد من قبل ومن بعد .. العمل الصحيح عدم التحرر من الماضي ، من المستقبل .

استطاع ان يجد صوته أخيراً ، ان يضع فيه شحنة من القوة ، تمكنه من أن يتحدث فلم يكن في مقدوره أن يبقى في صمت دمائه التي تبهضه ، لم يكن بمقدوره أن يحتمل ذلك الوهج المنبعث من نفسه حاملا شمس الصيف .

الكلمات تتوتر : سآتي بخنجري .

الكلمات تتشقق .. تتكسر تحت وطأة الثقل .. وطأة التوتر.

– سأزرعه في صدرك.

الكلمات تتزلق .. تزل .. تهلك .. يصيبها التلف .. لاتمكث في مكان .. لاتبقى ساكنة :

– ستنتهي الأمور إلى خير..سيصبح كل نمط للشيء حسناً عندما تلتف ألسنة اللهب، تكوّن عقده من نار على شكل تاج تصبح النارُ والوردة شيئا واحداً .. هذا هو الهدف للأكثرية .. هدف لن يتحقق لنا مادمت باقياً بيننا .

أجابني صدفة إلى اشعاعات خيالي .. إلى بريق الزبد .. أنا لم أهزم إلاّ لأني قد مضيت في التجربة ولم أتوقف .. هذه الأرض الميتة أرض العبر .. حيث ترتفع شواهد القبور تستقبل بضراعة يد الميت في ضوء نجم آخذ في الافول .

أحاسيسي الخارجية ليست أقلّ خصوصية لي من أفكاري ومشاعري ففي كلا الحالين تقع تجربتي ضمن حدود دائرتي الخارجية .. دائرة مقفلة من الخارج .. كل منطقة فيها بجميع عناصرها المتشابهة انما هي مبهمة لدى مايحيط بها من مناطق : إن الكون اذا ما اعتبر وجوداً قائماً في نفس من النفوس ذي مميزات خاصة بتلك النفوس في مقدورنا أن نرى أوسع من احداقنا .. أن نصل سماء أمانينا .. أواه ياوحدتي المسوّرة . لو منحتني الصفاء .. لو جلست في ظلالك .. أجدّل ضفيرة السأم أشنق فيها نفسي .. أنام هانئاً لاترعجني الرؤى .

— ٣ —

شريف

كثر الحديث عني .. شريف أنا .. لم أزرع خنجري في صدره .. كان الشارع نهراً من ضياء القمر .. بساطاً من زرع أحمر .. أغنية وجود كامله .. اخذ استاذي هادي بندقيته .. سدد طلقة في عين القمر .. سقط مضرجاً بدماء عينه .. صعد سلماً الكترونيا .. فقد البصر — الا تعلم انه كان اعور من قبل — أصابه في عينه السليمة .. لم يحس القمر بعماه .. الا بعد انسقط السلم عليه .. هرسه تحت وطيء الواقع .. قلّ الضياء .. مزق البساط .. بدد الاغنية .. سألته عن السبب .. أجابني : دائرة فهمنا محدودة .. لسنا نعلم مانحن فاعلون ، الا في عدد من الأغرض للعملية . اذا تأملناها وجدنا اننا لانعلم الكثير عن طبيعتها . فما الذي يحدث خارج نطاق الدائرة ؟! وما القصد من الحدوث ؟ !

لم أفهم ماعنى ؟

— اذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .

فهمت أنه يريد ان يحل محل القمر ..

سألته بدهشة : لست أعور .

— افقأ عيني :

أطرق ساهماً ..

حركتني الأوهام التي تتلوى حول هذه الصورة وتلتصق بها صورته .. صورت لي شيئا لطيفاً لطفاً لاحد له .. معذباً عذاباً لاحد له .. حين قال : —

— لقد قصدت إلى أنه لاحدّ لفهم انسان ، فكل مايستطيع المرء أن يفعله هو أن يفهم للعلاقات .. أن يجاريها ، بحيث يستطيع حين يتغير الآخر ان يفهم التغير بمجرد وقوعه .

قلت : كيف تتغير ؟ ! تصعد إلى السماء لتشرق مكان القمر ! .

قال : بالرحيل :

— كيف ؟ !

— اذا مازرعت خنجرك في صدري .. أثمرت زهرة من دم تغسل آثام البشرية .

صمت :

— ألم يكف دم المسيح لغسل الآلام ؟!

قال : الآلهة تطلب كل يوم عروساً .. انها شبقة لاتعرف الكلل .

صمت .

— ألم تكف الدماء التي تراق كل يوم .. في ڤيتنام .. فلسطين .. كمبودها .. غينيا .. دماء الزنوج المراقة تحت أقدام تمثال الحرية .

قال : تلك دماء مثل دمي .

صمت .

— لتكن مشيئتك :

سقط مضرجاً بدمائه .

أقسم بأنني لم أكن حاملا خنجري :

إذا أردتم رؤية القمر .. انظروا إلى الشارع المرحل .. إذا أردتم رؤية زهرة الدم .. انظروا إلى السماء المدخنة بجحافل الحياة والموت .. إنه مزقة في سماء الغروب اللاهثة .. مصلوب فوقها من بعيد :

الفصل الثاني

الشاطيء الذي طردت منه حواء

– اميرة –

إنهم يثيرون للضجيج .. يظنون بذلك أنهم يتحدثون إلى بعضهم .. إنهم يتلامزون .. يظنون أنهم يتفاهمون .. أنا على يقين أنهم لايتفاهمون .. لا ، ليس الأمر .. انني راغبة في الوحدة .. لكن الحقيقة .. أن كل انسان وحيد .. هكذا يبدو لي.

عندما تعرفت على قلبي – الا تعرفونه .. كان يحدثكم قبل قليل .. من دون زيف .. هكذا كان دائماً مع أخي – بدا لي غريباً .. ضائعاً .. كصبي صغير .

(– كانت الشمس تضحك صفراء شاحبة حينما بدأت يداكِ تصنع لي الكلمات – انني أعشق يديها فقط .. انهما يصنعان حياة من الاحلام –)

هل تعرف الصمت الذي .. يشير إلى المستحيل ؟. الذبابة التي تقتل بعودة ثقاب صغيرة؟ ! الصمت الذي ينبعث من مزامير داؤد .. الصمت الذي يعني كل شيء .

(– ياحلمي المصاوب في ميلادها .. حدّ الخناجر في وريدي ينبت .. يندس في ليلي كلاآلئ .. يندس في ضلعي كحد خنجر .) .

رويت لكم قصتي باختصار معه .. شريف .. بين مقاعد العمل عرفته .. في زاوية قصرى قرب الباب كان يجلس .. مهنته مراقبة الداخلين والخارجين ، يراقب الجيوب المنتفخة التي تدخل . ، الجيوب المنبعجة التي تخرج . ، هو الذي لايملك جيباً .

(– انها تتحدث كثيراً عن الجيوب .. هي جيب كبير مُهترىء .. لم أراقب الجيوب كما ادعت .. أنا مولع بمراقبة الأحذية على اختلاف أنواعها .. حذائي بني قديم .. أحاول أن أبعث فيه نغمة موسيقية .. كحذاء جندي في ساحة عرضات .. الوجوه .. الجيوب .. الأفكار .. تخشى دهسة الحذاء المموسقة .. انها حشرات خائفة مذعورة

اما جيبي – إذا ارتم الحقيقة – بالوعة مثقوبة عميقة الجذور في باطن الزمن .. أنا أكره الجيوب .. كما أكره الزمن .. كوم الثواني جبال .. أواعت بالمراقبة .. مراقبة الأيام المتراخية .. كانت لي درعاً أقاتل به ثواني الليالي المصلوبة على كتفي .). غرق في عينيّ مرة .. عندما كان يزور أخي .. علمت انه .. عامل مجد .. طيب .. يؤمن بالخرافة .. يمارس الأدب .. قرأ عليه قصيدة ...لاأذكر منها شيئاً سوى انه كان يحفر الأصوات في الثواني .. احتضنني .. انتشلني صوته من ثواني العدم السديمي .. بدا بالنسبة لي فارس الزمن الجديد .. زمني الذي رأى أو كاد .. في جنبيه رأيت حلمي الذي صلبه الناس منذ خلقت ، في جنبات الأفق الأربعة . كان صوته يهمي عليّ ندياً بالمحبة .. رسم في عينيه ظلالاً شفافة أنقاها في عيني .. افقت من غيبوبة التعاطف اللذيذ .. عرفت فيه مراقب الجيوب .. لم يدهش عندما عرفني .. هكذا كانت البداية .. كأية بداية لقصة رديئة أو فلم سقيم .. وأينما كنت في محل الجيوب الممتلئة حيث أعمل .. أو في نغمات الكلمات الموسقة حيث أعيش .. أجد لنفسي مخبأً في عينيه .. انتحرت جميع الرغبات في أعماقي غير رغبة الصلب في عينيه .. نوافذي مصلوبة الاهداب دائماً .. في انتظار ان تصلب في عينيه .. بذر الغرور في وجهي .. جعلني أحيا من أجله بعد أن كنت لحداً متحركاً يضم هيكلاً عظمياً نتناً لكلب مسعور .. جعلني أنثر جميع تطلعاتي وتلفتاتي .. ماضي .. مستقبلي .. عند قدميّ .. من أجل لحظة تواجد واحدة .. أفنى فيها فيه .. ويفنى فيها فيّ .

(– الرحيل أروع من الوصول .. في الوصول معاناة الندم .. معاناة الفناء .. الخواء .. العدم) .

نمت الحكايات .. ترزعت فوق أساطير متراكمة مطمورة .. جلست أتكهن .. لكنني لم أفه بحرف .. للطائر الذي أحرقت عيناه فؤادي .. رأسي متكيء بهدوء على شعري المخملي، لزج عليه الصباح .

(– كانت يدك ترتعش كفهم مطبق :: كان شلال شعرك يبلل عينيّ :: عندما يغفي المساء في عينيّ لا أحلم .. إني أذوق طعم الضجر قوياً من هذا الشلال):
في الأماسي .. نجلس نحن الثلاثة .. الراحل .. المغني .. المصلوب :: يغني شريف شعره .. ينقد الراحل ماقرأ . وأنا مصلوبة فوق الكلمات .. مستمرة على نغمات الصوت الذي أحببت .. مع دقات الساعة التسع .. يضرب القدر ضربته .. يدخل فارس الزمن الجديد .. يجلس هناك .. دائماً .. على كرسي أخضر بلون الربيع :: شقيقة يانعة تضم ألوان الحياة .. الأبيض المشرب بحمرة .. الأسود .. انه الحياة بما فيها من تدفق وعدم :: أجلس أنا كالمسيح دائماً .. انتظر الصلب لأحس بوجودي في علمي .. ويمضي الراحل يقطع المسافات بين الحياة والموت :: يطير في أجواء الحياة .. ليغوص في مياة العدم ::
(– تعرفت على الراحل في صباح يوم ضاحك .. نظر اليّ بتحد .. نظرة نفذت إلى أعماقي نظرة حزينة متعبة .. أمرني أن أدخل .
قال : لم جئت الينا ؟
أجبت : لأدرس .
قال : تغنى اذن بالبنفسج ؟
أنطلق نشيدي ::
قال : لقد وجدتَ الصواب عندما أضعت رشدك ::
حينئذٍ أطلقت صوتي:: كان علي أن أنادي : أن الهالة التي تحيط بي ليست الاّ غيمة عابرة.. طائرتي ترقص وسط العيون:: باحثة عن نجمة للخلاص القابعة في الافق البعيد.
صرخ بي : عرّيت رمل الاصطبار.. أكلت عرق الوجه :: فرّ الدم من نبضي:: أشعلت ريح اغترابي.. من يومها.. كان وجودي:: أصبحت وجوده):
إن شريفاً يدس أنفه للكبير دائماً.. في الريح.. في الضباب:: في السماء الصافية::

في الدخان يريدني الاّ أتحدث .. انني أريد الحديث .. بعث اليّ سليمان بهدهده . أخبرني : بأن الجن ستحمل صليبي إلى أفق السماء الشرقي .. حيث أصلب على نغمات مزامير داؤد. لابد أن أتحدث.. اذن.. قبل أن اتحول إلى مطر.. يزرع للخصب في الأرض.. كما تحول أخي إلى قمر يغسل وجه الأرض الدامي بفضته الذائبة النابعة من مسامات جلده المتصعد تحت نار الآلام المحرقة.
يتطاول شريف كلما تربع على ربيعه كقطة أحست بالدفء بعد تجلد جلدها.. يدفع رأسه إلى الوراء كديك يبشر الوجود بآلام جديدة.. فجأة.. أحسُ بالمسامير تغرس في يدي.. يصلبني على حائط أخضر.
(– انها تعشق الصلب .. تتمنى الصلب دائماً .. كما تتمنى صلب من تحب احذروها.) . يرفع غصناً يضعه فوق غصن .. تنحرف شجرة الحياة عن مسند الربيع الاخضر بزاوية حادة.. يقرأها الراحل – هل نسيتموه .. هادي أخي – شعراً .. قصة كتبها في لحظة تجلي .. على نغمات عذبة تنبعث من حناجر آلات عدة.. لتتسلل الساعات في صمت.. تبدأ الظلمات تتكاثف في الغرب .. مع مزاميره تطلق الهموم روحي لتتزاوج الأحلام والأفكار في خاطري.. الحب الذي ينسيني من أكون .. ما يجيء به الغد. هكذا مات نحو ظله.. أنشق ريح الندى.. يغسلني حنانه كما تغسل الغمائم السماء.. مثلما تهتز للربيع شجرة.. اسقط عني ورقي القديم . ليميت حزني العقيم.. تصافح الحياة رجهي ببسمته. لقد كان حبي عظيماً لا يمكن. تقديره.. الحب اذا ما قدر فقد قيمته.
(– كنتَ كمن شرب من ماء النسيان .. أردت سلوان حياة أزهرت .. ماتت .. كان لقائي مع هادي .. ساعدني على تفتح نفسي.. ازدهرت على الورق.. ازدهاراً يبقى ما بقي الورق.
عندما رأيت أميرة أحسست أنني أسلب نفسي في وقت أردت فيه بناء ذاتي من جديد).

م/٢/ل.ز.ج

ألقيت نظرة متخمة على ماضي أيامي.. أصدرت عليها حكماً بالاعدام :: تشققت تحتي الأرض عندما انبعث صوت الماضي .. خنقته بكلتا يدي .. إن صوت الماضي يعذب روحي.. أردت أن أصنع حياتي بعد أن صنعها غيري .. تعودت أن أحيا بالحب.. أحببت.. أحببت.. كان حبي الأخير زهرة قطفتها بيدي .. سحقتها تحت قدمي.. زهرة.. ما اعتقدته زهرة.. نبتت في دمنة.. جاء ذات مرة الى محل الخزائن الممتلئة.. ليضع قطعاً صغيرة في صندوق كبير.. آملاً أن تكبر القطع الصغيرة بحجم الصندوق ليوم يتمناه كل حيّ في سجننا.. الذي سموه مدينة.

قال بلهجة صحراوية .. لاأدري ماقال .. انسابت كلمات عبر عقد مفرط ابانته حركة الشفاه .. فهمت انه يسألني : أين يضع مافي يده .. أشرت حيث يريد .. بعد شهر ، حياني ، نسيته لولا عقده المفرط ، أرقت ناري في جفونه .. لتمعت عيناه ، امتصت مهجته مهجتي بشراهة .

(– وقتها كانت قد سكبت دموعها في بقعة حبها .. زرعت عشب العدم في قلبها :: سقته جفوة ثامر .. نماه هجره إياها فاستحالت إلى تمثال لفتاة حزينه .).

سألت روحي .. من هو ؟! من أين جاء ؟ ! ماذا يقصد ؟ ! لم احظ بجواب .. حللت بدقة اشكال نظراته ، خصائصها ، مميزاتها ..لم أتوصل إلى أي تخمين .. لقد أصبح الحب متشابهاً في قلبي كتشابه أشجار الغابة .. الحب الذي هجرته كما هجرني .. خفته عندما خوّفني .. قد يتفق للانسان أن يريد هجر عادة ألفها .. لكنه ينفصل عن الحياة .. تبدو الحياة كأنها لاتعنيه .. فجأة يحن إلى عادته .. يحس بأنه لايمكن أن يحيا من غير حياته . أطار فارمي في صدري سرباً من أملي :: في دورة القمر الثالثة قدم في موعده .. يحصد الشمس بقامته .. أصبح الصباح في عيوننا .. مالبث المطر أن تساقط من شفتيه :: نبت القمح في اهدابه . اطعمني منهم حياة سعيدة . سألني العيش معه .. رحنا قبل أن نفيق من نشوتنا نقطر للضوء في كل نجم .. نملأ أيامنا وشوشات :

(– ايقظني كلماتها من رحيلي الدائمي .. أنا دائماً كما أنا يعني الألم :: المطهر الوحيد في دنيانا . مازلت متعلقاً بأختي فهي توأم نفسي :: اختي متسرعة دائماً كطفلة جذبتها فراشة جميلة إلى نار مستعرة أشعلتها .. لا أعلم ماالذي أحبته فيه؟ حذاء أسود قديم في رجل مهرج يفيض في قلبه ، جبن أرنب .. خبث ثعلب .. عقل عصفور :: جشع بعوضة ، عندما رأيته معها أحسست بالكارثة .. ظننتها نزوة .. غيمة صيف :: فاذا بالغيمة تتجمع :: تهطل مطراً كاد يغرقها خشيت أن تغرق بحث مستفسراً واذا بي أمام تمثال للقذارة .. رجل أفقدته مدينة جشعة .. تعبد المال والجاه :: إنسانيته .

– سيتحد بعد ايام مع ليلاه .

هذا ماقاله لي رجل عايشه :

– ليلاه التي قيسها أخوه :: يجد فيها ليلاه .. نجد فيه قيسها .

ماتت الدهشة في وجهي عندما سرد لي حياة قذرة لتمثال حطمة حذاء :: غمرته قطع الوحل. يقتل نهاره بين القبور بحثاً عن جثة عافتها الذئاب يفرّغ فيها شهوته :: يضع مايحصّله في الصندوق الكبير ..يضيف اليه ماتحصله المرأة التي لم تخنقه عندما ولدّ.. ومانحصله البنات اللواتي يريد بتّعهّن. ليالي يقضيها مع قرع الدفوف والذكر.. ليال يقضيها لدى باب تدخله حيوانات ممتلئة شهوة تخرج وقد ملأها للتقزز..في نهاية الفصل الأخير ينام بين فخذي نعجة قتل فيها الكباش احساسها، رجوته أن يكفّ.

امتطيت فجيعتي ..غيم سكاراتي ..وقف الزمن ..فرّت الساعات من ثوانيها. كان لابد لي أن أعمل).

أخي على حق ..تحطم الزمن فوق ساعتي ..عرفنا لذة الضياع في الشوارع ..ولذة الهمس بالأصابع ..لذة مشاركة الممثلين أدوارهم ..لذه الغناء في ذواتنا ..لذةالذوبان كقطعة شمع في بعضنا :

(– كان قطعة من شمع ذائب يستطيع تشكيلها بأي شكل يريد كان سنجاباً لتيما همه جمع الجوز في صندوق كبير).

صوته القادم من خلف الأفق سكب النار في جروحي القديمة .. كلماته الكاذبة عمرّت لي منزلاً فوق النجوم ..الذي يحيا لايستطيع رؤية حياته فاذا استطاع أحد رؤيتها معنى ذلك انه لايعيشها أبداً ..انه يكابد آلامها كما تجر الجثة الميتة..ان كل تحجر في صورة ..في شكل ..معناه الموت.ان الانسان يقاوم ..يكافح ليصل إلى هدف فاذا ماوصل القمة أوسقط عنها أدركه الموت ..أكثر الناس لايحسون هذا لأنهم أموات .. يعتقدون أنهم أحياء ..رأيت القالب الذي هيأه لي الحظ ففقدت حياتي .. حقيقة وجودي ..لو كنت أحيا لما امكنني أن أرى حياتي كما أراها الآن أنا أموت كل يوم فيها ..لأننا لانرى ..لانعرف إلا الأشياء التي ماتت فينا .

كشف لي أخي الحقيقة..أنا مصلوبة ..الحب صلبني ..حملت عن الناس الاحزان في حب إله كاذب ..عندما التقينا تكدس في الغرفة صمت غير متصدع ..نزعت نظراتي جلده ..تساقط في مهاوي القلق .. حاول أن يرد عن عينه اتهامات امرأة مجروحة ..لم يستطيع ..ذابت قطعة الشمع تحولت إلى شيطان خارج من الجحيم – أدرك أنني قرأت ماسطره في دفتره للقلم .

– أريد مالاً .

– لأي شيء .

– لأتزوج .

– ليس لديّ مال.

– لديك الفضيحة اذن .

تصاعد إلى فمي حزن قديم فجرّ في نفسي قهر انسان منذ عصور سحيقة.

صحت به: سأنصب شراعي في مهب العاصفة .. سأسحق مقتنياتي.. أقذفها

للرياح :

تسألني عن الفضيحة ؟!

لن يعرقلني شيء ..سأدمر كل شيء .

بحث كل منا في عين الآخر عن الخيمة التي تأوية .. لكن صحارى الجدب لاحت في الأعين المحدقة ببعضها .

صاح بي: أتعلمين من أنت ؟رابية ماتت عصافيرها ..لاتنبت غير الشوك والصبير.

– هذا جواب حبي وبذلي ؟!!

أعطيته من حياتي ماليس يعطى .. والآن يحاول قتلي .

صحت: يارخيص الاشواق .. شوقك ينبت على دخان وأوحال .

صلب ضميري على كلماته.. كانت نهاية حب.. حب مات في مهده.

(– لم يسدل ستار النسيان على حب أفجعني ..أشعلت آلاف السكاير ،نفثتها دخاناً غلف حياتي كما غلف حياتها .

خرج يشهر بها :فعلت ..فعلت..فعلت .

انا واثق أنه لم يفعل ..لم تفعل .

أنا الذي فعل .. مالم يفعله انسان مثلي يحترم الانسان.. قطعة معدنية بقطعة معدنية .. يد مأجورة بقطع معدنية ..قلب صخري برزمة ورق .. نهاية مطمورة في أرض خربة ،وعاد يبحث بين القبور لاعن نعجة عافتها الذئاب بل عن رمة عافها الدود .. ثم أسدل ستار النسيان على احط انسان عرفته في حياتي).

• • •

الفصل الثالث

الملك الذي استحال شيطانا عندما طرد من الفردوس

– زبالة –

ماأشرف الانسان حين يحس بانسانيته:: عندما يشم في الانسان طيب الود والألفة.: حين يرى بعين انسانه مايخالجه من اللهفة.

ماأتعس الانسان حين يموت في اعماقه الانسان :

هل عرفتموني – أنا زبالة – .. طال الحديث عني ألايحق لي أن أكشف أعماقي في جحر فأر عشت .. تلطع الفئران الحجارة المدهونة بالاوساخ ثم تعود لاغفأتها ملكت قلب فأر ... آمال نسر ... حيث القطط كثيرة ... الآمال داخل قمقم في قعر بئر ... أدليت حبلي لانتشل القمقم ... حبلي قصير ... استطال حبلي ... ماأجمعه أخفيه عن أعين الفئران ... سقط الفأر الكبير في مصيدة العدم سقط اخوتي في مصايد عديدة ... الكأس ... القلب الكوبا ... الجسد ... يدمعتمة طويلة اللحية ... حبلي يقوى ويطول ... اراد أخوتي قطع حبلي هربت من وجوههم ... وجوه بلا وجوه ... حلمي القمقم ... حياتي كلها تجسدت في قمقم ... الجنس اصطاد ... الطعام أحصلُ عليه ...فقدان الوعي أغشاه كل اسبوع في مكانٍ يفقد فيه الانسان هاديته الأرضية... يتحول إلى ذرات سديمية تطوفُ به عبر الكون ... نبشت أعماق الموجات ... بحثت في جوف الصدفات ... اصطدت كل السمكات ... لكنني لم اعثر على لؤلؤة حمراء كالقلب الاحمر ... عن حبٍ أخضر ... لم أعش لأنهزم ... عشت لانتصر ... مع الحركات السديمية التقت ذراتي المبعثرة بذراته التي لم تتبعثر ابداً ... جاءنا يستبطن عالم أحلامنا السحرية ... قطعة من أملي ... قمقمي ... مافي قمقمي تجسد فيه ... نفحةٌ عطرية مرّت على كلينا ... سقتنا رحيقها ... شمّمنا عطرها فانتشينا قال شيخنا : نَفحة إيمانٍ ربطتكما .

كان خفق الحبُ في قلبي ... قلبي هو النجوى لصاحب ... أذاب في عيني كل آمال السماء ... التقينا ... التقينا والتقينا .....

قرأت في صفحة قلبه كل حياته : كدحٌ ... عناء ... ارتقاء مستمر لجبل شامخ ... صعود حثيث إلى القمة . النصب الذي عبدته . عدوت وراءه ... لأصل القمة كما وصل ... ساعدني في الصعود ... خطوة خطوة ... علمني أشياء لم أعرفها ... أخرجت المخفي لأضعه في الصندوق الكبير، ... الفئران التي عايشتها تحولت إلى بعوض يمتص الدماء ... دمائي، أردت ان أهرب منعني – أخويا – هكذا كنت أناديه :

حاول ان يوحدني مع ابنة اخ لابي لم يكن في يومٍ اخاً .

رفضت ... هددت ... ضربت ..... لعنت ... كان الحبّ يملأ قلبي لأخت (اخويا) لاتسألوني عن حديث الحب يوجعني ويشجبني .....

حملت الحب في قلبي .... لقلبٍ خافق النبضات لأماني مسحورة .

استجاب قلبها الشكاتي ... اتحدنا قلبين في شريان أبهر واحد ... حلّ الزمن المكسور .... أطبق عقربا الساعة ... حصراني بينهما في خرم إبرة ....

عشت ليالي طوالا شدت نجومها بسلاسل إلى السماء السابعة ... انقطع حبل أحلامي ... شاع الخبرُ ... فجأةً شاع الخبرُ ... الحب عندنا رواية شرقية ... خرافة من نوع ألف ليلة تنتهي بالزواج مادام البطل قد تزوج من غير لياله ،لياله ان تتزوج من ورد او لاتتزوج .

صحت بها : ان الحب إبحارٌ دون سفينة ... الوصول محالٌ في الحب ... استمطرت لؤلؤها .

طردني (أخويا) ذات ليلة. لم يطلع صباحها ابداً ... مازال يغمرني ... متُ ... دفنت في جسد امرأة لاأحبها ... مسكت يدها ذات يومٍ ليته لم يأت ... تحت منديل ابيض: كلمات بيضاء ... حوّلت كرياتي الحمراء إلى

كريات بيضاء . . . حوّلت دمي الاحمر إلى لبنٍ ابيض . . . يرضعه تل من لحم .

(– كذابٌ كبير . . . مسيلمة . . . اشدُ مكراً . . . قطعة شمعٍ تتشكل كما يريدها ان تتشكل : . . حرباء ترعى بين الغابات . . . الصحارى . . . شطآن الانهار)

كرهه لي يميتني أكثر من الموت . . . لأحدثكم عن فعلته – أخويا – :

أراد أن يرسلني إلى العدم بقطعة حديدٍ يغرسها في قلبي . . . . ثور أراه ورقة حمراء . . . دفعه الي . . . أمله برؤية دمائي الحمراء لتحيل لياليه ليالي حمراء . . .

لكن دمائي الحمراء تحولت إلى لبنٍ ابيض . . . أشمأز من اللون الأبيض تل اللحم يرضعه بنهم . . . . تركني ، تقيأ ، أمرني أن اختفي هددني بسكب اللبن . . . . اختفيت بعيداً حيث أعمل الآن بعد أن انقطع حبلي سقطت في البئر حبست في القمقم لكنني مازلت أؤمن بجمع أجزائنا . . .

(هل استدر عطفكم . . . اياكم وإلاّ أذاقكم الهوان فهو أكثر شرا من الشيطان . . . أنا أناديكم من مكاني النائي البعيد أنا هادي . . . احذروه اكثر مما تحذرون الطاعون والا انتهيتم على يديه كما انتهى المسيح على يدي يهوذا)

الفصل الرابع

الوصول إلى بحر الاحزان شريعة اوجود

– شريف –

منذ ولدت – شريف انا – فتحت بابا للدمعة . . . فجري بمرته اللوعة . . . ولدت أرنباً مذعورا عبر الغسق والضباب . . . نهشتني كلاب الفاقة . . . بحثت عن الفراشة . . . فراشتي سعادتي . . . . سعادتي رغيفي . . . . عدوت وراء الفراشة . . . هابطة مرتفعة في جوٍ مسحور أخضر . شربت الظلام . . شربت النور . . . ماجدوى الثمر الناضج في الأوهام ؟! ثمر لايذاق لايتلذذ به . . . أدركت سر الثمرة . . . الثمرة من البذرة . . كسرت النشرة عن لبّ الحياة . . . كدّ مواصل من أجل رغيف أسود جاف .

الفقراء اخوتي يبكون في خرائب المدينة . . مذعور من ونع خطى الزمن . . ركضت وراء الفراشة . . . لم أمسك بها . . قويت رجلاي جعلتها أقوى من خطى الزمن . . لم أذعر عندما استيقظ الفقراء . . عندما بكوا . . . حولي حاموا . . حولي رقصوا . . لم أجد غير الزور والبهتان عدوت ، عدوت وراء الفراشة .

– أين يمضي الناس ؟!

هذا بلا أمس . . هذا قيثارة خرساء داعبها جبان فانقطع الوتر . هذا . . بلا وجه ، وذابلا قناع . اشعلوا النار في البيدر ، حرقهم واحترق ، ولاذ بعضهم بالفرار ، تمسكوا بشراع ، تمزّق الشراع ، حام حولهم ، غطس .

أنا اعدو . . اعدو وراء الفراشة من أجل أن أضحك للشمس من أجل أن أجمع المحار ، من أجل ان أقطف النرجس من حدائق السماء ضحكت الشمس في وجهي ، حام المحار حول شباكي ، تناثر لؤلؤاً شهياً منحتني الحدائق عطر نرجسها احبتني شمس النهار ، احبتها الأمن والسلام قرب حبيتي ، حبها عصفور يفطر من بيدر قلبي ، عيناها نعاس مخمور ، خصلاتها في ء نزهر الحياة ، شفتاها هلال من رحمة ،

صوتها قيثار أبولو يقلع على نغماته صحراء السماء وانا ملقى على بساط الريح إله مسرور :

(– أحبّ ابنة السلطان ماش على ضفاف نهر ، صوتها ، صمتها ، لكنها ماتت كما تموت الفراشة في الحقول عند الأفول جنّ بعد موتها لاذ بالصمت ، ماسبّح الاّ باسمها) :

رابعة ماتت نقلتها سفينة موت بلا شراع ، تحطمت على صخور شاطئ الضياع مات البنفسج في يدي ، ذبلت الأحلام في عيني ، عاد المحار إلى بحر العدم ، تساقط لؤلؤه على وجه الشمس الحزين ، تناثرت حطاماً مع المحار ... مع البنفسج الميت ، مع الأحلام .

صمت مع فقراء مدينتي ، نرقص رقصة الجوع ، نستافّ الغبار ، نختفي اذا مالفّنا شعاع نور ، نعدو في ظلام العدم الى سور مخضب بالدماء لانعرف منتهاه ، لانعرف أين هو ، لانعرف كيف نصل اليه أتبع موتها وراء الليل ، أطرق أبواب الفناء كزورق وسط الزبد ، أحمل نعش الشمس ، أدفيء البنفسج لأصنع منه تاجاً لأله الموت لعله يعيدها الي ، اتبع عويلاً بعيداً في نفسي ، بلادليل ، أجرجر خلفي سنوات حياتي كما يجرجر النجم المذنب ذيله الطويل .

رـ أنا رابعة مت في الحياة ... دفنني أهلي بين ساعدي رجُل لا أحبه : : ها هو حبيبي :.. شريف . كنت في محبّتي أدعوه : يلبلي الحبيب كان يعدو وراء الفراش ... يحصد وجه الشمس أزهاراً ... يصنع منها اكليلاً يقدمه إلى إله الحب ... ليجعل حبنا طويلاً . :: وعندما يعود من عدوه البعيد ينقر الوداد في قلبي : .. حبات حبات ::: يقدمها للعنادل ... تهدل مباركة حبنا :: صنعت من ضلوعي صندوقاً من صندل .. أوتاره عنبر تعزفه مقلتانا كلما التقينا .. تحطم الصندوق : .. أكل الدود العنبر ... اشتعل الصندل) :

عندما ألقيت سهادي بدأ شيء في قلبي يدبض إنسان لا أعرف له شبيهاً في المدينة الخالية ، مدرج الهلال كفه ، معصمه ، مسافر على جواد الليل مشرّقاً مغرّباً ، بلا كلال ، بلا ملال ، يهيج في القلب الشجن في مقلتيه جرح ينديل صوته شلال ، حياتهُ فكرهُ ، بذرة قمح تغل آلاف القمحات ، أضحى قلبي له قلعة ، لساني سيف بتار يذودُ عنه ، يقطع عنق الثور الهائج ، يمنع نحته الدامية ، كيف يحيا انسانٌ مع الثيران المستسلمة إلى حقل البرسيم في ضوء القمر ، في الخبز في الحشيش في الاجساد البضة تموت حياتهم ، لتستحيل قصوراً بابلية ، تكسرها حصاة مهما صغرت الحصاة ... استاذي كان حصاة ... دارت كسر القصر المسحور ، القصر البلوري ، . لكنها أجفلت جحافل الثيران ، أرادت لعبة الكرة والصولجان ضربت الصولجان الكرة ، الكرة دقيقة حساسة ، ذابت من الضربات :. : ماتت تحت الأرجل والأقدام

(– انه يتحدث عن أخي :: : يتحدث اليكم من كنت رؤاه :::: من كنت عينيه أين وضعتني ياحلمي الأنضر لمّ ضيعتني ؟!) آسف آسف أصدقائي لم أنهِ حديثي بعد ، إنها تدخل بيني وبين نفسي :: : هذا عيبها ... لم تفهمني بعد .. . أرجوك دعيني أتحدث عن أستاذي الذي قتلته كلماتي ، دعيني أتحدث عن زهرة الدم التي تنثر الدماء في الفضاء لتحرك الثيران ، لتثيرها ، لايثيرها غير اللون الأحمر ، هو يعرف ما اللون الاحمر ، قطعة من دم ، ورد أحمر ، تحمر له عيون الثيران ، تترك البرسيم ، تجدّف بضوء القمر ، تعاف الحشيش ، تحصد فخذي الانثى بمنجل ، مات هادي ، لم يمت في قلبي ، فهو معجزتي ، معجزة الانسان أن يموت واقفاً كما تموت الاشجار ، عيناه للنجوم ، أنفه مرفوع انه يضيء الليل من دمه ، ينثر دمه ليطهر العالم ، لانه سيد مصيره ، دعوني ابكي قليلاً ، لانني افقد دائماً ما أملك ، انني اتحطم ثانيةً على صخور شاطئ الضياع.

(اسمحوا لي أن أقدم نفسي إنتصار إسمي كنا نجلس معاً :: كتفي لكتفه عناق ::: كفي لكفيه وداد :::: احلامنا تفترش الطريق

العسل الصافي في عينيه يزيد في وحشه في البعد ونشوة في القرب . . . سموه ما شئتم . . . . اسمه حبيبي . . . . برغم كل التزيف في أعماقي . . . برغم آهاتي الحرة منذ فراقي . . أقول له : قولوا له اذا لم يسمعني : أنفك الشامخ أمامي مشنقة عالية لحبك لا لحبي . . . كلمات . . . كلمة منك قلتها على عجل ونحن في درب الاحلام .

– انتصار أحبك

ثم اخفيت وجهك وراء ضوء القمر وراء غيمة صيف كلمة منك . . . . كاذبة ، كلمتك لي بنت لي منزلاً في نجوم ... صنعت لي عرشاً من أشعة القمر ... تاجاً من عيون البنفسج) .

صوتها العذب يوجعني ، توسلاتها تشجيني ، قلبي أصبح مقبرة للحسان منذ زمن بعيد سحيق ، مذ دفنوا حبيّ بين فخذي رجل .. المرأة لا الحب أضحى شعاري ، المرأة للموت ، الحبّ للدفن في القلوب .لم تكن انتصار أول حب يدفن ، عفواً ، أول فتاة أدفنها في قلبي . صفّ من التابوت حبات عقد لؤلؤي ، انتزع حبات العقد ، حبة حبة ، أسحقها بين يدي افتحُ ثغرة في قلبي ، ثغرة كثغرة دبوس في جناح فراشة ، أدفن فيها لؤلؤتي المسحوقة قلبي مسحوق من لؤلؤ ، اللحم والدم ... تحولهُ بفعل مسحوق اللؤلؤ قلباً من لؤلؤ . . يعشقه من يراه ، لا يعشق هو ، انتصار نغم حزين . أحببت الانغام مذ تكسر صندوقي ، مذ تقطعت أوتار العنبر ، مذ تحطمت قيثارتي

(. أنا لا أغضب من قولك ... عصفورٌ ناقر : : : نقرت قلبي . . . حولته لهبا ، رمادا . . . لمّ . . لمّ اشعلت النار في قلبي ؟ !) كنا نكسر النجوم ذرات نحصي ما انكسر . . . كنا ملأنا الكون لوحات . . . صور ... لولا

(– لولا ؟؟ !!) .

تصالب ثغرانا بدافئة لمحت في دفئها طعم مغفرتي .

صاحت بي ربيعة : حبيبي لا تدب عسل عينيك في قبر ، لا تصلب هلال ابتسامتك فوق ساعدين .

نفرت ، ركضت وراء الصوت . قادني الصوت إلى مكان اعتدته إلى صوت أجبته ، فيه دنيء الحياة وجمال الوجود .

– صوت أستاذك :

(– أستاذك كم أمقته).

– كم أمقتك .

(– قلبي ولا أمقته ؟!).

– أتقذني ولا أحبه ؟!.

(– مات وانتهى السعدي).

– الحقد بلد أفعى .. كم أمقت الأفاعي .

إذا أردتم حديثي .. أبعدوها عني .. سأسحق رأس الأفعى .

حين يقبل المساء .. يقفر الطريق .. الظلام محة الغريب .. نقرأ العالم في سطور . نبعث الحياة في الورق .

– إلى اللقاء ، نلتقي مساء غد .

في الصباح أقف حيث أنا ، وحيث الأقدام تصعد تنزل ، حيث الأرجل أقواس هلال .. هناك التقت النظرة بالنظرة .. نجمة رامضة تبحث عن نجمة ، مجنون ليلى . نجمان بعيدان يومضان لبعض ، اللقاء مبتغاهما ، ودون اللقاء صحراء السماء .

سألني ذات مساء : ماخبرك ؟!.

– أيُ خبر ؟!.

– نجمتاك تومضان .

– اذا مار أتاك .

– جمدها دمعان إذا دومصت بجمدك .

– من اخبرك ؟!.

– عيناي .

اطرقت في سهوم ، هذا الريح الطيب لم يبرحني ، نسمة الصبا هبت في صحرا لافحة :

– هل تحبها ؟!:

– لاأدري ؟

– اسمها رجاء ؟

– رجائي هل يزهر ؟!:

(خشيت على قلب اللؤلؤ أن يتمزق :: قلبه .. قلبه جزءٌ مني .. أردته أن يعرف الحقيقة .. دعوته إلى سماعي عندما أتحول مذياعاً أنقل للجالسين أمامي الماء من بئر الصنعة . عندما رأته ضحكت ، غصت ، فضحت نفسها ، بقر الطبل :؟ مات فيه الصوت).

(– ما ذنبي؟! لم أحبه .. أنا مربوطة إلى شجرة برتقال في مكان بعيد .. آكل ثمرها .. أتفيأ ظلها .. أنا لاأحسن فن العوم في بحر مجهول الأبعاد .. واجب أملته عليّ زمالتي ؟

– رجاء أريد أن أموت :

– ماالذي حدث ياعزيزتي :

– انني أحبه :: لاأطيق صبراً :

قلبها كبلها بشارب غليظ :: لايعرف الرحمة ::

– جلاد من عصر هولاكو ::

– هذا ماترددد أفواه كثيرة :: تعرفه عيون كثيرة تحسن المراقبة :

– لابد من عمل شيء ، انني أتكسّر تحت قدوم شاربه :

نظرة ، نظرتان ، التقت الأنجم الأربع .. صلبت الأجفان ببعضها ،طبعت صورة في الأعماق .. وقع الجلاد تحت يدي .. بودي لو قطعت رأسه .. أشفقت على صديقتي نجوى ، قطعت الرأس قدمته لها . صاحت : لاأريد الرأس ، أريد القلب: فتحت صدره .. أخرجت القلب ، قلباً من لؤلؤ .. من مسحوق اللؤلؤ ،صخري الأبعاد ، تحولّ بين يدي إلى قطعة إسفنج ، عصرتها في راحتي ، غسلته بدموع صديقتي ، نظفته من ذرات اللؤلؤ الصخرية ، سلمته اليها، فجأة تجمّع مسحوق اللؤلؤ قفز على الأرض بعد تجمعه ، تحول الإسفنج إلى حجرٍ ذعرت صديقتي ، بكت ، أمامها البكاء ، تحولت إلى تمثال حزين لفتاة مفجوعة ، لاوجه لها ، لا أبعاد ، قطعة من حجر صنعها (جواد سليم) رمزاً لشقاء البشر ، نصب تذكاري اشترته أمانة العاصمة لتضعه في ميدان (الحرية ...)

• • • •

(المساء يدلف غرفتنا، إذا مشيت على النهر وسرت على قطر زاوية حادة، تصل إلى نقطة الصفر، حيث أقيم عمود على الصفر، تصعد عموداً أجرب، تتوزع مربعات صغيرة، لقطعة للشطرنج، مربعاً للملك، مربعاً للجند، مربعاً للوزير، مربعاً للفرسان، مربعاً للقائد وقلاعه، مربعاً للفيل ومحمله. وانا جندي مغمور، شهيد معركة غير عادلة، معركة خاضها رغماً عنه بلا ارادة.

يولد حزني في المساء مع كتاب، مع ورقة وقلم، حزنٌ طويل كطريق ليست له نهاية، كطريق يقود الى الجحيم، حزن صموت، حزن أمنية تتعفن وتموت، الثواني كوم ركام.. الزمن عنوان الأبدية.. العواصف تصفعُ الحياة.. العفن يسري في النقاء.. الحياة تموت.. كل ما حولي مقيت لا يطاق.

– لا تحزني يا صديقة، تخلصت من أسر القلعة، من تاج الملك، الحرية في ميدان الحرية أثمن من الحياة في قلعة اسوارها عالية.

– السجن في تمثال من صوان أرحم من السحق تحت قدّاس هولاكو:: وداعاً يا جند هولاكو . . . وداعاً يا حبا ذوى قبل أن يزهر . . وداعاً يا شريف) :

يا للراحة .... ساد الصمت ... ماتت الاصوات ... ماتت في حجر صوان في غصن برتقال ... في غيمة صيف ... في جدث رجل .

(– هل نسيتني ... حبك الأخير أميرة)

أميرة نغم صاخب ... رقصني (تويستا) مجنوناً ... عاصفة عاتية اقتلعت جذوري ... بركان ثائر طمرني وسط حممه ... أتريدون سماع قصتي معها؟! أميرة اخت القمر الذي يرش الدم على الارض ليطهرها من الآثام

– اسمعوني اذن :

رأتني عند أختها في دارهم فرأت في شفقاً داكناً كخنجر كاذب ... .

كانت تحن إلى مناخات استوائية إلى شموس محرقة تحيل جليد حياتها ندىً وظلاً .... تحن إلى آفاق أرجوانية ... تذوب دماؤها ، تتحول إلى خمرة عذبة تتبع الدفيء، بدوت في عينيها المصلوبتين تجاهي عبر آفاق الغرفة رمزاً لكل حنين إلى المياة الدافئة ... بينما كنت انا جليداً من القطبين.

– هل انت شاعر ؟.

– أتذوق الشعر.

– أتحب الموسيقى ؟.

– أمقتها .

– هل تحب الحياة ؟.

– أعيشها .

– والمرأة ؟.

– جزء من الحياة :

– الموت ؟.

– يجالد الندى والطل .

– من أنت ؟؟

– انا !! انا علامة استفهام وتعجب .

– قصص الهوى افسدتك :

– قصص الهوى غيبوبة :. خرافة .: خيال .

– الفكر مبتغاك إذن .

– رجعت من بحار الفكر دون فكر :

– لم تقابله أبداً ؟.

– قابلته .. لكني رجعت من دونه .

– هل تنتظر الموت ؟.

حين أتاني الموت لم يجد لدي مايميته :: عدت دون موت .

– كيف ؟!.

– اسطورة قديمة .

– حب قديم ؟!.

– غيمة صيف طلبت إليّ ان أرتقيها .. ذابت تحت الشمس :: سقطت مطراً فأسقطتني .

– أنت تكره الحب ؟!.

– أكره غيمات الصيف الذائبة .

– ماللذي تحب ؟.

– أحب ؟! لاأعرف ماأحب .: أحب كل شيء :: لاأحب أي شيء.

– من أنت إذن ؟!.

– أنا الذي يحيا بلا أبعاد :: أنا الذي يحيا بلا ظل .

– الظل لصٌ يسرق السعادة .: من يعيش بظله يمشي إلى الصليب :: إلى النهاية .

– أنا احيا بلا صليب .

– أنت سعيد إذن :

– أنا يصلبني حزني . . يطربني حزني . . تسملُ عيناي . . لتبرق عيناي ... أنا الحياة ... أنا الموت ... انا ارادة الوجود ... أنا ارادة الفناء . .

– أنت سيد حياتك إذن :

– أنا سيد حياتي ... سيد الحياة في عصر بلا وجه .

– اين وجهك ؟ ! .

– سرقه الاخرون :

– لم لم تسترجعه منهم ؟ ! .

– طلبت اليهم ... توسلت ... صرخت ... تخاصمت ... ضربت ... دون جدوى

– انني ارى وجهك ... هل نظرت إلى مرآتك ؟ ! :

– نظرت اليها طويلاً كلما نظرت أجد وجهي قد فقد أجزاءه ... فقد أنفه فقد عينه ... فقد لسانه ... أصرخ مذعوراً ... أعطوني أنفي ... عيني ... أعطوني لساني ... لا أحد يسمعني :

– كان عليك أن تنتزعه عنوة منهم :

– فعلت ذلك ... استرجعت أنفي ... استرجعت لساني ... استرجعت عيني :

– هل عاد اليك وجهك ؟ ! :

– ابداً ... هنا تكمن أزمتي ... عدت من غير وجه .

– لاتحزن سأكون وجهك .

– إحذري ... أخشى أن تفقدي وجهك أنت الاخرى .

– إنني أحبك .

– مسكينة ... اهربي من وجهي الذي بلا وجه ... انقذي وجهك قبل أن تفقديه .

– أسير إلى حبك معصوبة العينين .

– جنون .

– نسفت الجسر ما بين اتراني وجنوني :

– لا أريد أن أدمي معولي ... انا معول لايرحم ... تفكري ... لا يمكن ان أعشق الاّ بجنون

كل يوم يزداد توتر القوس ... قوافلي ضمأى ... قربي مملوءة هواءً ، الشرق يلمح في متاهات السراب ... تحدد مرمى السهم ... لامفر من وقوع ما وقع .

كانت قطعة من الجحيم أمسكها كأنني أمسك بركاناً ، أعانقها كأنني أمتطي صهوة نشيد ناجح ، أخرض المعركة بمدية صغيرة تحيلها سيفاً بتاراً . . درعاً مانعاً ... سهماً نفاذاً ... قوساً لدناً .

أدخل المعركة وأنا مملوء زهواً كعنترة يقاتل طيء ، أخرج منها مهزوماً كأنني شهريار رقيق تشتريه شهرزاد بثمن بخس .

هل هو الحب ؟!:

(– بلى الحب . . الحب ياحبيبي ... الحب الذي ملأ قلبك . حبي للذي تتنكر له دائماً :

قال ماقال : . لايهمني ماقال .

ايقظ في عروقي الأنثى ... شق للنور في قلبي كوة . . هل الشموس شريرة حين تحيل قلوب البشر إلى صحارى تتعارك رمالها .. يجف فيها صوت العندليب. . . كنت كهؤلاء الناس المغرمين باقتناء الأتن ،الواحد منهم لاتعجبه الاتان إلاّ إذا رأى رجلاً آخر يركبها ... يراها حينئذ جميلة ... يسعى جاهداً لشرائها ...

حتى لو دفع فيها أكثر مما تستحق . كان (زبالة) قد امتطاها ، كنت آنئذ أعيش حباً .. أريد تملكاً ، كنت أعرف أنها أعظم أسطورة مرت على الشفساه .. أردت أن تسقيني لذاذات الأكاذيب العذبة لأنسج لها خيوطاً دقيقة من الأوهام : تقول : إنها ترى في عيني لمح السراب في الصحارى الحارة وتسمع في صوتي صرخات الوحوش الكاسرة في الغابات .

اقول لها: انني ارى في لزوجة شعرها سنا نجمة الصباح ،في هلال ابتسامتها زورقا فضياً يعوم في نهر من عنبر

كان صوتانا يطفوان كأصوات ميتة طافية على سطح بحر عظيم :

(– لانصدق قوله إنه يكفر بكل مالدينا من ذكريات ... لأحدثكم بكل شيء .. بدقائق حلمنا اللذيذ ...

مع الضربة السابعة للقدر يدلف حبيبي غرفة الربيع ... خضرة ورقة الخباز فيها ... خضرة لب الفستق ، أرضها بستان أزهر فيه الشفق ... الأقحوان .. البنفسج.. الورد الأحمر .. الأصفر .. الوردي .. الأسود غصن البرتقال .

مقعدهُ ربيع أخضر .. إلى جوار ربيعٍ أخضر .. منذ أيام بعد رحيل أخي .. طلب اليّ أن أجلس على ربيعٍ أخضر .. لصقه .. أتنسمُ عرقه ... رائحة كاملة .. رائحة الأوراق المتعفنة في غابات دجلة .. رائحة المطر في الأرض المجدبة .. رائحة الخضرة في بساتين الضواحي ...

قال لي بالأمس فقط : عيناك أمامي .. سماوان صافيان صفاء سماء حزيران) . لاتصدقوها ... الناس في عصرنا لرتابة حياتهم ... يجعلون من أي حدثٍ مهما صغر شيئاً عظيماً أكبر من الأحلام يعيشون عليه :

(أرجوك. دعني أتحدث . تحدثت طويلاً عن عشنا . عش الشهور الأربعة في جانب الربيعين صحراء رملية صغيرة .. تقابلها صحراء رملية كبيرة .. طالما

افترشناها نلعب الورق ... نستجلي حظنا ... نلعب النرد ... نستجلي عيبنا ... نلعب الدومينو ... نقطف اقحوانتينا ... نلعب الشطرنج نقتل ملكينا وزيرينا ... نحتمي بقلاعنا ... نمتطي خيولنا ... نصطاد من فوق أفراسنا :

في جانب مما نجلس حياة كاملة ... بشر ينحتون الحجر ... آلات تفجرت منذ عصر النهضة ... برجٌ يشمخ إلى السماء ... بقايا ناطحات سحاب ... برج ايفل ينقل الينا في صور ... دن خمر ... دن فكر ... زهريات ربيعية ... مدافن لاعقاب السكاير ... صحراء، صحراء تذكّر بجحيم اللذة ... تقابل شيحان من بقايا معابد بوذا ... أسودان بلون الموت ... شيحان للفناء ... يضمان أجداثاً لعقول مرّت عبر عصور سحيقة وحديثة) :

كم أكرههما: لحدان يجثمان أمامنا دائماً ... قبرا حبينا ... اللذان ماتا قبل أن يولدا ... وسط حياتنا هذه يجثم عقل استاذي الذي تحوّل إلى قمر ، كان يجلس على مقعد يزرع كوعيه في رأسه ، يفتح صندوق عقله ... ينثر من لآليء كنوز سليمان لحيوانات لا تعرف قيمة هذه اللآلي ... حينما تراها تملأ منها هواء البطن تسحقها في امعائها لتخرجها سمادا ...

(– يجلس فوق ربيعه ... أسمرّ على صليبي ... أجول في عيني الشمس عينيّ .. شمس حياتي ... أركب ظهر الليل ... امسك عنانه ... يمتطي ظهر السحاب ... يعلو به طبقات السماء السبع ... نقفز من نافذة العالم مسحورين ... نلتقط كلماتنا الحلوة .. كلماتنا المملوءة شعراً ... كفاه دفء يشل إرادتي ... يخدّر روحي ... ادافعه وأنيم فؤادي بعمق جروحي ... جفوني يثقلها السهر يهمس في أذني : كم انت حلوة ! ما زلت حلوة ..

– لأني احبيتك أبدو حلوة) .

– لا تصدقوها ... انها تمضغ قرص الشمس من موت محتم . تريثت وأنا

أمسح براحة يدي ظاهر عنقها . أقبلها مع كل قبلة ، أحسّ أن عضلة في جسدها ترتخي : تألق وجهها ، لمعت عيناها ببريق خاطف ، استطالت نظراتها كأنها تنظر اليّ فترافي رمزا ليسَ حقيقياً . هكذا وجدتُ نفسي فجأةً ، دون رغبة في فعله لكنني فعلته ، لابد أن تفعل اذا ما أعوزنا الاختيار ، إذا قبضنا الريح ، اذا دوّرنا الأصفار . قد نجد المعنى وراء عبث الحياة ... فالعيش في هذا المدار المغلق انتحار ... في عصرنا يصنعون الخمر من دموع موتانا ... يصلبون الشمس في الساحات ... يمتصون من ضوء القمر لجين الممات .. يتحولون إلى صيوان وحجر يحركهما تيار العدم ...

فجأة كما بدأت ... احسست أني محال ... شفق المغيب دم :

(– كان حناءا في قدمي)

النسيم رياح خماسين تصهرنا

(– كان النسيم الذي يلاحقنا من الوادي يحمل عطراً ينصب في مساماتنا)

قرص الشمس انتحر فوق الافق الغربي ، جيوش الظلام المعسكرة غير بعيد ، وثبت في لحظة قوة ، احتلت حياتي ...

(– كانت جحافل الظلام ظلالاً مسحورة في جو أخضر) .

كفى .. كفى .. خسرتِ الحرب لأنك لم تعرف كيف تختارين .

(– أرجوك لاتنطق الكلمة)

لاأستطيع تزييف ذاتي ، عتمت ذاكرة الحب وغامت . صور الأحلام .. الحب شبح :

(– من ؟ هل هو وجه القمر ؟)

(– رابعة .. إنتصار .. رجاء .. نجوى ..) .

– أحبها .

– من ؟:

– انتصار :

– ملحمة قديمة :

– ستتركني إلى الأبد ؟.

– لنكن صديقين ، أجد في قلبك النبع الذي أبلّ منه ريقي ..:

(جلسنا ننحر الزمن .. نغرس الدبابيس في الثواني .. نلعب الورق..– مات الملك

– قتله جندي مجهول جاء من وراء الغيب من خلف الافق .. بلون دماء الشمس المنحورة في الشفق ... استطال عقربا الساعة ... عقرباها طوق في عنقي يخنقني ... تدلت رجلاي ... زاغت عيناي :

– حانت ساعة الرحيل :

الساعة قدر ساخر لايحسن غير النبض ... مشنقة من حبل مدور .. خنقني عقرباها .. تركاني مهتزاً في الهواء ... من غير عينين ... من غير حواس .: من غير حياة .

– الساعة العاشرة .. لابد أن أصل إلى مدينة الموتى حيث أعيش

– لكنك ستحيا ... الحياة تنبع من مساماتك .. تتصاعد من روحك :

ابتسم الشقيق ومضى وتركني وسط أحزاني وسط أحلامي المنحورة بيد طالما قبلتها عيناي .

جاءني الهدهد :

– من أنت ؟!.

– هدهد سليمان .

– ماخبرك ؟!.

– يريدك سيدي سليمان .

– بلقيس أجمل مني :
– سيدتي بلقيس سائمة :
– هل يريدني عشيقة له أم زوجة ؟!:
– يريد أن يبدد سأم سيدتي بلقيس :
– أنا لا أجيد الغناء ... ولا الرقص ... لاالفكاهة ولا الشعر . ولا الحديث .
– تجيدين الموت :
– الا تراني ميتة ؟! .
– سيدي يقرئك السلام ... يرجوك ان تبقي على بعض حجيراتك ليكون في موتك نفع مادامت حياتك لم تنفع ولن تنفع .
– كيف ؟!؟!.
– يريد ان يبدد سأم سيدتي بلقيس بمنظر موتك .
– سيحرقني ؟.
– لست جان دارك .
– يسممني بأفعاه ؟
– لست كيلوباتره :
– يقطع رأسي ..: يضعه على طبق ؟؟ :
– لست يوحنا المعمدان .
– يرجمني بالحجارة ؟.
– لست مريم المجدلية :
– يرسل عليّ الطير ؟ :
– لست أبرهة :
– يحولني إلى عمود ملح ؟ :
– لست زوجة اوط :

– أزف الوقت ::: أمر سيدى سليمان الجن أن تحمل صليبك الى أفق السماء الشرقي حيث تصلبين على نغمات مزامير داؤد) :

وافقت المسكينة ، اخبركم الحقيقة : لم ولن أحبها : كانت لولؤة كبيرة في العقد قوية ، أصبحت هشة بين أناملي ، سحقتها باصابع أربع : في شهور أربعة عبر الزمن اللامعقول من السنة المليون بعد الألف : لم أفتح ثغرة في قلبي لأودعها فيه ، سحقت قلبي اللؤلوي منذ زمن ، منذ خطفته رجاه لتعطيه إلى نجوى ::: صحيح أنني استرجعته ::: صحيح أن قلبي استرجم صلابته .. بعد ان غسلته رجاه بدموع نجوى ، ::: لكنني عفته ،.. استبدلته بقلب آخر ،.. نظفته جيداً بالتايد ، وضعتُ فيه انتصاراً حبى الذى لم ينته ابداً لو انتهيت ... لكنني هل سأنتهي ؟!:

الزمن يدور ::: الثواني ثقّلتهـــا الدقائق ... الدقائق تصلبها الساعات ... الساعات قلب الأيام ... الايام عقل الاسابيع ..: الاسابيع روح الشهور ... الشهور قلب السنين ::: السنون وحي الزمن .. هل سيموت الوحي ...: وحي الأزمان والأسكنة ... دعوني في سعادتي مع انتصاري ... وداعاً أرجو الا أكون قد اثقلت عليكم :

• • •

الفصل الخامس

الضياع في أتلانتد

– هادى –

في الليل تفلت الاحزان من اسارها .. يرفع القناع عن وجوهها ... لتنفذ الا حزان إلى أعماقنا ، ترف كما ترف الأهداب الموجعة ... تحصد النعاس من العيون .. فيستبين في داخلنا عالمنا المهزوز مصدّع الاركان .. قفراً كئيباً ...

هل عرفتوني ؟ ... هادي انا ، من انسان هذا العصر انسان خامل فقير ، منه تأكلت جذوره ... تسطحت أبعاده ... سدىً تريد الحياة .. كيف تنمو حيث لاأعماق ولا أمتداد :

لاوقت لدي لأقص حكاية رحيلي ... لاوقت لدىّ فشفاه الجرح الوردية تستنزف عمري .. تأكل آخر وقتي :

ولدت يتيماً ...أشدّ يتماً من ليلة بلا قمر .

صاح المنادي :عاد السندباد بلا سفينة ...بلامال ...بلاجوار .

عبر الزمن الضائع :

صاح المنادي ..مات أبو ذر ...فقد العالم إنسانه ...فقد الحليم حلمه ...مات ابوذر زرعوا عمامته ...لحيته ...قلبه الطيب ...أثمرت العمامة أفاعٍ ...أزهرت اللحية غرباناً ...مات القلب الطيب ولم يزهر ...أكلت الغربان الافاعي ...ماتت الافاعي والغربان ..لم يرجع أبو ذر ...مات وابتعد ...رحل إلى حيث لاوصول...إلى حيث الوصول رحيل جديد ... أنا الذي لم أعرف أباذر .. يوم عاد.. يوم مات اخترت الابتسامة ... لأطهر مكاني من عذاب الأحزان لأجعل الشقاء يطفو على :: صفحة تيار يجري علينا خوض عبابه ..ناديت الحزن لأمزّق شدقيه ... كنت ملك الربيع ...سلطان الزمان ...مطر الفكر يتساقط على يدي ...كتب تذوب في نار عيني ...غناء يتعالى من لساني مزامير أ واحلاماً عزفتها كتباو اقلاماً تمثلتها في نار

جميلة نلتها كنت عصفورا قافزا ...يهبط الارض ... يلتقط الحب الذي يريد لاما ينثره الاخرون أمامه ...تعرفت نشيدي ذات صباح ضاحك ، كان حزيناً متعبا ..ان من يصيبه الدوار يعرف ان الصحراء يتنابها جنون غريب يتنابها نفسها لترى نفسها .

انطلق نشيدي .

– تبدو وحيداً .

– مثلك ؟

– اسمي هادي .

– ازادى (محمود) .

– سأخطف نجمة لاخطّ لك كلمة .

– احاول الكتابة .

– اتذوق الكتب ، سلوتي الوحيدة .

– وقلم لذيذ.

– تماما ،ونغم جميل ...

– وسير في الحقول .

– ونجاح باهر ؟

– انا متشابهان .

– تماماً ... غير الشكل :

– كلانا نحيف .

– أنت أبيض .

– أنت أسمر .

– أنت رقيق الجسم .

– أنت قوي .

– شعرك شمس ربيعية .

– شعرك ليل مدلهم :
– صوتك شحرور خائف .
– صوتك رعد مخيف :
– أنت في طول غصن .
– أنت في طول شجرة .
– ضحتك نغمة ناي .
– ضحتك ضربة طبل :

أحبني صديقي المقرب الأثير ، صداقة تشدني اليه من سنين .. وده ذاك الحنون حبه ، نسمة رخية الظل تندى على روحي المبعثر الكئيب كلما تعثرت خطاي في مفاوز الدروب .

أحبّ وأحببت :: وجدنا أن حبّنا لبعضنا أبقى وأخلد :: مات حبه لغيري دفنت حبي لغير وعدنا لبعض – لفني محمود اليه ، جمعت محمودا في قلبي .. هنا استقيت الحب وارتويت ... هنا استرددت ذاتي التي تحطمت بعد موت أبي ذر عندما سلّب أهل الردّه ماتركه أبو ذر .: سرقوا حصيره .. لبسوا خرقه .: حصدوا الهباء من لحيته التي زرعوها .. أماتوه .: أماتوا خيره .. لم يمت الخير فيه :: هنا اكتشفت من انا .. عرفت معنى من أكون ..

(حنانيك صديقي ::: الزيف مات .. أطعمته الدود في قبري :: دودنا الزائف :: تعريت أنا .: نقياً طاهراً .. لألقاك كما كنت دائما من غير زيف :: في حب من نقاء :: لونه لون العدم .. لونه لون الفداء :::

صديقك محمود ::: خادعك محمود) :

لمَ لاتدعني أتحدث ؟ لقاؤنا قريب ... دعني في غفلتي إن كنت مخدوعاً بحبك.

مرّت الايام ، جباراً صار ، بوقاً اصبحت،عزفي لحناً ، لحناً ناشزاً . حذاؤه يضرب بشدّة ، بوقي ينشد للبلابل الصغيرة . قدمه تميت الحياة ، بوقي يزهر الحياة خطوته تسوق إلى العدم ، نغمتي تدعو للبقاء :

أراد نزع بوقي .
أردت أن أرمي حذاءه بعيداً .
– كن في صفي :
– أرقص على نغماتي .
– لاأجيد الرقص .
– لم أتعود الضرب .
– لتكف عن الغناء .
– لتكف عن الضرب .
– اكسر بوقك .
– حياتي في بوقي .
– استبدل بوقك بطبل .
– استبدل حذاءك يخف .
– لاأستطيع السير فيه .
– لاأستطع ضرب الطبل ؟
– احتاج لعصا غليظة .
– أنا اكره العصي لعضلة هرقلية لاأملكها .

وافترقنا

عيناها شوكة في القلب .. أحميها من الريح .. أغمدها وراء الليل والأوجاع ليشعل جرحها ضوء المصابيح .. ويجعل حاضري غدها :: عزيزاً :: عزيزاً كأرواح أجدادي .. ولا أنسى لقاء العين بالعين .. لقاء الروح بالروح .. وشوق الشفة العطشى إلى غدران تموز :: كلامها أغنية .. كلامها سنونو طار من قلبي .

– اسمي أمل .
– أدعى هادي .

صعيتُ اليها كما تسعى الأفلاك في الفضاء :: قلبي يدق كما يدق اليتيم باب آويه .
رأيتها في خواب القمح والماء ، رأيتها في غسق الصباح ، في أصيل مسائي ، رأيتها

في شعاع الدمع والجرح ، جميلة كالأرض كالأطفال كالفُل . خطت من رموش عينيها منديلاً كتبت فيه آهاتي .

(احبيته .. لاأكذبكم .. أكثر مما احبيته .. كنتُ أفكرُ في مستقبلي .. لست شاعرة .. ولا فائرة .. أنا ربة بيت .. أم .. زوجة .. فتاة تريد عملاً .. لامن أجل العمل .. بل من أجل المال .. أنيقاً .. رقيقاً .. متفوقاً .. كل ماتريده فتاة في زوج .. الشباك حوله كثيرة .. القيت شباكي .. سرعان ماصطدته .. فرحت أولاً .. حزنت .. ساذجاً كان ... ذكياً في كل مايتعلق بالكتب ، والدروس ... ساذجاً في كل مايتصل بالحياة والحب .. زوجاً جيداً .. لاحبيباً .. مع التفاتة صغيرة .. وجدت الحبيب في صديقه .. يسميه أبولو .. أدعوه أبولي الأسمر) :

(— فتاة جميلة ذكية .. استلطفتها .. لم أحبها .. وكيف أحب وقلبي ليس معي ؟! : إنها خطر محدق بصديقي هادي ، ستوجع من آلام لاوجاعه :

قالت : تبدو عاشقاً

— من سنين :

— لقلب عذب

— قلبي أعذب من العذب لأنك تحبني :

— العذب في داخلي ، عذبك لغيري : أحتفظي به له فهو عذب :

وافترقنا :

أرادت الوقيعة بيني وبينه، سرعان ماأدرك الهاوية التي كاد أن يتردى فيها. لملم جراحاته وابتعد .

الجرح مازال يضحك منه ..يترف في داخله ..جرح لايعرف الصمت ..).

افترقنا بعد لقاء كاد يمزقنا غماً لاشوقاً ، في أكداس الورق سلوى وبين صور الأحلام مأوى .تزوجت أمل باكية ،تتغنى بحب مات تطلب له الحياة .

سلومي تأكل رأس يوحنا، انا يوحنا ذو الرأس المأكول، دائما رأسي على طبق، تتلمظ حوله سلومي وهي ترقص رقصة الجوع المنتصر :

فتحت الباب والشباك في ليل الأعاصير.. على قمر مصلوب في لياليا ..وحان وعدي مع الكلمات والنور.. مع سيف مشرع في اليد ..ليثأر من مصاصي الدماء ..مع انسان ..جاهد بفم مشوق مدمى لايعرف الابتسام ..بلادي طفلة عبدة ..تموت القيود على رجليها لتأتي قيود جديدة .فرعون مات ،نيرون مات. كنت احلم ببحر الرماد الذي سينبت من بعدي ،من دمي ..من رحيقي.. نبيذاً أو قمحا ،وأني لن أطعمه ،لاني في ظلمة لحدي وحيداً مع انساني، مع (ثائر)، الاله الانسان، وفي شفتينا بسمة منعمة ..لأننا زرعنا مع الأخرين بذره أيامنا القادمة .

(— دعنا من الذكريات ياصديقي ..هل عرفت صوتي ؟! أنا من ناديتني الان ثائر أنا ..أتذكر ..إني أتذكر جيدا .. اتذكر السجن والاسلاك ..اتذكر العدل المشنوق فوق عرش الملك ..القمر المصلوب فوق المآذن ..أتذكر.. عندما كنا نحشر في أحشاء الزنزانة ..في السجن الأغبر ..نتنهد ..عندما نسمع قصة حب ..ونهلل عند تمرد شعب يتحرر) ..مازلتُ أتذكر يوم رموك رصاصاً أخضر ..من دم انسكب هدرا ..في يوم اضراب أشرق من أجل انسان أفضل ..من أجل حلم مات في قلبك.. ولم يمت في صبح أسعد عميت عيون في انتظاره ..ثم ينقع الصبح الأبلج ...لنعود شمس تشرق في شعاع دمك الأخضر .

قتل الحلاج فداءاً لفكره ..أخرجني القاضي الذي شنق الحلاج ليثبت للعدالة المصلوبة على منصة الفضاء ...ضربت الميزان بحجر لأعيد توازنه ..تفتت الحجر ..بقي الميزان مائلا .

صاح بي القاضي: هكذا ميزان العدل دائما ..ألم تر مشعل الحرية في نيويورك إنه ابن عم لميزان العدل ..وابنة عمها المساواة العنصرية ..في بلد تمثال الحرية هكذا وضعها روبسبير منذ فجر الثورة ...ثم اغتصبها نابليون ..

مات من أحبني ..مات أخي الذي أحبني كما أحب قضيته ...مرت الايام ياصديقي ... مجدبة ..مطمورة بالثلج والآسى ..وقلبي الوحيد ينطوي على ضفافه ... يطوي

على ظمأه

اخذ محمود بيدي .. أخذ قاتل الحلاج بيدي .. أخذ قاضي الحلاّج بيدي

ـ مازلنا معا صديقين حبيبين :

ـ مازلنا ؟! في نفسي شيء مات .. قتله فقد الثقة .. صلبه على ميزان العدل :

ـ لنكن لبعض كما كنا .

ـ لنكن ..

ـ لتقوي رباطنا ، اطلب يد أميرة :

ـ اطلبها منها :

ـ انتحر الطلب على لسانه .. اميرة فراشة تولع بالازهار ، الاحذية السوداء خطر عليها ، تهددها بالانسحاق ... تهددها بالعدم .

ماتت الرغبات في نفسه الاّ رغبة رؤيتي ... في عيني صلب ليلاه ،

لم تفسه لمن نذروا أنفسهم لأنفسهم ، أكل فتاتهم ، سكر بلعابهم ، نام تحت اقدامهم كلب أمين ، حاد الانياب ، خطر متوحش على أعداء أسياده ، أليف وديع مع أصحابه ، لايني يهز ذيله كلما مسح عليه قدم من الأقدام الصغيرة الحلوة ، في أحذيتها البراقة اللامعة وبدأنا الصراع .

ـ كن معنا .

ـ لي طريقي .

ـ طريقنا أسلم :

ـ طريقي اكثر عدلا .

ـ في نهاية طريقنا مقعد وثير .

ـ في نهاية طريقنا شعب يطلب الحياة .

ـ طريقكم مفروش بالأشواك .

ـ طريقكم مفروش بالخيانة .

في فجر اليوم الذي تحرر به شعب استعبد به الشعب .. تحرر من شخص استعبده اشخاص ، كسر عرش ، اقيمت عدة عروش من غير قوائم :

ذهب بعيداً .

ـ سأعود عند الغروب .

وتركني :

انتظرت على الرصيف المتعب .. رصيف الحياة .. قطعوا عنقك برصاصة حمقاء في الافق الغربي . حملت دموعي .. غطيتك بمنديلي .. بقيت وحدي .. أنا وعيناك .. أنا وخطاك ..

سفحت دمي فاستفاقت جراحي .. سفحوا دماءهم فاستفاقت جراحاتهم ، لونت القمم بالخضاب .. نشرت جناحي .. تعانق أجنحة مهدبة تريد أن تطير .. يترقبها الصيادون .. جمعتنا سراء المصير .. ضمنا في الأمى والمصاب .. عمل في النهار .. حلقة مستديرة من رؤوس .. أنغام خافتة من شفاه .. تخشى رفع الصوت خوفاً من انتشار الصدى تعرى الكلمة الناعمة .. يبدو وجهها الثاني عبر المسافات الجليدية خلف متاهات ضبابية .. حيث تشرق الشمس لتبدد الضباب .

وجه كئيبة القسمات .. آملة الروح .. مرت عليها نفحات الظنون فأذابت زهرة الابتسام ولم تذبل شعاع اليقين .. أوجه شقية تحمل ثقل السنين وأساها .. أمل فجر جديد .. يبدد حزنها وشقاءها .. فجر يلمع الحلف المقدس .. حلف القلب .. الحلف الاوسع . ازدهرت حدائق المدينة في شوارعها .. صدحت بلابل الغاب في ميادينها ..

ـ أوقفوا هذا البغاء .

ـ أيد ترتفع .. أصوات تبح .. حناجر تهتف .. رؤوس تضرب .. رصاص يلعلع .. أيد مقطوعة .. وجوه غزاها التراب .. ماج في عينيها كنز السنابل .. يحضنه الحقل خيرا مطلا مات النهار .. مات الأمل .. ذبلت الازهار في الشوارع .. عادت

م/٤ ـ نوح

إلى أفنانها تسعى إلى الشمس .. فقدت البلابل أصواتها .. عادت إلى أوكارها .. تبكي صوتها المفقود .. أمسكت البنفسج (سلوى) .. سلواى .. اختفينا وراء شجرة .. احتوانا دار أينع فيه الطيب .. تفتحت قلوبه للخيرة .

– امكثاهنا حتى يخف التفتيش .

(– كان هوانا جميلا كزهرة الشفق .. عنيفاً عنف الدماء المهدورة .. كنا معاً نغماً واحداً عميق الرنين .. فسيح الصدى .. يزهر ولايتلاشى) .

كنتِ حبا نقياً لقلب كسير .. على شطآن حبكِ احترقت كل آلامي وأوجاعي غسلت آلام انساني .. شعبي المضاع .. وسدت رأسي قلباً سخيّ العطاء .. دلف النقاء كلينا .. وغنت بأعيننا الشحارير .. واشرق الزهر في شفتينا .. ترسّب في عيني شيء ثقيل عندما قابلت السور .. مظلم ثقيل كآلامي .

قفزت لأجتاز السور .. سقطت مضرجاً برحيق قلبي .

– مجنون .

– أحبها .

– لايمكن ان تتزوجها .

– أحبها .

– من طبقة غير طبقتنا .

– أحبها .

– جدتها غسالة .

– أحبها .

– تزوج قريبتك .

– احبها .

– سميتما لبعض منذ ولدتما.

– احبها .

– اخترْ بيني وبينها .

– احبكما .

وانتصرت أم البشر على آدم المهزوم دائماً .

اكلت قلبي.. طردني الإله من الجنة.. عندماسقطت على الأرض .. حملني المسيح صليبه. حملني يهوذا لعنته : الاّ تحب ولا تحَبّ حتى النشور

(– أجبته.. تجسدت روحه في لوحة قلبه.. لونتها بإحساسي.. سكبت في عينيه حزني أسقيت خديه من ألمي وغمي.. وفي شفتيهسكبت حبي ولونت رضابها بدمي.

انا الآن أم لأربع أزهار يانعات وزوجة لانسان يحسن الملف والنوم .. وضرب الأرض اذا سار.. الماضي لوحة قديمة.. ألوانها بُهتت.. زواياها تشققت.. اعذروني ..انني مسرعة.

إنهم ينادونني : ماما سلوى

سأعد الطعام.. احد الاعمال التي أحسنها.. وما أقلها بعد أن تتحول إلى قطعة اثاث في بيت قديم يضم أثاثاً قديماً).

عيون هاجرها النوم.. آذان تتوتر في الكلمات.. الريح هادرة وراء حدود الصمت تندلع صارخة في صحارى عمري.. تلهث خلف نفسي الضائعة.. تركض في دائرة من موت يحيطني.. الأنجم تشتعل شهباً.. تتساقط ركاماً.. زارعة اشعاعاً حياً في الربوات.. جليداً أبدياً في قلبي.. في قلب قعره الحب.. لم يقهره الموت.

(– ماذنبي انا.. خطيبته.. ولدت قبله بأيام يدعونني (مسكينة) – عندما ولدهادي.

قالوا : خطيان

ترعرعا معاً.. أحبته.. لم يحبني.. نحيلاً كان.وممتلئة كنت.. سريعاً هو.. بطيئة أنا.. فقيراً بماله.. فقيرة بمال أبي.. مات ابوه.. عاش أبي.

– اكرهكِ

– احبكَ

– استولى أبوك على كل شيء

– لم يجد ابي شيئاً

– تكذبين

– نحن نعبلك

هرب من يومها.. أخذته أمه ورحلت.. عملت خادمة في دار .. عرفت بعد ذلك اننا نعيش بماله.. الذنب ليس ذنبي.. أخرجوني من المدرسة.. برز في دروسه.. تقدم لي الخطاب.. والدي يحلم به

مات أبي، رحل هادي بعيداً.. درس.. عاد.. ثم رحل ثانية ليدرس.. ثم عاد.. كل يوم يمر يزداد فتوة .. ازداد شيباً .. تزوج .. لم اتزوج .. أعيش كما عاشت أمه .. أخدم الآخرين .. الفرق بيننا كانت تعيش بأمل حققته .. أحيا لأموت من دون أمل .. أملي الموت .. ألاتنصفوني .. لم لايضرب ميزان العدالة بحجر ليعدل من اعوجاجه .. لمَ لم يفعل هادي ذلك .. لمَ لم يفعَل ؟!).

الإله يرمق ملايين الرعاة .. مازال راعيا لهم .. يُمزقون له الذبائح .. تتحجر عيونهم عندما يقدمون القرابين .. ألسنتهم اسطوانة مشروخة .. يسجدون الليل حتى منتهاه .. يسرقون النهار حتى موته .. يسود الصمت وراء الزيف .. يضج إعصار الحقيقة بين الاغلال .. يسود الكذب والرياء ،سرقة اردية الموتى.. السطو على وجوه الآخرين .. الغوص في جيوبهم .. أكل مافي أمعائهم .. ابتلاع ألسنتهم .. تلف الكلاب أذنابها خزياً .. تبيض أجنحة الغراب شيباً .. تطول أعناق السلاحف والخراف كبراً .. تسكن أسراب الذباب جذلاً .. يضج في أعماق البشر زيف منافق قاتل .. تسود أيديهم..تطول أذنابهم...تقطر أنيابهم سماً .. وهم في صراع دائم من أجل زيف مبتغى .. يدعونه حياة .. كرسياً متداعياً .. مالاحديدياً .. فتاة رضة من غير قلب .. باباً يتداعى من كثرة الابتهال .. وأنا مازلت صانعاً ينحت لعباء، لعباً وضعها الأسياد في خدمتهم في كل زمان لحماية ملكهم الذي لايبيد في حضيرة البشر .

في آخر القفص حيث أصنع لعبي المشروخة عشر مرات في اليوم .. عصفور أبيض منفي ينهل من يدي .. يرفّ جناحيه عندما ينقر الحب من يدي .. عصفور اصطادوه فهرب .. طار في أجواء يمتلكها أبوه .: نقل الحب من بيادر القلوب .. قلوب العذارى .. ثم حطّ على بيدر كثير الحب .. طلب اليه البيدر أن يكبر مادام الحب كثيراً .

والتقينا

في كفي دفء من كفه .. في قلبه يكمن قلبي .. هو في صفي .. وأنا في صفه .. علمني كيف أطير .. رفرفنا عالياً فوق الحقول الحزينة .. الحقول الخضراء .. وسط الجدب .. وسط الحياة :

– أنت طريقي :

– ألم تختر طريقك بعد ؟!:

– اخترت لكنني سئمت .. يدي ازدادت خشونة :

– أليس ذلك أفضل ؟

– أخشى على عصفوري أن يتمزق ، إنه حياتي ووجودي ، بيدري الذي أنقر حبه :

– ماالذي تريده !:

– أسير معك .. أحتذي خطاك

– كنت (هادية) – كان (ثامري) – كاد ان ينسى البيدر .. في صوتي دفؤه .. في نظراتي مأواه.

– إنني أحبك.

– أنا لولا حبي قفر.

– صوتك دفء يشل عنادي.. يخدر روحي.. يلثم جروحي:

– لتضحك السماء لك.

ونعود بعد ان أصنع لعبي وينهل من مهارتي إلى جلسة هانئة نسمع عزف بعضنا:

نتحدث بلسان بعضنا.. نصلب اجفاننا بعيوننا.. نقتل الملك والوزير.. الخيل والفيلة.. نسقط القلاع على رؤوس الجنود ضاحكين.. نمزق الورق قطعا.. نبني بها قصراً مسحورا يلفه دخان أخضر.. يشرق فيه نور الأمل.

وفجأة يهبط الملل.. نضرب اعواماً في التيه.. نكتشف أنا عبدنا أصناماً مكذوبة وكأن الغربة دَيْن موقوت تؤديه أو نقتل.. الموت ارخص من الغربة.. اشتريت ورفض اختبرت طريقي.. دفع الدين.. اعادني إلى حياة السأم ، أليس هذا زمن السأم؟ جدفت بالقلب .. أنزلت الحب من عرشه.. قطعته بسكين هولاكو.. لقط قاتل الحب أفعوان الحب ذو ألف لسان .. يملك ملايين الأنياب.. تنفث سماً لا يميت.. يشعرك بالسأم بدلاً من راحة الموت.. ينغرس فيك يوجعك.. يصيبك بآلام كل المنسحقين دون أن تسيل منك قطرة واحدة من دم.

– لقد تغيرت.

– انا احيا .

– انت تموت.

– لا معنى للالفاظ.

– للالفاظ معنى الحياة.. الحب.. الشبع.. الارتواء.. التملك.

– الفاظ سكين تشق اللحم. تذر الملح والفلفل.. وكل توابل الهند .

– همبركر لذيذ.

– لحمي مرّ.. أشد مرارة من حياتي.

– تجيد العزف على الالفاظ. واللعب تحياها لحناً يَخدع السذج.

– ألفاظك خواء كالحياة.. كحياتك وحياة الآخرين.

– الفاظك قاتلة برفق.. خالصة الكفين من الدم.

– اشياء تافهة هي الالفاظ.

– إيمانك بها كبير.

– إيماني بالعدم أكبر.. في عالم الخواء والعدم.. عالمكم.. عالم الامتلاء حتى الموت.

(– احبيته .. كان نغماً غريباً بين كل الأنغام .. الأنغام التي عزفت لأطرابنا .. بدا ناشزاً لدى البعض .. غريباً .. بالنسبة لي، كان لحني المفضل .. أدمنت اللحن .. عشقت الصوت .. همت بروح كأجنحة العصافير التي طالما أحببتها .. تركت براءتي عملي .. تركت قفص دجاجاتي .. سرت وراء مزماره .. عندما امتلكت مزماراً بدأ يتجلد .. استحال تمثالاً من ثلج .. صحيح أنني أعزف كالآخرين .. صحيح أن عزفه لم يعد يروقني كما كان .. الحق معي .. ورائي نصف دزينة من أفواه الضفادع التي لاتعرف الشبع .. انني أخشى كل شيء .. أسعى إلى مأملأ به الأفواه الجائعة .. لاأنكركم .. بدأت أحب نقيق الضفادع .. أكثر من حيي أنغام المزامير ..

انني مسمر على سرير .. يغني كل ليلة بينما يستلقى هادي كل ليلة على الصليب ينصت إلى المزامير .. كم أرثي له .. ليس في اليد حيلة .. أريد انقاذه من الصلب كل ليلة .. أريد إسكات المزامير .. لكنني أضعف عن إيقاف نملة) :

دقات الثواني سأم .. حركة عقربيّ الساعة سأم .. كل شيء سأم .. نفخ المزامير .. حرق السيكارة .. الدفن في جسد امرأة .. الموت في غياهب العدم .. كلمات الحب .. عمق الألم .. الندم .. الرضا .. الحياة .. العدم .

(دقات الثواني نشوة .. حركة عقربيّ الساعة أمل .. حرق سيكارة .. وامتطاء دخانها بساط سحريّ .. التواجد بين ذراعي إمرأة حياة .. كلمات الحب تجلي .. بعث الحياة رضا .. أحيا لأجل أن أحيا .. أجد في جدي فجر مستقبلي .. في عملي امتلاء جيبي .. في شعري نغمة قلبي .. في قراءاتي تطلع فكري .. في حبي أملي حبي كبير كقلبي .. أجد في انتصار إنسان لإنسان .. في رجاء اشراقة الصباح .. في نجوى إيمان الصبوة .. في أميرة نبل العاطفة .. في صداقاتي تجديد لحياة . حميد ضحكة كبيرة تملأ شدقي .. قبيح نشوة عظيمة تملأني صبوراً .. باسم قوة وأمل ..

هادي صانع ماهر :: محيط من أفكار :: أكاد أن أسبح في أجوائها كصاروخ خاطف .. جلساتنا .. حديثنا .. ضحكنا .. غناؤنا .. قراءاتنا .. بكاؤنا أليست حياة في حياة ..

تعالوا مرة عندما يضرب قدري ضربته .

— اسعدت مساء .

— ماذا تحب أن تسمع ؟.

— نجاة ؟.

— شكل ثاني .

— نجاة تغني وأنت ؟.

— اقرأ شعراً :

— نلعب الورق .

— نصنع شاياً كخمور فرعون :

— والعشاء .

— عندما نجوع :

— ونشبع من دون أكل .. أقول : هل سمعتم مزامير داؤد ؟ هل نظرتم في عيني الحياة ؟ هل استقبلتم بسمة الفجر .. هل قرأتم فلسفة جميع الفلاسفة .. هل أضحككم مهرج هرون الرشيد ؟ .. اصحبونا اذن لتعيشوا .. لتحيوا كما يجب أن تحيوا) .

لاعمق لآلامهم..لآلام لهم.لايحملون وزر الحياة... ازاهير يانعة السأم يغسلني طهارة بيضاء .. تنبت القبور في أغصان الشجر .. تدفق فيها جثث الأفكار والأحزان :: الآمال والرغائب .. الحب والكره .. التوق والأمل وأنا أنبت في هذه التربة .. أستطيل .. يتجمع هيكل انسان .. هيكلي .. إنسان هذا العصر .. إنسان الألم .. إنسان مهزوم .. فقد الإنسان فيه .. فقد الإنسان في كل الناس .. لم يجد غير الخواء والعدم :

تسألونني : ماذا وجدت في رحلي ؟ .

اصارحكم .. لم أجد غير الخواء والعدم :: لم أعش لأنتصر .. لم أعش لأهزم .. ثم رحلت :: رحلت لامن أجل النصر :: ولا بغية الهزيمة .. رحلت لأجد لذة الرحيل .. فلم أجد غير السأم والملل .

الوصول سأم .. الرحيل سأم .. كل شيء سأم في سأم .. الولادة .. الموت .. الوجود .. العدم .. الحب .. الكره ...

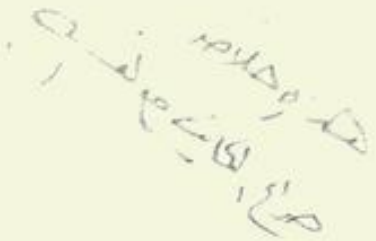

الفصل السادس

العودة الى ارض الميعاد بلا ميعاد

— ثامر —

كنت في معملي عندما وصل الخبر :: هادي رحل..

تركت العقول الجامدة التي لم تفهم أبداً (لماذا ضرب زيد عمراً) .. أقبض لقاء عملي مبلغاً زهيداً بالنسبة لعدد الأفواه التي أعلفها .. هادي دفعني إلى هذا العمل .

(— لاتصدقوه ، كان يحسدني دائماً على ربحي الذي يصل جيبي دون عناء:

كان يردد : مجرد ممارسة .. اتقان في العمل لعيون تراقب .. خير من حديث في المقاهي لألسنة تعارض) .

ربما أصاب قلب الحقيقة .. أردت أن أربح كما يربح .. كنت أعمل في دكان أبي عشر ساعات في اليوم .. سبعة أيام في الأسبوع .. أقبض في آخره دينارين ..لاتكاد تفي مصروفي الخاص ..

(لاتصدقوه كثيراً ما يزوّر الحقيقة ، أبوه أطيب أب في عصرنا .. أحنّ من أم ذي سقب . زوّجه من فتاة أحبها ، وأعاله وأعالها وأعال أولادهما . الدينارات اللذان يقبضهما في نهاية كل اسبوع مصروفاً خاصاً له ، لم يصرف منهما شيئاً . يدخر الدينار فوق الدينار ، فهو يحسن ربح المال).

لندع جانباً احاديثنا الجانبية .

انبأني المدير بالنبأ الفاجع : هادي رحل .

— مات ؟.

— رحل .

— هرعت إلى الدار الوردية وقلبي يعزف في أذني .

(— بحث خطاه بهيجاً بالتأكيد).

دقّ قلبي في أذني لحناً جائزياً ، مات صديقي .. صديقي الوحيد ..

(— لاتصدقوه قبل أيام من رحيلي أولم في داره وليمة كبيرة دعا اليها الزملاء والأعداء ، لم يدعني : عندما اندهش الجميع لعدم رؤيتهم لي بينهم ، صنع في مصنع أكاذيبه كذبة طازجة غلفها بغلاف ذهبي .

— رفض المجيء لانه لا يحب الولائم .

همس في أذن آخر : — خشيت أن يفسد الجلسة بدمه الثقيل .

وشوش عدواً: — انه عبد لي لاأراه إلا عندما أحتاجه لقضاء مهمة أو عمل .

عندما سأله والده عني أجاب : إنه أرستقراطي لايحب ولائم الفقراء .

قالي : من دون سؤال : — جماعة من الأغبياء أردت علفهم لاحقق بعض الغايات) .

لاأستطيع لعنه إلاّ بعد قراءة الفاتحة على روحه ، ذلك الفقيد العزيز ، دعوه يسرد أكاذيبه صديقي الوحيد هنا . بيني وبينكم ، أحس أحياناً بأنه عدوي الوحيد .

صرخت أمه الطيبة : — هادي رحل

لم أر أميرة .. كأنها صممت ألاّ تراني في مثل هذا الموقف . جلست إلى جانب شريف فقد تحول إلى تمثال من صيوان ،دموعه حصوات ناعمات ، ينتحب من غير ارادة ، يتصدع الصيوان ثم يعود للتماسك ثانية ، مع كل زفرة أو شهقة أو نفثة، يتصدع الصيوان ليعود إلى التماسك .

رأيت جمعاً غفيراً ه وجوهاً أعرفها .. وجوها ليست غريبة عليّ .. وجوهاً لم أرها من قبل . كل هؤلاء يهرعون لمجرد نبأ ، أي انسان محظوظ صديقي هذا ؟ محظوظ حتى في موته ، كل هؤلاء الناس سيسيرون مطأطيء الرؤوس تحت جدثه الميت .

(— انه يحسدني على رحيلي) .

فتشت في الوجوه عن وجه أحب هاديا .. أحبه هادي . وجه زبالة . لم أجده . لايعقل أبداً . إنه لم يطر لتوديعه برغم الجليد الذي بلط الطريق بينهما .

تذكرت الآن لقد قتل زبالة ، دفعه هادي إلى الموت ، لص خسيس ، لص يسرق الجيوب والوجوه على نقرات الدفوف .

(– لاتُصدّقوه .. كان يكرهني دائماً . كيف لا أحضر رحيل . أخويا . حضرت رحيله بروحي . بكيت انساناً أحبني وأحببته . لعن آلله المفسدين الذين سعوا للوقيعة بيننا ، ثامر في مقدمتهم ، لم لايتركنا لروحينا بعد أن رحل كلانا :

كان يريده لنفسه دائماً ، لاوقت الحاجة فقط بل مساعدا وقت العمل . لندع جانبا ما فعله بأميرة ، حديث مؤلم يستدر الدموع .) .

كل هؤلاء الناس ينتظرون ؟ ! متى ينقل الراحل إلى مثواه ؟ .

صاح شريف وكأنه فقد الوعي : . ما الذي تنتظرونه ؟ انه في السماء يشع دماً :: إحترق .. تحول إلى لهب .. صعد اللهب إلى السماء . . أصبح زهرة تنزّ دما .. بدراً يشع الدماء .: صدقوني لم أقتله .. لم أحمل خنجراً معي أبداً .. أراد أن يموت خشيت أن يموت بيد غيري .. كان علي ان اقطع اليد التي تمتد اليه بسوء وأقطع الرقبة التي تتطاول عليه وأفقأ العينين اللتين تتحديانه . صدقوني ..

قلت مازحاً : سآتي بخنجري ازرعه في صدرك لأريحك من الحياة .

سقط فجأة ، تحول الشارع الموحل إلى لهب قان ، تصاعد عبر الفضاء حتى تكبد السماء . أحرق السحب ، حوّله مطرا قانيا يغسل الآثام ، صلب على الصفحة الزرقاء ، زهر من دم ، زهرة من لهب ، تعانقنا ، توحدنا ، أضحينا كلاً واحدا ، صدقوني . عاد التمثال الصيواتي إلى تماسكه ، أحاطته ملابس خشنة ، ساقوه إلى ميدان الثورة ، نصباً تذكارياً للوفاء والحب والاخلاص ..

لا أدري لم يمتلك كل هذا الغباء ، أنا لا أضحي بشعرة من حاجبي مقابل جميع اصدقاء الدنيا . انا انسان لأني أحيا في ذاتي : الوفاء .. الحب .. الاخلاص شعارات نرفعها عند الحاجة .. يعتنقها السذج ليموتوا دونها .

كان عليّ ان اذهب لتوديعه .. الوداع الأخير .. باعتباري أقدم أصدقائه الأحياء.

دخلت الحمام حيث – الملا – يرتل آيات من القرآن يُحمم جسد الراحل:

ما أشد دهشتي ، وجدت الملا الاعمى وسمعت ترتيل القرآن. تساءلت :

– أين الميت ؟!

– ألم تره؟.. انه هنالك يغسل بالماء الساخن.

تلفت حولي.. لم أجد غير ديك منتوف في ماء مغلي، ريشه الزاهي كوم اقذار.. جلده محمر كأنه خرج لتوه من الفرن. سال لعابي، وجبة دسمة مع البيرة

(– انه لا يفكر الاّ في بطنه.. دائماً حواسه شغله الشاغل) .

– أين الميت ؟.

– أي ميت ؟!.

– هادي.. ألم تر الناس مجتمعين لتوديعه ؟!.

– ألا تراني أعمى ؟!.

خرجت مسرعاً – أبحث عن زوجته.. كانت تبكي وتولول.. وهي تحصي السنوات التي قضاها في العمل.. مع صديق حميم له.

– عشرون سنة

– ما مقدار التقاعد الذي سيؤول إلي؟

$$\frac{٢٠ \times ١٥٠}{١٢} = \frac{٣٠٠٠٠}{١٢} = ٢٥٠$$ دينار نصفه لك والنصف الاخر للدولة.

– يعني كم.. ها.. قل.: ها ؟.

– ١٢٥ ديناراً شهرياً.

بدت سعادة دامعة على محياها.

همست : كلهم ماتوا سواي. أنا اقوى من جميع الرجال، رحمة الله عليه، كان غبياً اشتغل كحمار عاش كنبتة غريبة، مات كما تموت الاشجار واقفا دائماً منتصباً دائماً.. هذا الفقيد العزيز.

سمعت ضجة صاخبة كلهم يتصايحون معاً.

— اين وصيته؟ سمعناه يقول انه ترك وصية في مكان ما.

وصية ؟!! لابد أنه ترك لي شيئاً. ألم أكن اقدم اصدقائه، أفضل اصدقائه أقربهم إلى نفسه. لا أكذبكم، نسيت كل شيء حولي. شغلت بمسألة الوصية : ترى ما الذي أوصى به إليّ ؟! داراً .. ارضاً.. مالاً . انه يملك أشياء كثيرة لم يستمتع بها. كان العمل متعته الوحيدة مسكين، رحل وحيداً لا يملك غير نفسه. ترك المال والجاه والأطيان والمرياش .. لمن تركها ؟ لي ؟ لزوجته ، لأخته ، ؟ لأهله؟ إنشغلنا عن الحاضرين بالبحث عن الوصية إحتلوا جميع مقاعد الدار ، ومقاعد إضافية . العديد منهم واقف خارج الدار ينتظر ، إنقطع السير ، عدد غير قليل من رجال الشرطة ورجال الجيش يحرسون المكان ويساعدون في تنظيم السير . عدد غفير من صناعه من جميع المهن والوظائف ..

يرددون : كان صانعاً ماهراً .. عاملـا الكثير .

إنهم لايدركون الحقيقة فقد كان ممثلاً كبيراً ، مزيفاً . كم وددت لو اهتم بتزييف النقود بدل اهتمامه بصنع اللعب .

بحثنا في كل مكان ، لم ندع درجاً إلاّ وفتحناه ولا كتاباً إلاّ تصفحناه . ماأكثر كتبه . بيني وبينكم لم أقرأ كتاباً واحداً منذدخلت معملي ،الكتب سمّ العقول :

(— إنه لم يقل الحقيقة كعادته خلال فترة ممارسته لم يقرأ كتاباً كما يجب أن تقرأ الكتب .. لم يحترم الفكر يوماً .. عقله في معدته .. كان يحسن قراءة خطط زملائه أثناء العمل) .

لماذا أقرأ ؟ هل سيزيد مرتبي ؟ هل أحصل على مكافأة من جراء قراءاتي ؟ إنني أكره العلم والأدب .. عمل سخيف لاأؤمن به .. كنت أظن أنه سيدر عليّ المال .. لم يصبني من عملي غير الألم لعب تعمل بالتحريك ، أي علم يزعمون ؟ أي أدب يريدون ؟! غير علم التحريك وأدب الزيف .

بحثنا تحت البسط ، حفرنا الأرض ، فتقنا كل خيط من ملابس ورياش ، دون

جدوى . إتهم بعضهم البعض الآخر : بأنه قد خبأ الوصية . وأنا أتهم الجميع : عندما ارتفع الضجيج والصراخ .. طغى على أصوات النحيب والبكاء ، زفرات الألم وشهقات الدموع ، لاأنكر كم أنها مزيفة جميعاً ، الكل يبكي مصيره القادم بعيداً كان أم قريباً .. ظهرت أميرة فجأة أمرتنا بالسكوت والخروج جميعاً من الدار ، كانت تحبه بجنون ، فقدت بموته ذاتها. صاحت بنا : أخي لم يترك شيئاً ، كل شيء ملكي أطيانه مسجلة باسمي في الطابو ، نقوده مودعة باسمي في المصارف، وأنتم لم يبق لكم سوى دمعتين إن كنتم تملكون الدموع ، إذرفوها واخرجوا . عاد الصخب أعنف مما كان : إنهالت اللعنات على روح الفقيد العزيز . تساقط الرّذاذ من الأفواه الشاتمة ، نفثت بصقات على الروح العزيزة ، سرعان مافقدوا الحياة . استحالوا تماثيل ، اصطفوا وراء الحائط ينتظرون الانتهاء من أبغض مهمة يقوم بها حيّ . إذن لم يترك لي شيئاً ذلك المأفون؟ أنا صديقه الأقدم، حارس الأفواه الجائعة . كم كرهته ، كرهته أكثر مما كرهته في حياته ، نال كل شيء ، نال أكثر مما يستحق في حياته ورحيله .

كان لابد من عمل شيء : لا يعقل أن أفقد كل شيء بهذه السرعة : كنت أجتر ذاتي عندما تحول الدار إلى ساحة قتال بين الزوجة وقريبة ناهزت السبعين مفرطة السمنة ذات أنف مفلطح ولسان سليط تهوى المشاجرة وخلق للخصومات في الافراح والاتراح

— سأشاركك تقاعده .

— لاحق لك فيه.

— لي الحق ليس لي معيل.. كنتم السبب في شقائي:

— ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى .

— أبوه مسؤول عن شقائي وأنت وهو::

— حاسبي أباه، حاسبيه، أما أنا فلا.

— أتريدينني ان اذهب إلى القبر.

– القبر يعافك.
– امرأة حمقاء جشعة .
– قبيحة.
– سأقلع عينيك وأحصل على التقاعد رغماً عن أنفك.
– سأمضغ قلبك، لن أدعك تأخذين فلساً واحداً.
– سأقاسمك تقاعده.
– سأقاسمك حياتك.

تماسكت الشعور بالأيدي ، اشتبك السباب بالسباب، تقاذفا البصاق – ورذاذ الشدقين الغاضبين.. سرعان ما اتسعت المعركة واشتركت أيد عدة في الجذب والضرب.

تقاسمت ألسنة كثيرة أحدث أنواع الشتائم – ماركة ١٩٦٧ –

– يا عديمة الأراضي.
– يا عديمة القصور.
– يا سارقة للعدالة.
– يا سالبة الدمقراطية.
– يا برجوازية.
– يا ارستقراطية.
– يا بروليتارية.
– قريب منك حياتي عذاب.
– ايها الرتل الخامس.
– اسحقوا اعداء الشعب .
– اعدم.. اعدم.. اعدم.

لم أدع الفرصة تفلت ، سجلت كل ماحدث في أشرطة رأسي لأبيعها . تأبين هائل لم يحظ به جون كندي .

بعد أن أكلنا الديك المحشي ، تفرقنا جميعاً ، الباكون والضاحكون .. السعداء والأشقياء .. الحقيقيون والمزيفون .. الممثلون وحملة الأقنعة .. أصحاب الوجوه

ومن هم بغير وجوه . لم أجد في الوليمة أميرة ولا شريفاً ، رفضا أكل لحم الديك الميت .. إنهما ساذجان كانا يفضلان النظر اليه .. محاطا بريشه الزاهي وعرفه الشامخ .. أكلت حتى تجشأت .. جميع معارفه .. فعلوا فعليّ .

لدى الباب استوقفتني أميرة :

– ثامر أردت أن أحدثك

رقص قلبي فرحاً ، أملاً بغنيمة جديدة

– لقد ترك لك هادي كل كتبه وأوراقه وتصاميم لعبه

جرضت بريقي : ماقيمتها ؟!.

– أثمن من كل ماترك .

لم أذهب إلى الدار .. أخذت سمتي إلى مراب عريق في يهوديته .. تحدثت اليه بما آل إليّ من ثروة .

هز رأسه ساخراً ، استفرقه ضحك ، أبان عن كل أسنانه التي أكلها دود الجشع

– إنها لاتساوي شيئاً .

أحرقت جميع أوراقه في الفرن ، حتى الفرن عافها ، لم ينضج الخبز جيداً ، أخطأت لو أنضجت خبزي بروث البقر لكان أفضل بكثير . أما الكتب فقد عرضتها على الرصيف فوق وحول الشارع . عافها الوحل ، تلقفتها أيد هزيلة دفعت ثمناً لها كل ماتملك .

أما الأيدي السمينة الممتلئة فلم تمتد اليها مطلقاً .

(– لابد وأنكم أدركتم بأنني قد تركت له أثمن ماعندي، أفضل مايحسن به أمره . الكتب أردتها غذاء لأولاده .. لينشأوا على غير نشأته .. ليمسوا الانسان الذي في داخلهم. كتبي التي أنفقت في الحصول عليها جهد سنين ، أوراقي أحرقها كانت نشيد انشادي نشيد الحب للانسان الجديد أما تصاميمي فلم يدرك ابدا قيمتها .. كان في امكانه لو أدرك ، أن يحولها إلى أمصال تعيد شباب الحياة.

م/٥/أ زنج

كان في إمكانه أن يغتني لو أحسن التصرف ، لو استفاد من فرصته . أنا لاألومه ، أنى لـه اجادة التصرف وقد استولت معدته على عقله وسيطرت على تفكيره ؟! توسل إليّ شريف : ان يأخذ أوراقي عندما قررت الرحيل خشيت الاّ يحسن التصرف بها فهو مازال شاباً غضّ الأهداب.. لم أودعها عند أميرة خشيت عليها من نزواتها . ان تمزقها في لحظة تأزم .. اعتقدت أن ثامراً أكثر تجربة من غيره ، فإذا به أكثر سذاجة وجشعاً ..مسكينة تلك اللعب التي يصنعها في معمله .. مسكينة .. مسكينة) .

الآن ..ماالعمل ؟لم يبق الاّ بصيص أمل واحد، أميرة ،لألعب ورقتي الاخيرة،لاأعيد علاقتي معها؟ ألم تكن عشيقتي من قبل ؟لم لانعود كما كنّا حبيبين ؟ولو لفترة وجيزة لأسلبها كلّ ثروتها ..ثم نفترق ..ألم تكن طينة طيعة في يدي؟ لم لاأعود إلى اللعب بالطين الملون ؟ تسلية طيبة اميرة عشيقتي المنبوذة ألا تعرفون قصتي معها : أمرأة ممتعة ..ليست أكثر إمتاعاً من المال ..

لم احتمل الممارسةَ في المعمل ابدا ..جمعت بينها وبين العمل في دكان أبي ..عمل يجمع الكدح بالمتعة أنتصرت المتعة على الدرس ..طردتُ المعمل من حياتي..أية معمل امتع من معمل المرأة !! ترى الجنس يصنع في غرفة تساكن فيها امها وأباها...: كانت فتاتي الأولى ..علمتها كيف تعشق الرجال .. علمتني كيف أعامل النساء.. ثم تخصصت بالمرأة .اسمع ماتقوله صبحة عني:

(ــ انني مدينة له بالكثير ..علمني كيف أستثير الرجال ..أنا الآن في زيجتي السابعة .بدأت أملّ ثوري الجديد ..سأنتهي منه قريباً ..شاب يلوح لي بعينيه كلما التقينا .أدعولي أن أنجح في مسعاي:)

مامن أنثى اعترضتني الاولها قصة ممتعة معي: عمشة ..زهرة .. خجّه.. ونسة ... زعيلة.. وضحة ..حسنة ..صبحة..جلنار.. لااستطيع التعداد ..اسماء كثيرة نسيتها وجوه كثيرة لم يعد في استطاعتي التعرف عليها ..

فجأة ..ذات سنة دخل معملنا انسان جديد ..

قالوا جديد في عمله ..جديد في آرائه ..

عندما تحدث أضحكني صوته ..ذكرني بصوت حمل يتيم ..كنت أسقيه الحليب بيدي حتى راح يتبعني أنى ذهبت. .حركاته ،التفاتاته ..أدهشتني..لابد أنه مجنون هكذا فكرت ..هكذا فكرنا.. استبشرنا بلعبة جديدة نضيفها إلى لعبنا الأخرى سادهرج ومرج أول الأمر ..لم يلتفت الينا ..لم يصرخ فينا ..لم يتوسل.. بل مضى في عمله.صانع ساهر لم نعهد بمثله من قبل ..حديث من الصميم ..انتحرت القهقهات في حنا جرنا ..سجنت البسمات فوق شفاهنا ..صلبناه في أحداقنا . وأجدنا العمل ومن يومها أصبح هادي ..أخانا ..صديقنا ..انساننا الجديد .

لم أستطع الانشطار اكثر مما انشطرت ..جزئي في المعمل ..اجزائي في دكان أبي عمل يضيعني أجساد دافئة تدعوني ..تفيأت ظل الاجساد ..أستدفيء الصدور المكتنزة أمتص السكر المحمر.. أتحسس النعومة ..أتلذذ الطراوة ..أتنشق العرق المشوب بطيوب صحراوية .دقائق مضت في ثلاثة تقاويم زمنية ..ألقى هادياً فيها لماما.. يمر بدكاني لشراء حاجة ..أراه في طريق عودتي إلى الدار.. أزوره في أحايين أخرى

ــ سمعت أنك تزوجت

ــ ابنة عمي .

ــ لم العجلة ؟

ــ أحبها .

ــ كان في امكانك الانتظار .

ــ خشيت ان تخطف من أمامي .

ــ كيف تجد الحياة .

ــ لعبة ألهو بها .

ــ ألم يكفك اللعب . أما آن لك التفكير في مستقبلك .

فكرة طريفة .. لم لاأعود إلى العمل .. عملي مضمون .. متعي متوفرة .: أحقق رغبة

طالما ساورت أبي أن افوز بالعمل في هذا المعمل. بودي ان يحصل أولادي على أرقى الوظائف .. اولادي العشرة ؟ الطبيب .. المهندس ؛ المحامي ، الصيدلي الاستاذ الجامعي ؛ القاضي ؛ الحاكم ؛ الوزير ؛ الملك ...

ذات مساء وجدني أمامه .. استمع اليه باصغاء ولهفة .. مازال كما كان .. النظرة الحزينة المتفائلة. الحركة الرشيقة المنفعلة..الصوت الرقيق شبيه بأصوات الحملان... الكلام الفاقد الحاد الذي ينقل سامعيه إلى آفاق بعيدة ، اليد الماهرة الصناعة ، اللعب الجميلة التي يصممها .

كنا نعود كل مساء بعد انتهاء العمل عبر شارع مظلم ، يقودنا إلى طريقين ، يسلك كل منا طريقه أقضي وقتي في النوم والمعاشرة يقضي وقته مع صديق ودود كان يدعوه محموداً . حدث ذلك في الزمن اللامعقول الذي مررنا به ، حين صلب اكثر من مسيح وقتل اكثر من علي وعمر وعثمان وشنق اكثر من حلاج .

اختفى هادي سنين طويلة ، قصيرة في عمر الزمن .. طويلة في زمن النفس . بدأت آلف هذا الانسان — الذي لايشبه انسان عصرنا — أقوال عدة تدوّرها الافواه ؛ يقضي بقية عمره في مستشفى المجانين ..

— اختفى فجأة بعد أن رأى صديقه محموداً معلقا على عمود كهرباء .
— لايعرف أحدٌ مكانه .
— هرب بعد موت صديقه .
— انتحر :
— تزوج .
— اقفل عليه سور بيته :
— مات بالسكتة .

عندما تشجعت ذهبت للسؤال عنه ..كلمتني فتاة جميلة

— رحل ليتقن صناعة اللعب :

عرفت فيها اخته اميرة : احسست برعشة عندما كلمتني:: صوت ينبعث من صوت قيثار أبولو :: عينان طلسمان من سحرها روت :

غدا طريق عودتي ،الطريق الذي يقبع فيه دارها. ماأن اقترب منه حتى تهب نسيمات راعشة لذيذة ،فيها مافيها من نشوة ومتعة،نظرة عابرة ،إبتسامة طافية ،سلام عينين ، تحية شفة ،لقاء أيد مصافحة ، كلمة حالمة ،جملة سارحة ،نظرة فيها تحنان ، لجلجة لسان، ارتعاش شفاه ، اصفرار وجه ، ارتباك حركة ، وكان حباً اعظم حب عشته ..

عندما تنتحر الشمس بدمائها المنتشرة فوق الافق الغربي..أعدُ عدتي للذهاب في وقت يوارى النور في تراب الظلمة ..أتلصص عبر الباب المنتظر بلهفة ..أنقر زجاجاً حفر فيه أنملاي بئر أشواق لن تموت . في غرفة مستطيلة تحيطها مقاعد عربية أصيلة ، أجلس إلى جانب ربيعي المخضل بالحنان والشذى .

ستقول :انني انتهيت منها كما انتهيت من غيرها لا.. علمني الحب أن أستمتع على مهل ألا أتجرع ماأحب مرة واحدة أن أرتشفه رشفة رشفة، رشفة صغيرة لاتكاد تبلُ ريقي ،تشعرني الشوق في حلقي إلى رشفة جديدة . آه ياحبي الخالد ماأحلاك ..كانت السنوات في حسابنا دقائق .

(كنت انتظره ساهرة . انا زوجته التي يحبها يعود إلى الدار قبيل تبين الخيط الاسود من الخيط الابيض قبل زقزقة العصافير) :

لم يكن في اليد حيلة ..لقد أحالت وجودي إلى ذرات لاتتجمع..لاتتجسد الاّ بقربها .: (هل تصدقون هذا الكذاب الكبير، انه لم يحبني يوماً .. كان يظنني فتاة سهلة كفتياته : تجربة جديدة يتخطاها ثم يلفظها :. خاب ظنه عندما وجد أنّ النساء مختلفات ..صحيح انهن يملكن اجساداً متشابهة ،لكنهن يختلفن روحاً ومعنىً .. كنت نموذجاً جديداً عليه .. لاأنكر انه استهواني فقد كان جسداً جميلا .. غرورا بيرونيا جنونا تيرونيا..حيوانية هرقلية ..حملاً وديعاً اذا مامنع من أكل

البرسيم الذي يشتهي : بعد ان اعجزته الحيلة تملكه شوق مجنون إلى امتلاكي إلى امتلاك ماأملك : ـ لابد لنا من حل :

ـ حل ؟.

ـ أنا لاأستطيع بعداً عنك:

ـ أراك كل يوم.

ـ أريدك اتفهمين ؟أريدك.

ـ أفصح:

ـ تعالي نتزوج.

ـ وزوجتك ؟!.

ـ اطلقها :

ـ جريمة دنيئة أرباً بنفسي عنها.

ـ ماالعمل ؟.

ـ ماذا تريد؟.

ـ أريدك.

ـ أريدك جسداً وروحاً

ـ روحي ملكك ..أحبك.

انكشفت لعبته .. الالعاب تستهويني .. مكرت : قسوت..ضحكت...خشيت أن يفقد حياته ..استقراره ..عقله ..قررتُ أن أوقف اللعبة .

ـ لايمكنك امتلاكي..

ـ لماذا؟.

ـ لايمكنك امتلاكي..

ـ لماذا؟ :

ـ لانك أخ بالنسبة لي.

ـ سحقتني:

ـ تفكر :

ـ لاأستطيع .

عندئذ تكشف لي الاسد كما كان يصور نفسه عن فأر نهم لايستطيع ضبط نفسه عند رؤية قطعة طرية من الجبن. أراد ان يسرقني كما تفعل الجرذ . أغلقت جحر الجرذ والفئران في داري أشدت سور الصين من حولي، كنت أعلم أن الجرذ لاتستطيع القفز ..انما تتلصص عبر الحجور لم أدع حجراً اني السور . أشدته من قرميد مسلح) : عاد هادي حاملاً حقيبة من الورق ..عاد إلى عمله السابق .. إلى معمل اللعب ليصنع لعبا جديدة .

كانت عودته املاً جديدا لي ..لعلي أحصل على أميرة.

ـ جئتك طالبا ..

ـ ستنال ماتطلب مادمت قادرا .

ـ أطلب يد أميرة .

ـ أطلب يدها من يدها.

ـ رفضت .

ـ لاحيلة لي في الأمر ..

جاء هادي بفتاة شمالية معه ..جولي كان يدعوها ،فتاة فيها جليد الشمال.. في شعرها شمس شتائية في قدها شجرة السرو . يقضي معظم وقته معها ،قراءة ، كتابة، سينما ، رياضة ، يحمل جليد الشمال أثار الحرارة المدارية . أثار اميرة .. وحدة مرّة .. حنّت إلى رياحي الموسمية إلى اعاصيري إلى حرارتي المدارية .. التقى مدار السرطان بمدار الجدي ، اصبحنا في لحظة واحدة خط الاستواء ، كانت تنتظر أن أجدد عرضي .. طال انتظارها .. انفجرت ذات ليلة :

ـ ألم يحن الوقت لنقترن ؟.

ـ هل غيرت مبادئك؟.

ـ مبدأي الاتحاد .

ـ كان مبدؤك المتعة :

– انت قذر .

– انت ذئبة.

كان الاقتران بها أمنية قديمة ،انزلقت على جسدها اللدن . قبرت حيث تقبر الاشياء لالتثمر بل لتجف ،ثم أضحت ،متعتها بثمن .دفعت القليل بالنسبة للكثير الذي دفعته لها . جميل ان يكون للانسان ممتلكات كثيرة ..دار. زوجة. رياش. أولاد . سيارة عشيقة .قطط. كلاب.

(ثامر انسان هذا الزمان .انسان الزيف والكذب. كل قوله كذب .كان يعتقدانني صيد سهل واحدة من عديداته . خجاوة ..عمشة .. جلنار.. عندما صدمهُ جدار الحقيقة سقط سقطة مميتة ؟قطعة أوساخ في عصر مليء بالعفونة . الصداقة ..الشرف.. الشهامة..كلمات عدة تديرها قطعة لحم عافتها القطط لطول ماحفظت في بالوعة تزحف فيها ديدان الاسنان التي سوستها قطع اللحم البشري الذي اكلوهُ نيئاً. طلب مني الزواج ،رفضت. لم اجبه يوماً ،اردت ان اعفر جبهته المرتفعة ،بقايا نساء افقدهن خواء معدهن كل قيمة في الحياة غير الشبع بجميع انواعه ..الشبع حتى الموت. عندما عاد أخي بجليد الشمال. أيقظت حرارة ثامر المدارية الافعى. ارادان يغسل جروحه بجليد الشمال..الذئب في جلد حمل .والشمال صقيع دائم نقي دائماً. لايعرف قذارة المستنقعات: واوساخ وحوشها، كاد الثلج أن يفقد نقاءه ، أن يتحمول الى رماد .

عندئذ كان عليّ ان اعمل. هكذا انتهى كل شيء ،لم يعد ثامر إلى الدار ثانية . رحل الجليد الى شماله بعد ان ادرك أن حرارة المدار تذيبه) .

لم اكن السبب فيماحدث..شمس غاربة ..حول سحابة كندف القطن .. صفصافة شمالية . أردت ان أتعلق بالصفصاف ،ماذنبي اذا كنت أحب أن أعلق كما تحب اميرة ان تصلب : أعجبتها رائحتي المدارية ،رائحة أعشاب دجلة ،رائحةأشجار الفستق والزيتون والكالبتس إلى الجليد. الىشمس مدارية ساطعة، بدأ الثلج يذوب عندما ابتسمت الشمس مشرقة، تحول الجليد الصلد الى ندف قطنية تسايلت كالشمع..

انتشينا بخمرة مسكرة ..ابعث شذاها في مساماتنا ..تصاعد نسغ اللهفة يلهب منا الحواس قلبي يسع قاره باسرها .قطفت العناب أكلته مثلجاً بعصير بردها..تذوقت سندويجاً لذيذاً مضغته في فمي، غصت في أعماق بخرها .شربت من مائها ، تذوقت فاكهتها ..

– انت تحسن الحب كما لم يحسنه أحد .

– متخصص فيه

– زدني تجربة

– ... ...

عييت عن الاجابة.. كنت في نشوة غامرة عندما أفقت على صوت اميرة :

– ماالذي تفعله هنا .

اضطربت حولي .غضبت

صاحت من أعماقها: عديمة الذوق .

– أخرج من هنا :

– إبعدي .أنا حرة ..لست مقيدة بأحد.

– قلت لك أخرج من هنا .

– إبعدي . أخرجي أنت .

– هذه داري ،تقاليدنا لاتسمح بذلك .

– لااؤمن بتقاليدكم .

– اذن .. لامكان لك بيننا .

– سأفعل بعد أن أخبر هادياً بكل شيء .

– حسناً ..أخرج أنت الآن.

– لن يخرج .انا التي أرادت ذلك ،انني أحبه، سنتزوج.

– لكنه متزوج . يرعى قطيعاً من الأولاد :

قفزت نمراً .. أنشبت أظافرها في وجهي كلبوة مكلومة . تعالى صراخها : أختلط بكلمات لم أفهمها . هربت قبل أن تفقدني وجهي .

ملاحظة : لا أنكركم انني بعد أن وضعت خطتي لابعادها ، نصبت الشباك حولها ، أوهمتها بأنني عازب أبغي الأقتران بها . عندما أدخل دار هادي ، أخلع من أصبعي خاتم الزواج لم يلاحظ أحد ذلك .

انقطعت عن زيارتهم مدة غير قصيرة ، أذاعت خلالها أبواق المدينة : ان جولي عادت إلى الشمال بعد أن أذابتها شمس مدارية . كما رددت الأخبار ؛ إنها خشيت أن تسيح فوق الأرض المدارية . جمعت اجزاءها وضعتها في ثلاجة وبعد أن تأكدت من تجمع أجزائها ، من صلابتها .، عادت إلى بلاد الجليد حيث الشمس قطبية مصلوبة في الأفق أشهراً طويلة من السنة لاتؤثر حرارتها في الجليد

(أيامي في الشمال طالت..تأمل، دراسة، مصانع، مختبرات..قررت الهجرة نهائياً.. قررت أن أعمل في الشمال .. أن استمتع بنقاء الثلج ؛ أشياء كانت تشدني دائماً إلى حرارة المدار..الوطن.. الأحباب.. الواجب. كنت أحيا بكل مافي الحياة من عمل؛ متعاً روحية .. حسيّة . كانت حولي متعتي .. أحببتها .. أردنا أن نعرف بعضنا عن كثب : كان في إمكاننا أن نتزوج حيث الثلج نقي ، أرادت جولي أن تتعرف على حرارة المدار ، حيث يذوب الجليد ، حيث يختلط بذرات التراب كان لها ما ارادت اصطحبتها معي ، أحبت شمس المدار .

فجأة قررت العودة .

— سأعود إلى وطني .

— لماذا ؟

— أنا لاأطيق حياتكم .

— ألم أقل لك .

— عد معي إلى الشمال .

— وطني بحاجة اليّ :

— أنت تحب وطنك أكثر مني .

— أكثر من نفسي .

— ضحيت بوطني من أجلك :

— أنت أردت ذلك :

— وداعاً إذن .

عادت ثانية من حيث أتت .. مازال لغز عودتها مستعصياً عليّ .: لم تعد تحبني كما كانت من قبل الكآبة أسرتها .. لاتطيق رؤية أحد .. أمر غريب لاأنكر أنني أحسست بالراحة عند رجوعها إلى الشمال ..عدت حراً طليقاً كما كنت دائماً) : جلدتني العواصف الثلجية الشمالية ،غطت طريقي الحبيب بالجليد،أصبح السير عليه عسيراً سرعان ماتنزلق قدمي إذا ماخطوت عليه . وضعت مودتنا .. هادي وأنا في ثلاجة كبيرة كتلك التي تحفظ فيها المأكولات في المطاعم الكبيرة ، تثلج جسدي المداري بعد أن حرم من حرارة القلب العاشق ، قلب أميرة .. سنون طويلة .. مضت ملايين السنين . الدقائق في قلبي سنين ، أذناي ملقطا صوت.. تستطيلان لتدخلا من أي جحر مهما صغر داخل سور الصين العظيم : ازدادت عندي حاسة الشم . حساسيه .. كنت ككلب صيد يتشمم الفريسة . تسربت الأخبار عبر جحور صغيرة وسعها الجرذ ،الجحور نوافذ على المدينة نصبت فيها مكبرات للصوت تذيع الأخبار ..

دارت الأحاديث في المدينة .، تحولت إلى اعصار ..

هادٍ قرر الزواج ..

أميرة تعيش حباً جديداً .، الفتاة الأرستقراطية أحبت حذاءاً قديماً أسود لايجيد غير حركة رتيبة واحدة .. يضرب الأرض بقوة . يضع فردة حذائه الأسود الثقيل إلى جانب فردة أخرى من حذاء أسود ثقيل ؛ كأنهُ تمثال في متجر قديم للملابس القديمة :.

آذتني الأنباء ، خططي أغتليت ،. بقرت بطونها،. أخذتها إلى طبيب جراح ليجري عملية عاجلة لها .ليخيط البطون المبقورة .. استغرقت العملية وقتاً طويلا :: لاح أمل النجاة في الأفق الذي لم آمل بشروقه أبداً . كن علي أن أنقذ هادياً .. أن أنقذ أميرة . لاأنكركم: هاد صيد ثمين . يرغب الجميع في اقتناصه . زوج تنطبق عليهجميع مثاليات بلدتنا: أسرة كبيرة ، غني ، مركز مرموق ، وحيد غير مسؤول ،إلى جانب مواصفات أخرى لم تكن تهم مثالياتنا كثيراً .

ابنتي الصغيرة على الرغم من أنها في الثانية عشرة ، زوجة مناسبة له ، لاأنكر أنهُ يكبرها بعشرين سنة، ذلك لايهم مقاييسنا المثالية كثيرة .. أليس أنضج منها ؟ ألا يستطيع تشكيلها كما يريد ، كنت دائماً في جانبه ، صديقي الوحيد . أما من ناحيتنا . فقليلا مافكرت في مصلحتنا ، فابنتي فتاة صغيرة ، لذيذة ، لدنة ، جميلة ، ماكرة قليلاً . برغم صغر سنها .. تعرف كيف تمتلك رجلاً ساذجاً مثل هادي ، مدللة ، عودتها أمها على الصرف والتبذير ، أكثر مايسعدها التملك ، تود لو تملكت مدينة بأسرها ، بل قارة بكل مافيها ، انها لاتمل من تلك الأشياء ولكنها تمل منها بعد أن تتملكها ،. أليست هذه المقتنيات التي تجثم على صدر قصر صديقي مرهقة . لم لايخفف كاهله منها ، انه لايجرأ . إذا ليقترن بمن تجرأ على مثل ذلك ،. إنني أحبه لاأريد أن أثقل صدره أو كاهله.

حانت الفرصة.

نقلت مكبرات الصوت انه قابع في المستشفى. وعكة بسيطة ألمت به.

وجدت طريقي ممهداً نحو المستشفى، كان بحاجة إلى دفء قلب يساعده على الشفاء ألم تجلده ثلوج الشمال.أذاب الدفء الجليد عن طريقنا، عاد مزهراً ربيعياً كما كان (لابـــد أنكم استمتعتم بحديثه.. أكاذيبه ممتعة .. أنظروا اليه جيداً، تجدون في وجهه ثعلباً ماكراً يتربص بالطيور.. بالبيض.. بأي شيء.. أحسّ أحياناً بأنه مجرد ذبابة تكفيه نقطة دبقة تتلذذبها — كل ما تفوه به مجرد اختلاق .. خياله

واسع.. انه لا يحسن استخدام خياله في عمل مجد.. فهو يكره الكتابة.. القراءة وكل أنواع الثقافات وكل ما ينمي العقل.. والا كيف نمى جسده الهرقلي هكذا. ما أذيع عن محاولتي الزواج ثانيةمحض افتراء. عملي في المعمل، يحتم علي ان ألتقي بعقول كثيرة بعضها يثير الاعجاب.. وبعضها يثير الشفقة. في معمل اللعب هذا أناس آخرون يقومون بنفس العمل الذي أقوم به.. بعضها يعجب بالحركة وبعضها يقدّس الجمود.. مالنا ولها هذا رأيها.. ألسنا في عصر الحرية حيث يؤمن الانسان بما يريد.. يفعل ما يريد .. في معمل اللعب حيث اعمل بندر أن تعثر على لعبة متحركة — اكثر اللعب هادئة ، مستقرة — تؤمن بشعار (القناعة كنز لا يفنى) وضعه الاقوياء لمصالحهم.. لتطمين كل رغباتهم.. وسلموه للبسطاء.. رفعوه شعاراً.. بين هذه اللعب التي لا تجيد القفز ، بين كل هذه الاصوات القبيحة كأصوات الدفوف المحروقة ، بين الاحلام المعلبة في علب السردين ، وجدت لعبة قافزة ، صوتا عذباً ، حلماً جميلاً كان عليّ أن أتعهدهُ .. خشيت أن يصلب الاخرون هذا الحلم الجميل..أن يسكتوا اللحن العذب،ان يشلوا حركة اللعبة. رمع رعايتي ، اعلنت مكبرات الصوت وبصوت منفر.. الفسق في معمل اللعب

خروج على التقاليد في معمل اللعب

باروكات

مينى جوب

بغاء

مجون

خلاعة

انقذوا معمل اللعب قبل ان يتحول إلى وباء

رددت المآذن اصواتاً مادية .. نسيت الاصوات الروحية .. لفّ مدينتنا غبار أصفر، جعل وجوهنا صفراء.. أجسادنا صفراء.. نفثنا كل ما في اجسادنا من

دم.. تلوّن كل شيء بلون الدم.. منصات القضاء... عروش الملوك.. كراسي الوزراء.. بسط الشيوخ.. متكئات الاغنياء.. كلها صاحت بصوت واحد احذروا دماءكم لانها حمراء.. مزقنا صدورنا.. بقرنا بطوننا.. قطعنا شرايينا .. انسابت الدماء صبغت الشوارع... واجهات المحلات.. الدور.. مياه دجلة.. لكننا.. وهذا المهم نحن صفر .. قطع صفراء تغدو وتروح ، دماؤها تحت قدميها .. قلبها يسحق تحت أحذيتها السوداء رئاتها تتمزق تحت حوافر حيواناتها. تحولت حيوانات المدينة الوادعة إلى آكلة قلوب ورئات إلى مصاصة دماء. النملة... العصفور.. البلبل.. الحمل.. الدجاجة.. كلها اصبحت آكلة لحوم.. اما القطط فقد تحولت إلى نمور... والكلاب إلى ذئاب.. الذئاب والاسود والنمور والضباع .. لا اعرف إلى أي شيء تحولت . . . لم أعد أميز بين الحيوانات صغيرها وكبيرها .

أرسل مدير المعمل ، يطلبني

بدا متجهم الوجه : انت لا تصلح للعمل في معملنا .

— لماذا؟

— لم تمزق صدرك ولم تبقر قلبك.

— لماذا أفعل ذلك ؟ .

— ألم نسمع المنادي.

— بلى سمعته.. لم أقتنع بما قال.

— ألم تقرأ الشعار المرفوع عن القناعة ؟ .

— لم أقتنع به ..

— أما ان تكون مثلنا ، أو تترك العمل .

— أترك العمل عندكم .

— ستموت جوعاً.

— اهون عليّ من فقد دمائي.

— ستلعن .

— أهون علي من فقد قلبي :

— ستدفن :

— اهون عليّ من اطعام ذاتي لحيوانات قذرة قبيحة .

— ستجني على من يتبعك :

— ماذنبهم ؟.

— لانهم يتبعونك :

— ولا تزر وازرة وزر أخرى .

— شعار قديم مزقناه من زمن بعيد .

عند عودتي إلى الدار وجدت أمي تولول . لقد أحرقت الحيوانات داري ، ضربت أمي أعمتها من الضرب لاتستطيع تبين طريقها .

بعد قليل جاءتني اللعبة المتحركة : إنقذني لقد أوجعوني ضرباً ، صحت بها : لا أستطيع شيئاً بمفردي ..

— أنت وأنا .

— لاأستطيع فعل شيء :

— نهرب معاً إلى حيث اللعب أقوى وأكثر جرأة .

ولولت باكية : هل تتركني وحيدة.. استحلفك بتربة أبي ذر أن ألاّ تفعل ذلك.

صاحت أميرة : كن قوياً ياأخي .. ماهذا الضعف .. لابدّ أن تصمد .. لابدّ أن يصمد الإنسان أمام كل هذا الطوفان الدموي . وفي الصباح التالي كنت في معمل اللعب .. عندما استدعاني مدير المعمل ليسلمني أمر الفصل بعد أن وجدني كما كنت دائماً ، مزقته في وجهه صرخت به : لابد أن أصمد .

تلاشى أمام صرختي ، هرب مذعوراً يصدر صوتاً يثير الاشفاق عندئذ فقط اكتشفت حقيقة كبيرة ، أن صرخة عالية واحدة تحيل الاشباح الصفراء إلى حيوانات أليفة . بعد أن فشلت جميع الخطط في إبعادي عن المعمل ، زعقت أصوات قبيحة لم أصغ اليها أبداً . جنون ان استبدل موسيقى موزارت وشتراوس وبغانيني وبتهوفن وجايكوفسكي بنهيق ونعيب ونقيق وزئير ومواء وعواء.

صحيح انني عشت منفياً بين المعمل وبيت الموسيقى، لكنني كنت سعيداً عندما أصممت أذني عن كل الأصوات المتعالية في المعمل حتى جاءني ذات يوم والد اللعبة المتحركة .

صرخ بي : تزوجها

— من ؟

— ابنتي .

— لماذا ؟؟

— لأنك أفسدتها.

— افتراء :

— هذا ماتذيعهُ مكبرات للصوت :

— كاذبة ، أصمتها .

— لاأستطيع .

— صم أذنيك دونها .

— لاأستطيع .

— لاتعبأ لها .

— لاأستطيع .

— وأنا أيضاً لاأستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك .

— تزوجها .

— صغيرة عليّ .

— تزوجها .

— في عمر أبيها :

— تزوجها .

— لي مبادئي .

— لابد من قتل مبادئك .

— لن يستطيع أحد قتلها إلاّ إذا قتلني .

— أذبحها .

— أذبح نفسي :

— لتفعل .

— لن أستطيع الزواج بابنتك عندئذ .

جمد كتمثال ، هجم علي بمدية ، صرخت به كما تعودت أن أفعل ، تحول فأراً صغيراً كبير الأذنين ، اختبأ في أقرب جحر عثر عليه .

اعتذرت اللعبة المتحركة عن سلوك والدها :: شكرتني قائلة :

— انني معجبة بك فقط .. سأتزوج قريباً ممن أحب .

— لعبة ؟

— لعبة متحركة :: ألا ترى بأن اللعب بدأت تتحرك:

— الحركة تعني الحياة.. السكون هو الموت.

— لا أحد يستطيع ايقاف الحياة .

— لن يستطيع أحد ايقاف اللعب المتحركة:

بدأت الحياة تتحول.. كل شيء في تغير مستمر.. عادت الدماء إلى اصحابها.. بدت حمرة خفيفة في الوجوه الشاحبة.. غسلت الشوارع من الدماء.. واجهات المحلات.. الدور.. قلّت القلوب المبقورة المبعثرة في الشوارع.. تناقصت الرئات المشقوقة المرمية تحت العجلات.. بدأت الحيوانات الأليفة — التي تحولت إلى وحوش ضارية تستعيد شكلها القديم.. طوال محنتي، التجربة القاسية التي خضتها لم يمر ثامر بي:. عندما بدأت أستعيد روتيني الحياتي، ظهر فجأة زارني ذات مساء ، قرأت في وجهه بوليصة تاجر ، أرادني أن اوقع البوليصة أن أسجل عليها . . ه ادفعوا لأمر ثامر العلي مبلغاً قدره مليون ديناراً في تاريخ ١/ ١ / مليار مقابل نعجة تسلمتها نقداً وعداً. كان قد أعد البوليصة.. لم يبق إلاّ التوقيع ، لم

امزق البوليصة، أليست لوحة فنية رائعة تعلم الاجيال القادمة بعد ملايين السنين كيف يسلكون في حياتهم، لوحة سيعرضها متحف اللوفر، تباع بملايين الملايين لانها وثيقة حيوانية الانسان.

لم أدفعَ قيمة البوليصة، دفعت له بدلاً منها فلساً واحداً ثمن جمله الرديئة . نصحته ان يحتفظ بنعجته لكبش معلوف. دهين اللحم، غزير الصوف).

مهد طريقي إلى دارهم بعد أن تمهد الطريق إلى المستشفى ، كان لابد من رؤيتي لأميرة في الدار. استقبلتني ببرود جليدي، جليدها ناري دائماً، عودتني على ذلكَ سيذوب الجليد ويتحول إلى طلّ ندي، عليّ ان اشعل الموقد، يبدو أن موقدي قد أصابه القدم.

رأيتها تتدفأ بمدفأة جديدة — إسمها زبالة — التقت نظراتنا تعارفنا . حاولت أن اكون أكثر مودة معها في حضوره لم يعبأ بذلك، صلبت نظراتي في عينيها، دفنت راحتها بين كفي، غنيت لها الحاناً كيوبيدية لم يلتفت اليّ لم يغضب، لم يزمجر، عندئذٍ تأكد لي أنه لا يحبها، ذئب جديد يريد ان يرعى القطيع، ذئب سهل الاكل، سآكله قبل ان ان يأكلها، هكذا قررت بيني وبين نفسي.

مابالها عيناها تذوبان في نظراته ووجهها يشرق في وجهه . وابتسامتها تزهو في ابتسامته وراحتها تنتفض كعصفور صغير بلله القطر بين راحتيه ولونها الوردي يشحب عندما تفاجأ بقدومه ليتورد ثم يحمر ، إنها تحبه لاريب في ذلك .

— وجودك بيننا لايسرني .

— انني في زيارة صديقي .

— صديق ها ؟!

ومن يومها انتحت مكاناً آخر ، إذا ماجئت لزيارتهم ولم يكن هادٍ في الدار تخبرني الخادم أن لاأحد في الدار . كنت آمل أن أنجح معها قبل نجاحي مع هادي ، كنت أعدها طعما لتزويج ابنتي بأخيها لابد اذن من طريقة أخرى :

— من الشخص الذي يزوركم ؟!

— زبالة عبيد .

— أجده دائماً مع أميرة .

— خطيبها .

— إنه....

— إختارته .

— كيف سمحت لها.

— هي حرة التصرف بحياتها .

— إنه لا يناسبكم .

— أليس إنساناً .

— التقاليد لاتسمح بذلك .

— إنها تتزوج رجلاً ؟

— كيف ترضى أن يكثر القيل والقال عنها وعنك وعن الأسرة .

— وما شأننا بذلك .

— كيف ؟!.

— تريد أن تحيا لها الحق في ذلك .

— سيصعب عليّ زيارتكم إذن .

— لماذا ؟.

— لاأريد أن أتعرض للتقولات .

— أنت حر .

تغير كل شيء .. أميرة ليست أميرة .. هاد هاد آخر .. ما العمل ؟

(— أحسنت الخطف ، كنت ذئباً أكلتني . أنا الحمل الصغير ، ذهبت إلى أخي كنت تعرفه من قبل .. قد كان يعمل في دكان أبيك .. يعرف ماضيك الحافل بالمغامرات .

أخبرته بأني سأتزوج عشيقتك فتاة ساقطة لم تمنع رجلاً اشتهاها ، متعة مطروحة في عرض الطريق صدّقك أخي الساذج . اشتركت معهم في وضع خطة لإبعادي عن حبي عن أميرة ماأسهل خطط السذج ، أعمال عفوية دون تفكير .

– يجب أن تتزوج .

– لم أفكر بعد في الزواج .

– أخبارك مشينة .

– أي أخبار ؟

– علاقتك بأميرة انها فتاة ساقطة .

– لاأعرف فتاة بهذا الأسم .

– راقبتك أمس تبعتك حتى دارها دلفت الدار خلسة .

– أنت تتهم فتاة شريفة .

– إنها ساقطة ، عشيقتك .

وكان الخصام والقتال والتهديد بالخراب . والقسر على الزواج من ابنة عمي :

– لاأحبها .

– يجب أن تتزوجها .

– أخي يحبها وتحبه .

– يجب أن تتزوجها .

في بحر أسبوع كنت زوجاً لفتاة لاأطيقها ولا تطيقني . دفنوني في التقاليد التي وضعوها ، حنطت فوق سرير يبعث كل ليلة انغاماً حزينة كئيبة . في حجرة مجاورة .. آذان تلتقط نغمات السرير على عزف عين دامعة وآهة حرّى . بعد أيام رحل أخي بعيداً .. مات وحيداً بين نباتات الصبير والخراب) .

– لم يتغير حب أميرة له .

(– كل عيبه أنه أضعف من التقاليد ، قد يكون جباناً لكنني أحبه . لقد أخترته . لاأمانع أن أكون زوجته الثانية مادام يحبني).

لن تكوني لغيري ياصغيرتي.. عشيقة فحسب لازوجة أنت لاتصلحين إلا لإضرام العواطف .

الأمر بسيط .. جد بسيط ، مجرد إثبات ، إثبات بأنه لايحبها . كلمة عابرة عن علاقة مشينة معها تروى على شفتيه ، تعريض بها ، إتهامات قذارات .. أشياء بسيطة .. عقولنا تجيد صنع أمثالها .. عقول عصرنا تصدق كل ماهو غير حقيقي.. يصعب عليها تصديق الأشياء الجميلة .. أليس ذلك من حقها .. فقد اعتادت على الكلام في كل مكان .. الشارع .. المقهى .. البيت .. المدرسة .. المكتبة .. السينما .. كل شيء عندنا كلام .. عليّ بصديقه .. يسمونه (شاطر) إنه خمار .. شاذ .. قاتلٌ .. منحطٌ نشآ في زقاق واحد .. عملا معاً أعمالاً مختلفة ،وعند بلوغهما سن الرشد عملا معاً في مكان واحد .. في المساء .. قمارٌ .. خمر .. نساء كل الأشياء التي اعتاد عليها أهل مدينتنا .. في الخفاء طبعاً .. ماض مشين ذلك يسود صفحة حبيبها (زبالة) :

نشرت أمام أميرة كل غسيله القذر .

– أعرف كل ماضيه ، حدثني عن كل شيء ، أصبح تاريخاً بالنسبة له .. أنا أعيش الحاضر لا الماضي .

عنادها أتعبني .. لابد من ضرب سهمي الأخير :

شيء من المال ، زجاجة خمر .. ثم حديث مسجل على لسان شاطر وينتهي كل شيء .

حاولت أن أنبش مزبلة نفسه .. كل الأقذار كومها في جلسة واحدة .. تاريخ (زبالة) حديثه .. تلطيخ أميرة بالوحل .

والشريط يدور

– انها عاهرة وهو عاهر ، أراد مالها ، أرادت ... أدرت الشريط أمام هادي.

أعطى بندقية لشاطر وكان ماكان .

انتهى (زبالة عبيد) .

مات الحب في نفس اميرة بعد أن انشدها الشريط نشيد الخيانة .
(– حنطتني وقتلتني لكنك لم تفز بشيء سمعت كل شيء .
سخرت اميرة منك عندما حاولت التقرب منها لترتقي عرشي في قلبها .
سخر منك هادي عندما حاولت بيعه ابنتك ، رُدَّ النصل إلى نحرك .
ارادت أميرة قتل حبي الذي لم تستطع منه فكاكاً بحب جديد .
أحبت شريفاً كان يصلبها كل مساء وهي سعيدة على صليبها ألا أنها شعرت بالذنب؟!
لأنها ظلمتني – دفنتني في جليد الأحزان ؟) .
كدت أنجح في جميع خططي لولا ظهور شريف المفاجيء في حياتها ، شاب ساذج طالما رأيته في زيارة لهادى . صانع مجد في تعلمه ، هاد معجب به ، شريف يبادله الاعجاب يعملان و يصنعان اللعب يستمعان إلى الموسيقى يتسليان بقتل الملك .. ببعثرة الورق .. يزرع قطع الدومينو على المنضدة لم أعره كثير اهتمام ، كرهته في داخلي نوعية جديدة ، فيها اخلاص العبيد ووفاء الكلاب وثقة الملوك وطيبة الحملان وفيه أشياء كثيرة لانعرفها في عصرنا.
وضعت خطة جديدة لإزاحته عن طريقي ، وقبل ان أبدأ التنفيذ فوجئت بالعلاقة التي ربطته بأميرة حب جارف في قلبها ، لاأبالية متناهية من جهته . . . دسست انفي في كل مكان .. القيت عيوني في كل ركن .. علمت أنه عاشق لزميلة .. مدنف بحب قبر .. ارتاح بالي .. لاخطر منه .. لامطمع له في شيء .. يكره المال .. لايفكر بالجاه .. همه إسعاد من يحب .. يريد أن يستمتع بحياته .. حياة الكلاب كما أسميها .. زوجة محبة .. مال كاف .. سعادة مخيمة .. أمانة .. صدق .. إخلاص .. وغير ذلك من السخافات التي تمتلىء بها الكتب وعقول البلهاء .
أخبرت أميرة ، بكل ماجمعت من معلومات عنه .
لم تلتفت الي :
مضت في حبها .
أما الآن فقد تغير كل شيء..قتل هادي بيد شاطر.تحول شريف إلى تمثال من صيوان وضع في ميدان العدالة الانسانية ،وبقيت اميرة وحيدة زوجة أخيها تحسب المال الذي

سيؤول اليها بعد موته،أهلها يتنازعون تركته ، الثروة بأجمعها آلت اليها .
سأستولي على أميرة سأستولي على كل الثروة التي جمعتها أجيال متعاقبة في كد وجهد وعناء :
لابد أن اتزوجها ، لابد من أعمال الفكر .. خطة جديدة .. كل ماالحتاج .
أرجوكم أن تدعوني قليلاً افكر بالأمر ، المسألة مهمة جداً ، مسألة حياة كريمة أو موت مؤكد .
(– مسكين .. لم يعلم بعد بالشرط الذي وضعه هادى .. بالاتفاق الذي تم بيننا ؛ كان يعلم انه سيرحل .. العقبة التي وقفت أمامه ، الثروة ، لمن سيتركها . ؟
– أريد الرحيل .
– إفعل ماتريد .
– الثروة عائق كبير يحول دون رحيلي .
– بددها .
– لم أعتد تبذير المال .
– وزعها على الفقراء :
– عمل لافائدة منه .
– أوقفها .
– لأمتع مسابح كسولة ..هل جننت ؟!.
– اذن ماالعمل؟.
– لاوقت للتفكير سأدعها لك
– لاأريدها .
– أرجوك ..
– والآلات إلى الذئاب التي تنتظر رحيلي .
– ستشغلني عن حياتي الحقيقية .
– اتخذي مساعدا لك

– لاأجد ذلك المساعد .
– شريف رجل طيب .
– إنه لايحبني:
– سيحبك اذا عرفك أكثر :
– حملتني عبئا ثقيلاً .
– أعرف ذلك ولكن لاحيلة لي .
– وداعاً .

ثم رحل ..ترك ثروته منوطة بشرط لن أفرط فيه، تؤول إليّ متى ما تزوجني شريف .

اسمعت أيها الثعلب الماكر ..مصير خططك الفشل دائما ..لن تفوز بغير السراب).

الفصل السابع

عندما وجدنا الرضا

(١)

أميـرة

القلب يفرز الضياع .. يذيب الوجود في العدم .. وجودي سنابل قمح أغرقها فيضان الضياع ..الضياع وجود ..وجودي ضياع

رحيل من غير وصول ..الوصول عدم ..أتعبني الضياع ..

لابد من السكون ..الوصول ..الموت ..العدم ..حيث لاوجود في العدم لقد أزهقني وجودي ..قد أجد وجوداً جديداً في عدمي ..فلسفة شائهة ..ربما قلتم ذلك .. لكنني سأتمكن من عدمي بنفسي .. لابواسطة الآخرين .. ألا يعني ذلك وجودي لأن موتي إرادتي ..وإرادتي وجودي .

حفرت الايام من محجريّ آبارا مظلمة صماء .. أعياني تتابع أرعن في خطى الزمن ..لم أعد أشبه النساء ..كل نساء الأرض .. بقرت بطني تخلصاً من عدمي اللامجدي ..فخرج الضياع ..لكنني ظللت أحمل في بطني المبقورة مثل ضحية قديمة بالية .. القدر ..القدر ينتصب أمامي يشرع في وجهي حزني المقيم ..ينتصب في وجه الريح .. حيث قدر لي ان أنتصب بصمود وبلاهة أمامه ..كتب علي صراع طويل خضته في سبيل وجودي .. في سبيل حياتي التي أريد ان أحياها في لحظة مايدرك الأنسان إن وجوده إلى نهاية محتومة مثل الفجر إنه شيء تافة فوق ارض غير نظيفة ، يحاول أن يجعل الوجود خصباً فوق ارض موبوءة كثيرة الوحل وقتئذ يفكر بسرعة أن يسمو بنفسه ولاسمو الاّ بالتحليق فوق كل مايحيط الأرض من وحول الزيف ،أليس الرحيل نوعا من السمو ..السمو ذاته ..إذن لابدمن الرحيل ..الرحيل الذي أختاره أنا. أخي رحل ..شريف رحل ..(زبالة عبيد) رحل.. كل رحل بطريقته فلابد أن أختار طريق رحيلي .. أما ثامر تلك الحياة الشائهة المعتوهة ..التي حولت الوجود المزيف إلى جنون وعته فلن اكونه ..إنه شاطيء

محيط بعيد لن ابحر في عبابه لانني لاأريد الوصول إلى شاطئه لاأريد الوصول إطلاقاً وصوله يعني السكون..العدم..موت الأحلام..فقدان القدرة على الرحيل.. عشت دائما في ضباب احلامي .. يتغلغل فيّ حلم طفولي أبله .. لذيذ .. تتحدث عنه بالاصابع نبتسم ببراءة في وجهه الضبابي .. لانتعب أنفسنا في ترصد مصادره ، أجده في ذخائري القديمة لافي هوس الناس من حولي .. حيث تيبست فيهم الحياة .. واستحالت إلى جبس أسمر حيث الأحلام ضئيلة ومرهقة .. ومطلسمة سوداء يتحلقون حول المنابر الشامخة يستمعون إلى الغناء بلا آذان يتقلون تحتها في حرقة الشمس .. التي تزيدهم تكلساً بعد زخات المطر .. المطر لايغسلها .. سرعان ماتحرقه الشمس .. تبخره لايترك في نفوسهم غير تصلب وجودهم المتكلس .. كل همهم البحث عن حشرات اجسادهم قملة .. برغوث .. بقة .. دودة يلقطونها بمناقير اناملهم فرحين يملأون بها فراغ بطونهم الجوعى أبداً من غير جوع لايفكرون الاّ بالموت حيث السعادة الأبدية عندما يهب إعصار رهيب وتفقد الشمس أشعتها وتنث الشمس بدل إشعتها المحرقة جليداً وثلجاً ، يحال الجبس المتكلس إلى جليد لاتذيبه أشعه الشمس المحرقة عندئذ فقط تكون الحياة ، الحياة الحقيقية حيث نأكل مانشتهي من دون عناء في الحصول عليه نستمتع بما نحب من دون أدنى حركة ونشرب ماء شاء من دون أن نرفع الكأس إلى افواهنا .

إنها حياتهم المثلى حيث لاحياة إطلاقاً حيث كل شيء ساكن جامد يبشر بالموت والله المتجلي من فوقنا يريد لنا الحياة

(ــ انها تكرهني أميره هذة .. تحقد علي .. أتعلمون لماذا ؟ لأنها لم تذق حلاوة الحياة التي نحياها .. فنحن نضاجع وفق طقوس مقدسة وهي تبحث عمن يضاجعها : لقد ضاجعتها مرة كما أخبرتكم ، لكنها كذبتني كما كذبني الآخرون .. أقسم لكم بحق الخصب اشعرتها بدفء عاشت فيه شتاء كاملاً بدفء ، جعلتها تحيا عندما عاودها الجليد ، عندما اصطكت فرائصها برداً ، استعانت بأحلام الحقيقة الشتائية ليعاودها الدفء في تجلدها بعد أن يئست من تحقيق مآربها بدفء جديد بعد

صيحتها الخالدة التي ترددت في الوهاد والوديان :

ثامر ساعدني . ثامر هيت لك

تبدد الصوت ، بدده الصدى في الوهاد والوديان

قد تسألونني : كيف فعلتَ ذلك ، أنت الذي ترى في لقاء الرجل بالمرأة نوعاً من الطقوس المقدسة .. هل البغاء مقدس؟

اجيبك: اننا لنتشكك أحياناً ..نتسأل بخبث عن شرعية مانفعل .. لكننا في شكنا نفعل.. ثم نستغفر ونتوب .. قد نتشكك ثانية .. ونتساءل مرة أخرى ونفعل ، لكننا سرعان مانعود إلى الابتهال.. وطلب المغفرة والتوبة . إننا رجال قوم شرفاء فإذا ما تشكك أحدنا تساءل وفعل ثم لم يستغفر .. لم يُصلِّ لم يبتهل ، نوقع به ، نضع له نهاية محزنة رهيبة ..) .

انهم ينقون دائماً كالضفادع نقيقهم كذب يطربون له .ويصدقونه لكثرة ما يرددونه. لم أحس معه يوماً براحة الدفء كما أحسست بقيّ الاشمئزاز . أنهم يتعايشون كالابقار كما تتعايش جميع الحيوانات ، يرفضون كل شيء غير الدفء والخمول والقمل. وإذا ما تساءلوا يلتهمون قملهم لتبقى أفواههم تلوك كالمجترات . وإذا أعوزهم القمل عاودوا النقيق الكاذب المخادع . يصغون لبعضهم إذا ماالتقوا وجهاً لوجه ، وإذا ماالتقت أقفيتهم صموا آذانهم عن نقيق غيرهم وانطلقوا في نقيق يحيل وجود غيرهم إن وجد رماداً .

(ــ انها تكرهنا قد نسأل أسئلة أعظم من وجودنا تساؤلاً لانستطيع لفظه أنا لن أنسى نحن لن ننسى ذلك الاعصار المدمر الذي حلّ بالبشرية) .

تساءلوا مرة وهم يلتقطون قملهم لماذا لانرى الاشياء بوضوح ؟.

كان ذلك السؤال فوق قدرتهم.. سؤال قالوا عنه بعد ذلك .. إنه كاد يميتهم ويميت فيهم الحياة إنه السؤال الوحيد الذي كان يمكن أن يحركهم بعد سكون السؤال الوحيد الذي كان في امكانه أن يخلصهم من الخمول ويخلصهم من قملهم بوثبة واحدة..

بعد أن تساءلوا أخذوا إبرهم ، ثقبوا ألسنتهم، أخاطوا شفاههم على أفواههم.
وحولوا أصواتهم إلى قطع من أقمشة رديئة ثم استغفروا تطاولهم :
أمطرت السماء بغزارة تلك الليلة ، حرارة السؤال أسقطت الضباب المنتشر ، الغيم المتجمع حولته إلى مطر .
صاحوا انها بداية الاعصار ، إنها بداية الاعصار احتضنوا صغارهم ورسموا فوق رؤوسهم علامات الجزع أغرقوهم بتمائم النجاة وتبخروا بدخان روث الحيوانات..
افترشوا نساءهم أليست كل هذه الافعال وسيلة للتفكير عن خطأ ارتكبوه، عن تساؤل كان يجب أن يسكت ؟! ؟! ؟! ؟! ؟! ؟! ؟! ؟! .
تركوا قمامهم يرعى في اجسادهم بحرية .
ارتموا بابتهال مستسلم يطلبون الغفران ..
الا يمروا بالتجربة التي مر بها غيرهم من المتسائلين.وفي الصباح اشرقت الشمس ثانية قطعة من نار تحرق رؤوسهم غير المظللة لقد لفظتهم المآذن الشامخة سحبت ظلها بعيداً عنهم .
عادوا إلى نقيقهم يسمعونه لمن يواجهونه وإذا ماأدار قفاه لطخوه بنقيق له لون الظلام ولزوجة الدخان .. تتحلق الوجوه الخاملة الكسولة تحمل ورم الانسان، تحمل موته صفراء شاحبة .. يتصاعد اصفرارها نسغاً حتى العيون .
الليل يكدّ بشكل غير منطقي.. الموت ينام فيها .. في البيوت في الشوارع .. في المقاهي .. في الشوارع .. في كل مكان فيمتلىء به . كل شيء .
(– لم لا تسكتوا هذا الصوت الذي يريد أن يشيع الموت في كل شيء ، الصوت الذي يغضب الإله كل الآلهة عبر الازمان السحيقة وعبر مستقبلها.
نحن لانستطيع أسكاته بأنفسنا لانريد أن نترك دفئنا وسكوننا اللذيذ.انصبوا له المشانق لاتكفيه مشنقة واحدة ، صوت يمتلك أرواحاً عدة كأرواح الهررة.. رؤوساً عدة كرؤوس الافعوان .. أطرافاً عدة كأطراف الأخطبوط.. خلصونا منه قبل أن يميتنا.. قبل أن يحيلنا سراباً .. قبل أن يحرمنا من نعيمنا.

نحن نحيا في انتظار موت بهيج.. حيث كل ماتشتهيه النفس .. كل ماتشتاقه العين .. كل ماتشتهيه الأذن .. كل مايتلذذ به اللسان .. كل ماترتاح له اليد .. كل ماينتشي به الأنف هذا مانريده آملين .. ألا تكفينا سعادتنا .. وجودنا الذي تسميه اميرة العدم .. وجود سعيد .. دار .. رياش طعام .. شراب .. زوجة .. أولاد .. مال .. سيارة . وفي بعض الاحيان جسد نستمتع به ثم نستغفر الله على ما اقترفناه . ولد لايمتعنا إلا لانه يذكرنا بخلودنا كل ذلك يعقبه الابتهال ثم خمرة مزة صافية كعين الديك نتشهى بها :
أما سلامنا على جميع الوجوه، وجوه أصدقائنا وأعدائنا فذلك أمر أمرنا به .. فما أن تدير لنا الوجوه قفاها حتى نلطخها وهذا عرف نتبعه ولانؤاخذ عليه.وأحياناً نجد أيدينا في جيوب بعضنا .. نخرج منها مانريد ..نلتهمها نستولي عليها.. نخزنها.. نضعها على موائدنا .. ذلك لايهم .. أليس في عملنا هذا تعاضد وتآزر وتعاون نمدح عليه . وإذا مابعنا نساءنا.. ووأدنا كرامتنا..وسرنا سيرنا الوئيد اللذيذ..إذا ما أكلنا قملنا..وجلسنا في ظلال ظلنا. .إذاماخفنا الأعاصير والأمطار والسيول والفياضانات والطيور ذات المناقير الذهبية والحشرات والهوام والجرذ والفئران. أليس في كل هذا الخوف حكمة ؟.. وفي كل هذا السكون لذة ومتعة؟ أنا لاأبدل لحظة من حياتنا التي اعتدناها بكل حركة .. حتى الطيران . فضلا عن النعيم الذي سنجنيه من موتنا.. أليس من الواجب أن تكون الحياة تمهيداً للموت المنعم اللذيذ.
انصحوها أن تقلع عما هي سائرة فيه .. إنها تسير إلى التلاشي فإذا لم ترعوِ.. انصبوا لها المشانق أو دعوها ترحل كما رحل أخوها بعيداً حيث لاترى ..ولاتحس.. لاتسمع.. لاتشم.. لاتلمس.. لاتتذوق انها أشد خطراً من الخطر.
هذه نصيحتي .. إذا أردتم أن نبقى كما نحن.. أن ننعم بخمولنا الدائم.. المهد للموت .. المنعم الرغيد ..).
خطواتك الرتيبة تشي بخوفك.. النعاس الذي استحال ورماً بغيضاً.. يعطي قيمة تافهة لقلقك.. يشيد حولك سياجاً من الخمول .. تنسى وانت في أحضان قلقك .. أن

ماتبقى من المسافة لايدفع الانسان مثلكم لأن يتحرك.. وفي الغد الذي تأمله.. تتجمع حول عينيك أزواج لاحصر لها من الذباب..عندما يتحول النعاس الى ورم ملي بالصديد . لاتنتظروا من الاله غير أن يرفضكم ويلغي اللحظة القذرة التي جعلتكم تمرون من أمامه . ويودعكم في أحضان جحيم تدنسون وقوده .

(— لن أستمع اليك ثانية .. نقي ماشاء لك النقيق)

أحسّ أن التجمد الذي بعثه ثامر في نفسي يسحقني .. والآن بعد ذهابه .. بدأ يتسايل مثل قطع الثلج.. ظلمة داخلية.. وحرمان.. وتجريد من كل احساس..اخلاء لعالم الوهم.. عدم تفاعل مع عالم الروح.. إنني أحسّ بألم ممزق عندما أستعرض حياتهم . أولئك الذين يجدون تحت جلدهم حجيرات بشر .. إنني أحسّ بالعجز الواعي عن إظهار الغضب أزاء الحماقة البشرية .. لم أعد أرغب في الضحك.. إن الموت ضحكا من شدة الالم السبيل الوحيد للخلاص.

الزمن يتتابع في حلقات مفرغة .. تفتح نوافذ المتاهات السحيقة لتتسابق خطوات الليل المدلهم نحوهم.. تلفهم في الظلام والعتمة.. يجثم فوق صدورهم.. يتنفسونه.. يتجشأونه يتصاعد من حناجرهم لحناً جنائزياً رهيباً يبشر بالموت.. طريق خلاصهم الوحيد.. أليس الموت نوعاً من الركود والسكون؟! إنهم محمولون أبداً بلاوعي على أشرعة الوهم.. أشرعة ممزقة.. لكنها ترفرف بسوط بارد جليدي سريع كخفقة جناح غراب متعب كدود .. إنهم يتكئون على أذرع الاحلام المعطرة يتوسدون الحياة الكسلى .. يتغنون بأصوات عالية منبعثة من مكبرات الصوت وصليل السيوف الخشبية. وأنا هاربة مصلوبة في عنق زجاجة ..ماذا استطيع أن أفعل غير الرحيل . أليس رحيلي بدء الاشياء وتجددها.اعادتها بشكل آخر ،نموها وانفجارها إلى اشياء جديدة آخرى لاتحصى..أليس في انفجارها أنهيار صرح الكسل وتبدد الضباب ؟. أليس رحيلي انبعاث الليل إلى نهاية فجرية مشرقة ؟.حيث يتمزق الظلام ويأكل ضبابه ليلتهم ، الضباب الكسل ، لتبدأ بعد ذلك حياة جديدة يلقي فيها النهار كفهُ على أعين الأنسانية .. ليصلب فيها النور .. لتبرق بأمل وامض متحرك .. حيث

يكمن جوهر الحياة ومعناها . بقي هاد ساهراً يفكر قبل رحيله..نازعته رغبة للهرب إلى عالم أخر إلى العالم الذي يحلم به ، حيث الحقيقة . ، حيث تذوب الأضواء في وحدة متكاملة ، حيث العزاء من زيف الحياة وخمولها . إننا نموت لأننا نفقد حياتنا في الأهتمامات السخيفة ،ولاحياة ،ولانجاة لنا الاّ بالرحيل .

عثرت على رسالة صغيرة بين اوراقه .

أميرة

الأزمة تتفتل.. يتداخل بعضها في بعض إلى غير نهاية .. ومن حين لأخر تترك فيها أنوار الحقيقة بقعاً عميقة لاتدرك .. كل شيء يتداخل في كل شيء لذا تفقد الشعور بالأمن والطمأنينة.. يستولي علينا إحساس بأننا نعيش في غير عالمنا،لنحيا غير حياتنا، في كفي ازواج من المخالب أردت أن أحفر بها قاع البحر الصامت ،ولكنني عجزت فتسربت المياه من بين أصابع امواج الشاطيء الصخري وحطمت كفي ، انا الآن من غير يدين بلا وجه بلا أطراف سأزحف بعيداً، قد لاأعرف الطريق ولكني آمل أن يقودني الطريق إذا ماوقفت عليه .. لم تعد لي وسيلة أخرى لايجاد ذاتي غير الرحيل .. قبلاتي لأمي وزوجتي وداعاً .

ملاحظة : ارجو الاّ تبوحي بسر هذه الرسالة لأحد، لاأريد أن يعرف أحد سر رحيلي أليس الرحيل عندهم يعني الموت،دعيهم يعتقدون ذلك .. شكراً.

كان رحيله الحل الوحيد لمشكلته .. ومشاكل من حوله ..لم يحزن أحد لرحيله أو يتألم .. الامور جرت كما وقفتم عليها بأنفسكم .. أزمته خلفت أزمتين . . شريف وأنا

جاءني والد اللعبة المتحركة بالأمس صارخاً : — لقد هربت ابنتي

— أين ؟

— لاأدري .. أظن أنها رحلت معه .

— مع من ؟ ! !

— مع أخيك .:

— اين ؟ .

— يرددون انه مات .

– شريف قتله .. غرق في النهر .. ليس جلد النعمان الأعور .

– لا أصدق هذه الاكاذيب .. أريد ابنتي.. هاتوا ابنتي والاّ صرخت بأعلى صوتي وجمعت حولكم الفضيحة .. أريد ابنتي .. أريدها .

– ابحث عنها .

– لااستطيع البحث.. مصاب بالروماتيزم .. الا تعرفين اننا لانستطيع الحركة.

– جنّد من يبحث عنها .

– لاأملك مالاً .

– دعها وشأنها .

– أنا محتاج إليها .

– لست بحاجة إلى حنان الأبوة أو حنان البنوة ..دعها تحيا كما تريد ..أنت تستطيع أن تستمتع بحنان البنوة ..لديك العديد من الأولاد اولاد يحبونك .

– ألا سحقاً للأولاد والحب .

– لماذا تريدها اذن ؟.

– لتعينني على الحياة ،لتجلب لي المال ، صرفت عليها طوال عشرين سنة من أجل أن أحصل على ثمرتها ،ثمرة المال لاتنمو من غير زرع وماء وشمس .. وحين حان قطافها هربت إنها تفقدني عقلي، تجارة الاولاد تجارة بائرة ..الاسحقاً لأخيك.

– اذكروا غرباءكم بخير .

– سأخبر الشرطة ..انت أخفيتها ..شريكة في الجريمة ..سأسجنك.. سأقتلك.. سأصلبك .

– انني انتظر الصلب، هذا ماأخبرني به هدهد سليمان ،يطلب لبلقيس البهجة.. يريدها أن تصلب سأمها على صليب موتي .

لاتتعب نفسك من أجل شيء ،أليست هذه فلسفتكم ،إبنتك لن تعود ، اختارت طريقها ،وأنا سأختار طريقي ،وأنت اخترت طريقك .طرقنا متوازية، لن تلتقي ابداً .

– إلى حيث ..

(– قولوا لأبي انني اخترت طريقي ..قطعت في مسيرتي أشواطاً .لن أعود إلى طرقكم الموحلة بالزيف ..ساتبع صانعي ..أنا معجبة به ..أحببت فيه الحقيقة دائماً . اكون إلى جانبه ان أراد .. بعيدة عنه إذا رغب ..لكنني سأكون معه دائماً ..) .

(– ثقوا بأنني لاأعرف برحيلها ولاعما تود فعله..أريد أن أصارحكم وارجوالا يجرحها قولي ..إنني أعجب بها فقط ..أعجب باللعب المتحركة في معمل اللعب. لم أحبها ابداً .. ستضحكون ستقولون في باطنكم: انني أغويتها خدعتها .. أنا صاحب المباديء ابداً لن ازيف حقيقتي .

سيقول الطيبون : لماذا تستنكرون ذلك : – سيلتقيان وفق طقوسنا .. أجيبكم : لن اغير مباديء ..لن ازيف حقيقتي .. أنا لاأريدها أن تسير على هدى خطاي .. أريدها أن تسير على صوت خطاها .. على صوت قلبها .. عقلها .. حقيقتها .. أليس لكل انسان حقيقته الخاصة) .

جميع من أحببت رحلوا..وأنا باقية وحدي..أنهش الحجارة..أقضمها كحبة فستق.. ملأت صوتي دائماً أغاني واهنة..راعشة..لمن احببت.ملأت أفواه الضفادع نقيقا.. وحكايات عن أشباح تلاشت أمامي.وأنا باقية وحدي. أضحك من ألمي.. أرفع صوت نفسي إلى حلقي ..ليخنقني وعي ولاوعي..في صحوتي وسكري الحزين .

في هدأة الليل ..حين ينام الكسالى الخاملون يجد شريف ..طريقه إليّ .

أسرعت قدماه ليلة أمس ..أسرعتا في حركة لاواعية..ضربت قدماه وجهه بقسوة.. كما ضربت اسفلت الشارع الأنيق .

– أنا :أنا احبك ..قراري الأخير ..أنت مسكني الوحيد .

– وانتصار ؟.

– لقد افترقنا .

– اخبرتها الحقيقة .

– إنني أحبك .

– لماذا أحزنتها .

– أفرحتها الحقيقة ..أعلمتها انني أحب العالم من خلال قلبك لاقلبها وأنا أفضل القلب على الجلد .

– هل فهمتك ؟.

– ودعتني بمرارة باكية ..أخبرتني أنها ستجد طريقها أيضاً .

– هل تعتقد أنك اخترت طريقك ؟.

– متأكد من ذلك .

– أنا في الصيف وانت في الربيع .

– يلتقي الصيف بالربيع دائماً ..آخر الربيع صيف ..وأول الصيف ربيع . منذ تعارفنا غرست في قلبك كل أزهار الربيع..رويت أزهار الصيف الذابلة.. ظللتها من الشمس المحرقة .. أزهرت .. أينعت ربيعاً .

لن أميت ازهاره في جفافي .. الوجود في حاجة إلى الربيع دائماً ..مادام في حاجةإلى الخصب ، عيناه حريق الوجد..ابتسامته زورق فضي رصعته في قلبي..صوته قيثار أبولو يعزف في جنبات نفسي .

– لنواجه حياتنا من غير زيف .

– كيف ؟!.

– لنقول مانريد قوله .. لنفعل مانريد فعله .

نزع جزءاً من – سترته – بيد .. أكمل نزعها باليد الأخرى ..رماها على مقعد صحراوي اللون اختلط عناب قميصه الصوفي بقرمز وجهه..اتجه نحو الحاكي.. وضع في قرصه اسطوانة .. أدار مقبض الحاكي بيد ..رفع يده الأخرى كأنه سنونو طائر..انبعث صوتيغني اغنيته المفضلة..تهادى في الغرفة المستطيلة..جيئة وذهاباً ..مرفوع اليدين بانسجام موقع مع القدمين..زوربا هكذا بدا لي بكل جلاله.. بكل جماله ..بكل روعته بكل مافي قلبه من حب وكره وحقد .

استلقى على بساط ثمين وثير .. قرمزي بلون وجهه ..عنابي بلون قميصه الصوفي مختلط البياض بالسواد كاختلاط خصلات شعره المسدلة بانسجام على جبهتهالناصعة بخنوع ..كلون شاربه المنساب بتناسق مع لونه الكريمي المحلى بمربى التفاح ،راح يردد الأغنية بوقع أخاذ ..بصوت فيه تردد البشرية براءة الطفولة..بحركة لااستطيع نسيانها وأنا معلقة على صليبي في الأفق الشرقي ، صاح :

– أنظري إنني أرى صورتي في مركز المروحة السقفية

اقتربت منه ،وضعت يدي بتردد على صدره..كان قلبه ينبض بقوة غير اعتيادية.

– أنظري ..الاترين صورتي وصورتك ؟ انظري كيف نبدوا ..

كانت نبضات القلب كل مايشغلني ..بان قلق حائر في عيني.

– مابك ؟.

– ابداً ..لاشيء ..يحسن بنا أن نراجع طبيباً .

– طبيب ؟! أحس بقوة ..انني بخير ياأميرتي

التصقت يدي فوق القلب النابض لاتريد فكاكا عن قلب خفق قلبي بحبه ،أحسست بحاجة للبكاء بين ذراعيه ،على كف ليلة شتائية قارسة .

بدأ النزيف في قلبي ..في أناملي ..كأنما السماء تنهمر في داخلي.. شوق طفولي إلى بكاء يمزقني فوق قلبه النابض بقوة مرضية ،كنت مركباً محطماً أرهقه الموج، أحاله الواحاً طائفة ..كنت كطير مهاجر يبحث عن نور ودفء ،من اين جاء الحزن ؟! كيف جاء ؟! يحمل حقائب الدموع والبكاء .غدا قلبه جزءاً منيدي..ثم هطل المطر ،عيناي غمامتان محملتان بالمطر، اصطدمت غيمتاه بغيمتي،موجة كهربائية ،صوت متفجر صاعق ،هطل المطر، بكينا بغير ارادة ، أحسّ بأن نهايتي غداً أم عرف بانه يكذبني ؟ .

– أردت أن أخبرك ،أعاني مرضاً في القلب ،روماتيزماً ،شيئاً شبيهاً به ..انني أموت أموت ببطء ،أعاني مرض انسان العصر .

– تعاني مرض الإنسان الحقيقي في عالم الزيف .

– انني احس رياحاً باردة تحيل ندى أزهاري الربيعية إلى جليد :
تغيبت في حلمي ،تلبست أجفاني ،الموت كلمة منذورة للأرض، الموت حضن عاشقة ،نفحة حب .
الليل يتكسر ..عيناه تقرآن لي زهور الربيع اشتعلت بداه :
– هاتي يديك ..لم يبق غير الموت .
– غير الحب ..الحب أبقى من الموت .
– أريد أن أتصور كل حبي ..حتى تنزف الطبيعة في جسدي:
– حبك مفتوح كالجرح في قلبي:
– حبك شموع ليلة ..مزامير شرقية .
– الحب نوارس ليلة تناسل في اعشاش الموت .
– زمني يجري ..ريهرب مثل الماء .
– الليل يسكن في أحشائي ..أحسّ أن الشمس تتعرى ::
– زمن الحب في دمي
– حبك لهيب لايتمهل.. يشعل الأحشاء والجسد.
وصمتنا... وبعد أن انتشى قلبانا قال:
– الليلة لاتنسى .
– ليلة ذكرى .
– ليلة حب أبدي .
– ليلة حب يتوالد فيها الحب.
– أنا لن أحب وفي قلبي لهيب .
– اللهيب يأتي على ما في القلب .
– يزيد نبضه .
عادت يدي تتلمس القلب النابض .. القلب المريض .. لم أدر ما شدني اليه ؟ ! هل كنت أبحث عن ضياعي ؟! عن وجودي ؟! هل كنت في قلق الحياة ذاك المساء أسعى إلى شيء بعيد أود أن ألقاه لكن لاأراه ؟! .

عانقت روحي روحه .. أرست الاشواق في القلب لهيباً لايطاق..
– في الهوى نبني ونعطي .
– حبنا خصب وأثمار حياة.
– حبنا خصب لروحينا وارواء لذاتينا وشوق لاعناق .
– أيصير النور والخصب ظلاماً ورمادا ؟.
– ان في الشفة طعم المرّ.. نور الظلمات .
– عبثاً كنا نريد الحب أن يمنحنا خيط الحياة ..
– ولماذا ؟!.
– أنت تدري لاتسل .
– إن في الاخصاب إشقاء حياة.
– أسفاً ماذا غنمنا ؟!.
– غنمنا! حبنا فيه حياة وحياة .
– حبنا قفر وموت للحياة .
– أتريدين الجسد ؟
انني أطلب حباً فيه يؤذي جسدي من مشتهاه.. من دمائي.. من عروقي.: من حياتي .. في حياة .
– إن حبي ليس إلا نظرة حرّى وقلباً مستهاماً.. ولقاء القلب بالقلب .. ودفء اليد باليد .. وفي الصوت عذاب المستهام ؟! .
– أمثالي أنت في حبك أم أنت الذي لايستهام .
– أنا عشق أبدي قد تمناه الكثير ..قد تمنته الحياة ..رجل يصلب من أجل حبيب قد تجسد في ذوات ، اناطير مستهام يعرف الدفء وألوان الحياة .
– ستعيش معي ؟.
– لا...

– أعيش معك ؟.
– لا.
– كيف نعيش ؟
– انا لاأستطيع الآإعالة نفسي :
– أعيلك انا :
– لك نفسك ولي نفسي أعيلها :
– أنا لست عشيقة أحد .
– ماهذا الكفر ؟!.
– أي شيء انا ؟.
– حبيبة .
– يدعونها عشيقة :
– يدعونها حبيبة .
– الحبيبة زوجة مقدسة .
– إذا ماأضفينا الصفات على الحب أضعناه .
– التملك تريد؟ :
– اريد السمو
– الجسد والقلب ؟.
– القلب فقط .
– ماأمر الجسد ؟:
– الفناء .
– والقلب؟.
– البقاء .
– القلب جزء من الجسد .
– القلب كل الجسد .
– ماالذي أفعل بصيفي ؟.

– أظلله بربيعي .
– يشتعل ربيعك صيفا .
– لاتقلقي دعي الأمر لي.
– وأبقى أمامك وجها لوجه .
– هذا ماأدعوه السمو.
– سدى ومحال :
– لاانعتاق ..

بقيت ساهرة افكر ..نازعتني رغبة في الهرب من الحياة ..وأنا أنظر اليه راقداً أمامي ..أنفاسه هادئة ابتسامتة آملة..عيناه مطبقتان على حلم ..أحمل عذابي بصبر.. حارت دمعة شاردة ..أحسست أن كل شيء هباء ..الحب ..الحياة ..كلها معان تتلاشى في ضباب الضياع ..النسيان ..حتى البكاء نفسه .. لم يعد شيئاً حقيقياً كالأنغام المنبعثة من الحاكي .. تبقى الحياة كاكلمات الراقصة في ديوان شعر تعلن زيف الحياة ..كالزورق الفضي في السماء ..في قلبي يومض ومضة الخداع ..خداع الحياة. بواعث الموت متعددة كتعدد البواعث على الحياة .كان حديثه وصدى حديثه يخترقان جسدي ليستقرا في رأسي كصوت منشار في عظم انسان ..أي شيء انا بالنسبة اليه ! سموّ أم حطة ..حب أم نزوة .. حقيقة أم زيف ؟! مساماتي تسح احساساً بالألم .. حملتها منذ البداية حتى نهاية عمر سحب فوقه الزمن جثثاً طرية .. إن حبي له يحمل علاقة من التعشق لاحياء طقوس للتعامل بالغرائز الحية دون تصنع ..دون أصباغ .. لكنه أماتني بكلماته ..سحقني كما تسحق ابتسامة طفل صنعها دون وعي منه لتتلاشى في ترعة جوع فجائية فتنقلب صراخا ..لم يعد الليل طويلا بلا حدود ..فقد سحقت قطرات الاسى المقطرة من الليل كلونه الاسود..العقارب والنبض ،وابقتني جسداً بلا أبعاد..بلا حدود كانت حولي أشياء لاأستطيع أن أعيها ..أشياء مادية روحية ثقل فيها الجوف...احساس بالاختناق..حصار نوع رهيب من الحياة ..استيقاظ الحواس.. طاقات الروح الراقدة الكالحة تنتشي بقسوة ..سحقني ثقل مميت انتشر فوق أعضائي

ثقلت الغرفة على جسدي .. كل شيء بدا لي متعباً ضجراً واهناً كل شيء حتى الحياة نفسها .. الحب .. النشوة .. الخصب ...

وقف جلادي أمامي .. أليست نفسي جلادي .. نفسي تقلد ملابسي .. عطري .. تصرفاتي .. صوتي .. حركاتي. سرق جلادي وجهي .. سرق احساسي .. وقفت نفسي، خصمي الأبدي أمامي، مامن شيء في نفسي الآ ويشبهني كل حجيرة في جسدها .. كل خيط في ثوبها .. كل شعرة ، في رأسها .

قالت لي بتحد : انتصرتُ وخسرتِ أنا حية من الآن وأنت ميتة ميتة في الأرض ، في السماء في كل الأرجاء .. انتظري صليبك على نغمات مزامير داؤد في الأفق الشرقي .. حيث ستصلبين . ما إن أتممت نفسي عبارتها حتى سقطت أنبوبة الاسبرين من يدي حملني جن سليمان إلى الأفق الشرقي .. حيث سمّرت على الصليب وسط هتاف الجماهير المستبشرة .. وسط ابتسامة بلقيس المشرقة لأنغام مزامير داؤد الساحرة .. وسط وشوشة الهدهد لسليمان ثم انتشر دمي يصبغ الأفق .. يصبغ أركانه الأربع .. انعكس لونه على وجه الانسانية النائمة كطفل سعيد في حضن القدر .

• • •

شريف

مرت يدي وفق يد تمتد لي عبر الأفق .: وكانت (انتصار) بعد أيام من الحزن العميق .. حزن حب قتلته قطع من اسبرين وأعاشت فيه كل ذكرانا .. أسانا .. حبة فيها حنين .

— هل تقبلين ؟.

— ماذا .. ؟ ماذا أقبل ؟؟.

— نتزوج .

— انت تهزل :

— انني جاد .: ملح ..

— حبكَ الذي انتحر .

— لم يكن حباً .

— ماذا كان ؟:

— نزوة عابرة :: صلبت عبر الأفق .

— إنني أضعف من احتمال الصلب في ذرات غيمة .

— أنت رمز قلبي .. صورة تبقى لعيني .. لاتفارق مهجتي .: لاتفارق جفني لحظة .

— كنت يوماً .. حبك المفجوع .. كنت يوماً أغنية .. ماتت على نبرة حزن قاتلة .. نغمة ثكلى تلاشى بعدها كل نغم .

— كنت لاأعرف ماأفعل في دنياي .. كل ساعاتي تموت .. لحظة بعد لحظة بين نظرات حيارى وابتسامات حبالى .. كلها أشواق طيف لم تمت في مقلتي .. وتلاشى الطيف بعد الطيف حتى لم يعد في يدي طيف غير حبك .

— لست قبراً لأحد

— أنتِ قلبي وحياتي وأماني الكبار .

الحلم الجميل أضحى كابوساً يثقل على صدري .. حياتي نبضات ساعة دقاقة أحسن صنعها .. ضبط فيها الوقت .. عمل في الصباح .. عمل في المساء عودة متعبة .. طعام رتيب .. سرير وثير .. جسد ألفته .. حياة كلاب هذه التي أحياها .. القمر ينثر دماً قانياً بدلاً من فضته .. آثار الثورة الكامنة في نفسي .. نطحت الجسد .. قلبت السرير ... رفست الطعام .. طعنت العمل .. أمام حقيقة واحدة .. الموت بين ذراعي انتصار .. العقل الواعي يتضاءل .. انفجر أنبوب الاختيار في فجر يوم لم أنسه أبداً .. أخذت سمتي إلى المحطة بدلاً من طريقي المعتاد .. ركبت القطار . . . ومعي بطاقة سفر .

مدينة ألفتها .. أخرى اعتدتها .. ثالثة .. رابعة .. خامسة .. سادسة .

عالم غريب .. نساء كثيرات عاريات .. شبه عاريات .. الشوارع تهرول .. المصانع

تخلق الحياة .. الموت يموت فزعاً من روعة الحياة .. حرية تنسيك ما الحرية.. جمال مصنوع .. جمال طبيعي .. حياة مصنوعة .. حياة حقيقية.. أيام مرت وأيام .. أحسست بالسأم بعد الدهشة ..الحياة تموت في الحياة .. كل شيء يتوالد في كل شيء ليُحفظ في اللاشيء . انتصار غيمة عابرة..أميرة جرح غائر مهدور. انني أتوسد منضدة المقهى .. نظرت بعيني جؤذر .. نظرت بعيني ذئب .

— اسمي جينا

— سمني ماشئتِ .. في بلادي يدعونني شريفاً .

— كلكم شريف .

— كلكن جينا .

مددت أصابع .. مات الشعور فيها .. مات اللهب .. كما ماتت الشمس عبر الأفق ، خريفية صفراء .. شاحبة اللون .. مقرورة .. كان الفراغ يحط في عيني ثقله .. تفاهة الأشياء تلقي ظلها الخاوي في نفسي .. وتلف أيامي الرتيبات المملـة .

— نقيم هذا المساء حفلة .

— ... ...

— أود لو أتيت .

— أنا لا أهوى القيود .

— ستكون نجمة في أفقنا .

— أنا لا أهوى الغروب .

— والشروق .

— أنا لا أهواه أيضا .

في قصر مسحور أخضر فيه زينات وألوان تبهر.. حسان. . . أقنعة .. زيف كل حضارة الغرب كل أماني الشرق المسحوق تحت أحذية الفقر .. العين رمادية .. سوداء

فضية .. زرقاء شهابية .. الأهداب ملونة مصنوعة ترو مولا .. تتحايل تغمز كذباً .. تتمايل مع ذيل فستان أخضر .. أصفر أحمر . كل الألوان .

— أدعوكَ لكأس .

— أدعوكِ لكأس .

— سآتي بمعطفي .

امرأة سهلة ، المرأة في الشرق صعبة . أميرة تموت من أجل اللوعة ،سلوى تتحول تمثالا من أجل الصبوة ، رابعة تبقى ى ود لايفنى .. انتصار تمثال النصر ن ميدان النزوة والحب والمتعة .

— أين نذهب ؟ .

— إلى شقتي .

— من سجن إلى سجن ؟ .

— إلى سماء اللذة .

— اللـذة سراب .

— ياعديم الأشواق .

— يا محطمة الوجه .

— يكفيني وجهي .

— انتِ بلا وجه .

— انت بلا اشواق .

— ماتت فيّ الأشواق .

— لحـ متحرك .

— قلب نابض .

— فقـد حرارتـه .

— فقد إيمانه .

— الايمان عقيدة .

— انحرت عقائدي .

– في المرأة ؟ ! :
– في الحياة .
– انت في معمعة الحياة :
– حياة مزيفة .
– طبيعة الحياة .. الزيف .
– أساسها الوجود .
– أين الوجود ؟
– في قلب يؤمن بالانسان .
– أنا اؤمن بالانسان .
– أنت تؤمن بنفسك .
– نفسي هي الانسان .
– نفسك انتحرت في ذاتك .
– ذاتي وجودي .
– ذاتك فناؤك .
– ما الوجود ؟ .
– قلب ينبض .
– مات في القلب .
– قتلته امرأة .
– تحنطت بين فخذين ..
– امرأة انتحرت من اجلي .
– سأبعث لك قلبك :
– ان ينبعث بين الفخذين .
– ابعثه في قلب ينبض .
– القلب ينبض من أجل الفخذين .
– قلبي ينبض من أجل النبض .. من أجل قلب ينبض :

وجلسنا على بساط أخضر .. ذكرني بربيعي الأخضر .. وسكتنا منصتين إلى خرير جدول ..

ثم ماذا ؟ .

قفز ضفدع .. ضفدع أخضر .. بلون ربيعي الأخضر .. الضفدع أنا .. يملك أنفي .. يحمل شدقي .. ينظر في عيني .. رأسه رأسي .. يفكر مثلي .. يبحث عن مأوى في قلب البساط الأخضر .. في قلب الأرض الأم .. أمي الأرض تدعوني.. نجوى تصهرني .. استاذي الراحل يهددني .. والنصر هناك .. النصر الكامن في انتصار .. يقيئوني ..

– لنعد .
– أين ؟ .
– سأذهب بك إلى قصرك الاخضر .
– قصري قلبك الأخضر .
– أنا ظل زائف .. سرعان ما يفقد رواءه .
– أنت قصر أخضر .. حلمي الأخضر .. حبي الذي لن يصغر .
– أنا متزوج .
– عفت زوجتي .
– أنا شرقي .
– تركت جنسيتي .
– أنا مسلم :
– سحقت ديني :
– أنا ضفدع :
– أنا حرباء .. تتلون بكل الالوان .
– قتلت امرأة أحبتني :
– اقتلني :

هجرت فتاة غطتني .
– اهجرني .
– سحقت لآلي في قلبي .
– اسحقني .
– أنا الموت .. أنا القدر ..
– موتني .
ماذا أحس بأعماقي .. ترتج أهوائي وأشواقي ..الف انفعال .. الف عاطفة.. محمومة بدمي .. بأعطافي ..

(٣)

زبالة

نشرت الصحف الصباحية عنواناً كبيراً .. في أعلى الصحف التي صدرت صباح يوم .. لاحاجة بي أن أحدد تاريخ اليوم .. ايامنا متشابهة كأنها يوم واحد .. لكن هذا الخبر .. جعل يومنا هذا .. متميزاً عن بقية اليوم الواحد .. بالحرف الأحمر الكبير .. هذا السارق كشفته الصدفة .. جاء في عمود طويل في صحيفة .. لاحاجة لتحديد الصحيفة .. كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً حينما تأهب الحاج عبد الحسين الطيب لمغادرة مخزنه .. الكائن في شارع .... وبعد أن أحكم اقفاله مضى ماشياً في طريقه إلى بيته ليستريح من عناء العمل فقد اعتاد على إخفاء مدخراته وأرباحه في أحد الأدراج الخشبية داخل مخزنه ، ولم يدر بخلده أبداً أن تمتد يد غريبة لتعبث بها أو تسرقها لأنه صديق الجميع ويحب الخير لكافة عملائه ..... وعند الفجر ، وقبل أن يستعد لأداء فريضة الصلاة .. جاءه من أخبره بأن مأمور المركز يريد حضوره إلى مركز الشرطة لأمر هام فبسمل وحوقل ، وألقى اللعنات على الشيطان آلاف المرات وتساءل وتساءل .. ورجع يهمس ..
– الله الستار .
وقف مشدوهاً فزعاً أمام مأمور المركز وهو يتلقى الصدمة العنيفة القاسية أمطره وابلاً من الأسئلة الجافة المعتادة ..... انتقل المحقق إلى المخزن الكبير .. كانت

موجودات المخزن مبعثرة .. لم يبق إلا القليل وقد عبث السارق بها قبل أن يبتغى الأحسن والأفضل وفي الجدار الخلفي حفره حفرها السارق ونفذ منها إلى داخل المخزن وقام بارتكاب جريمة السرقة . كانت حصيلة السرقة فقدان مبلغ الف دينار ومجوهرات تقدر بخمسة آلاف دينار وصفائح وأكياس وعلب وصناديق تحتوي على كميات كبيرة من الشاي والسكر والصابون والبن دوّن المحقق كلما تفوه به الحاج عبد الحسين الطيب .. وإلى هنا توقف التحقيق (١).
لعبت الصدفة دورها لتضع السارق أمام العدالة وجهاً لوجه :
ذات ليلة حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل كان الحارسان يجوبان الشارع الذي وضع تحت حراستهما عند لمحا فجأة شخصاً يقوم بحركة غريبة ، أثارت شكوكهما وبأسرع مما يتوقعان ، ركب الشخص عربة حمل كبيرة وركض .
لم تجدِ محاولات الحارسين في متابعته فهما لم يزودا بواسطة نقل مهما صغرت.. لم يزودا بغير بندقية تركها العثمانيون عندما انسحبوا من العراق أثر إندحارهم عام ١٩١٧ . وفي الصباح قدم المحقق العدلي كالعادة ومعه حاشية كبيرة ، جنود وشرطة ، لصوص ومتفرجون وكتاب تحقيق . صفارات ومسبحات وعلب سكاير وأعواد كبريت . زهرة في العروة ونظارات طبية وشمسية .....
أذاعتها نشرة الأخبار المحلية الساعة الخامسة مساءاً في يومنا المعهود وجدوا وبالعظمة ماوجدوا .. علامة .. خطاً رقيقاً أبيض امتد من المخزن سار الجميع على الخط الأبيض الرقيق وقطعوا شوارع كثيرة وهم يسيرون على الخط الأبيض الرقيق . لم ينقطع بهم الخيط أخرجهم من المنطقة السكنية إلى الريف ثم انقطع قرب باب قديم لبيت ريفي . دخلوا الدار عنوة وفتشوا محتوياته ، أثاث بسيط وصناديق وأكياس كثيرة بقالية ،كبيرة صندوق كبير ،لمسحوق صابون مخروق من الأسفل لم يبق فيه إلاّ أقله ..... ألف شكر ياصندوق مسحوق الصابون ، ألف شكر

(١) قرأت نبأ هذه السرقة ذات يوم في صحيفة لا اذكر اين ومتى وبقيت عالقة في ذهني وصممت بأن اتصرف في هذا الجزء من الرواية .

أيها الثقب الجميل في أسفل الصندوق ، ألف شكر ياالسهالاً أصاب أمعاء الصندوق مشينا عليه ، اقتفينا أثره فوجدناه . وجدنا الخط والمجرم العاتي . ترقى الحارسان.... دينار جديد يتبدد أول يوم في الشهر :

ترفع المحقق العدلي .. دنانير جديدة توضع بعناية في جرار حديدي .

ألف شكر .. ألف شكر .. يامسحوق الصابون الأبيض ... ياصدفة بيضاء ... أزهرت في النفس زهواً أكبر .. ألف شكر ياعصاة تكسرت على قفا انسان سرق وجهه .. قطعّ قفاه .

– مااسمك .

– زبالة عبيد .

– عمرك ؟

– ثلاثون سنة

– عملك ؟

– أسرق مايبد الآخرين .

– لماذا ؟

– لأنني اريد أن أعيش .. أتمتع كما يتمتع غيري .. كما يعيشون ، بعد أن سرقوا وجهي .

– متى ؟ .

– كنت احمي الذمار .

– لماذا لم تبق في عملك ؟ .

– انتهكت حماي .

– كيف ؟ .

– انتهكها أخي .

– متى ؟ .

– منذ اكثر من ثلاث سنين .

– لماذا لم تقدم شكوى ضده ؟ :

– قدمت :

– ألم يعاقب :

– بلى :

– اذن لمّ لم تبق في خدمتك ؟ .

– قتلت من انتهك حماي :

– قتلت اخاك .

– نعم :

– مجرم .

– هذا ماقاله الحاكم عند اصداره الحكم :

– اكثر من مجرم .

– لمْ يقل ذلك الحاكم :

– سجنت طبعاً :

– ثلاث سنين .

– قليلة جداً :

– قضيت سنتين في السجن فقط .

– هل سرقت متجر الحاج عبدالحسين الطيب ؟ .

– نعم .

– أين خبأت النقود والمجوهرات .

– أي نقودٍ ومجوهراتٍ ؟.

– ألم تجدها في الدرج ؟.

– وجدت ديناراً واحداً .

– هل تكذّب الحاج عبد الحسين الطيب ؟.

– نعم :

– الكاذب رجلٌ ورع ... وانت الصادق لص قذر ؟

– لم لا ؟

– ماعدد عمليات السطو التي قمت بها .

– كثيرات .. منذ خرجت من سجني ، من سنة ؟

– ولم يقبض عليك .

– يعود الفضل إلى ذكاء المحققين ؟

– كيف تقوم بالسرقة بهذه البساطة .

– كما يفعل كل سارق ذكي ... كل يسرق بطريقته افتح فجوة في الحائط بخنجري هذا ، ثم انفذ إلى المتجر .

– بمفردك .

– طبعاً وإلاّ احتجت إلى مراقبة شركائي ومقاسمتهم الأرباح .

– ثم .

– هذا كل مافي الأمر .. ألم تتعلمها بعد .

– اخرس .. يجب أن تعود إلى السجن .

– ذلك أفضل ؟

– أنت مجرم بالفطرة .

– لم تحسن التحديد ... اجرامي مكتسب .

– ممن ؟.

– من المجتمع .

– خذوه بعيداً ... اقتلوه ... اشنقوه ... اسحلوه .

العجز الواعي يبعدني عن اظهار الغضب ، يدفعني للضحك من الحماقة الانسانية ، للضحك الذي يمزق الأحشاء ألماً .. أعيد في ذهني مافعلته .. أنا زبالة عبيد .. حبيب مطرود .. زوج مخدوع رقم في سجن كبير .. حرية مطلقة ... محرومة من العمل لاعمل لدي .. سجين قبل أيام .. أسابيع أشهر ولا عمل لدي غير

نشل دنانير قليلة ، دريهمات عند أبواب سينمات فخمة : فلم علمني السرقة :: كيف تسرق مصرفاً .. قطاراً .. مخزناً كبيراً .. مجوهرات .. الافلام التي يسمح بعرضها .. مفيدة جداً .. يدّرس فيها اساتذة مختصون بالسرقة :: جامعة عظيمة :: كلية اللصوصية تلك التي دخلتها . ونجحت في سنتي الأولى بتفوق ولكن ماقد وقع يمزقني ، اعادة شريط حياتي يقتلني ويسحقني ، مافعلته ، وكل ماقد وقع يشعرني بالخزي ،الدوافع انكشفت لايد لي فيها . تحملت وزرها من دون ذنب ،الوعي لأشياء لم أحسن عملها .. أضرت بالآخرين ..

حزن موجع .. كأنما امرأة تسلقت برجاً نائياً تراقب عودة حبيب لن يعود :: الحياة حلم خائف ... نعيم وجحيم .. حرية وقيد .. في كل ليلة ... تلتهم السلاسل رجلي .. كل شيء في الحياة غريب .. حتى الرحيل ، كل الناس يندفعون في سكونهم ورحيلهم إلى وضع السلاسل في اقدامهم .. وما أن يحسوا باصفادهم حتى يناموا في سلام ... وإلا فلا مكان يضعون فيه أقدامهم ورؤسهم ؟

كنت جريئاً في حزني .. في هجومي .. في سعي .. في سجني .

في الوقت المناسب تنتصر بحجر صغير وقد تخسر بحجرين كبيرين . كان علي أن أمسك بيدي مخالبُ نمر .. أنياب أفعى لكنني غصت في قاع بئر .. صافي الماء ، مرعان ماتكدر . تلكأت في خروجي إلى جانب عرائس الماء .. عندما تعالت أصوات الفئران .. نزعت غصت في وحول البئر .. أغرقني الوحل لا الماء الصافي .. نثرت أحلامي في الفضاء .. أحلامي الملونة غلفتها أمواج داكنة من ضباب وحشي: وجه هممت على معايشته ... وجه سرقَ وجهي ... اعطاه لقفاي ::: أضحيت من غير وجه أو قفا .. تراكمت أشباح مضطربة في صمت أخضر ، أنبعثت ضربة مزقت الوجه الذي سرق وجهي .. هربَ قفاي .. لم استطع تمزيقه على الرغم من أنه كان أصغر مني أخذتُ سكينا ... فصلتُ قفاي عني ... انتصرتُ في اعلانات التقاليد .. عندما مزقتُ وجهي ... عندما قطعت قفاي ... عندما فصلته عني

اعلانات كبيرة في أضواء ملونة ... نيونات من جميع الأشكال والألوان :: زبالة عبيد في الصحف ... زبالة عبيد في المحاكم .. في الدور ... في المقاهي على المنابر ... على أرصفة الشوارع .. في الحي .. على الألسن .. في الأشداق مصلوب في الأحداق :

خسرت نفسي عندما انتصرت على نفسي .

عندما مزقت وجهي .

عندما فصلت قفاي عني... عندما تركت قلبي يغلف غيري في أوراق الورد والبنفسج..

* * *

قال الحاكم لزميله :- زبالة عبيد مجرم عنيد .. سوابقه في السرقات عديدة لا تحصى خلال سنة.

كان زميله الحاكم يحس بالنعاس :- حكاية جميلة

سرق المتجر بخنجر.. فتحة في الجدار... سيارة نقل كبيرة..

تنظيف المخازن.

- حكا... يه جميلة.
- فقدّ الكناسون اعصابهم... لا تحتاج المخازن إلى تنظيف.
- حـ... كا... يـة.. جميلة.
- سوابق في القتل.
- حـ.. كا.. يه.. .. جميلة.
- قتل زوجته قبل ثلاث سنوات مع سبق الاصرار بخنجر حاد قاطع .
- حـ.. كـ... ' ' ' يه... .. جميلة .
- متهماً اياها بالخيانة الزوجية مع اخيه الأصغر الذي لم يبلغ سن الرشد بعد
- حـ.. كـ.. ا.. يه.. جـ.. م... يلة.

- لم يمسكهما متلبسين ، أراد أن يتخلص منها ليتزوج عشيقته الغنية .
- حـ.. كـ:: ا.. ي.. ية :: جـ.. م:: ي :: لة:

-هرب الأخ. ولم يعرف مكانه لحد الآن يشك أنه قتله..وأخفى جثته فهو بارع في الجرائم :

- حـ.. كا:: ا.: ي :: ية .. جـ:: م:: ي :: ل :: ية .

- خففت عقوبته لأنه استطاع بتمثيله المقنع ،بمهارته الثعلبية ان يقنع القضاة بأنه انتقم لكرامته المهدورة ولشرفه الملطخ.

- ... .

- بدا ضحية أمامهم.. ضحية لمجتمعه الذي أجبره على أن يتزوج من فتاة لا يحبها ولا تحبه :

- ... ...

- أجبره أهله أن يتزوجها لأنها إبنة عمه.. : منذ ولدا سميا لبعض :

- ... ...

- عندما طلب إليهم أن يزوجوها من أخيه الذي يحبها وتحبه..رفضوا لأنها أكبر من أخيه وسميت على اسمه هو عند ولادتيهما .

- ... ...

- عندما أخبرهم بأنه يحب فتاة تبادله الحب.. ضربوه ومنعوه من رؤيتها هددوه بالقتل اذا لم يتزوج ابنة عمه ، شرفه وعرضه.

- ... ...

- هذا ما ادعاه وقد أقنع الجميع به، احذر ان يخدعنا، فهو ثعلب ماكر ممثل بارع ، ذو أنف وجه، يملك ملايين الاقنعة .

- ... ...

عندما صرخ المنادي .. محكمة

تلا الحاكم الحكم الصادر بحق زبالة عبيد عن جرائم السرقة التي اعترف بها جميعا:

– الحكم بالأشغال الشاقة المشددة.:: خمس عشرة سنة.

– صاح الحاج عبد الحسين الطيب..يحيا العدل.. اين نقودي ومجوهراتي: ابتسم زبالة عبيد:: وجلجلت ضحكة قوية اسقطت ميزان العدل فتهشم:

(٤)

تردد خبر في المدينة ان هادياً عاد اقوى مماكان.. لقد علمته الهزيمة الصمود وعلمه الفشل الانتصار.:انه عازم على البقاء :. وعلى الانتصار:..فهو يرفع ألوية العدل في المدينة المنكوبة:

وتردد الخبر : ان اهل المدينة ينهضون.. قرروا السير إلى امام، سنبدأ المسيرة نحو الأمل:

كانون أول ١٩٦٧

القسم الثاني

من الذي يأتي ؟

الفصل الأول

الساعة السابعة صباحا

(١)

الساعة تدق :تدق في اذني :قلبي يدق بعنف :

قلبها يدق بعنف .. جسدها الدافيء ينبض في جسدي .. في أعماقي .

قالت : انت زبوس الجديد.

لم أكن أعبأ .. كنت أريد جسدها .. دفأها .. حنانها .

دقت الساعة دقة ثانية ..ثالثة ..رابعة..

قالت لي : أريدك .. أريدك ثانية .. ثالثة .. رابعة .. انا لاأرتوي منك .

أني أحبك .. وأجد في جسدك نبض قلبي .. دفيء جسدي .

دقت الساعة دقة خامسة ..سادسة .

قالت : لم لا ؟ !

سكنت .

قلت : أفصحي ماذا تريدين ؟

قالت : أنت تعرف ماأعني .. لم أعد أستطيع بعداً عنك .. أضحيت جزءاً مني .

قلت : أنا جزء منك .. أنت جزء من جسدي .

قلت : أنت في قلبي .. في روحي .

قلت : أنت في جسدي .. عندما أغمس جسدي في جسدك أحس أني أتكامل .

قالت : لنتزوج

ضحكت أعماقي .. أتزوج هل يمكن أن أفعل بعد أن فشلت في زواجي أن أحيا كل دقائقي كل لحظاتي ؟! أنام .. أستيقظ .. أجوع .. آكل .. أفكر .. .. أتبلّد.. اسمع موسيقى .. أصمت في وحدتي .. أرى صور العالم عبرآلة .. أغمض عيني على العالم .. أسمع دقات قلبي .. هل يمكن ؟ ! أبداً أنا لاأحتمل ذلك أريد أن

أحيا لذاتي .
طال صمتي . سنون مضت .
صرخت في اعماقي : لم لاتتزوج ؟ ! .
قلت : تزوجنا .
قالت نتزوج كما يتزوج الناس .
قلت : لا .. لقد جربت وفشلت
قالت : أريد أن نكون زوجين امام الناس كما نحن زوجين أمام الله .
دقت الساعة دقة سابعة ..ضربت عمتي الباب.
– إستيقظ ..
سمعتّ نقراً حنوناً على زجاج نافذتك الخارجية.. اليمامة تساعدك على اليقظة كما تفعل كل صباح.. صوتها الحزين يسري في دمك دفئاً ..عمتك تتشاءم من اليمامة صوتها نذير شرّ .. موت .. حريق ... إفلاس .
– لابد أن اختي الساحرة أرسلتها لتحرقنا بصوتها المشؤوم .. لو تزوجت ابنتها لما حدث ذلك .. إنك عنيد .. رأس أفعى .
النقرات تتوالى ..هديلها يتوزع في الغرفة أنغاماً منسجمة
قال لك الشيخ : إنها كرامة .. الحيوانات لاتألف الإنسان إلا إذا كان مكرماً من الله .. أنت رجل خيرّ .
التفت إلى الجماعة المتحلقين حوله : اقتدوا به على الرغم من صغره .. على الرغم من غناه .. على الرغم .. على الرغم .. حصل مالا يحصل عليه أحدكم .. يمامة توقظه كل صباح .
– الصلاة على محمد .
أردت أن تخبره بأن اليمامة توقظك من سنين قبل انضمامك إلى جماعة الدراويش هذه ..
آثرت الصمت .
الاقرع ذو الحلقات ينبح بشراسة .. موسيقى عمياء تنبعث .. تتعالى اصوات رتيبة ممطوطة .

– الله حي الله هو .
تتكامل الحلقة .. تتمايل القدود .. تتماوج الايدي .. ترسل العيون سوادها إلى عالم آخر يتجلى بياضها صخرياً لايري .
– الله حي الله هو.
القدود تتمايل .. الأيدي تتماوج .. الكوفيات تتساقط .. اللعاب يسيل .. المخاط ينفر من نافورته .. الشعور تتيه في مسالك الحركات الخلزونية .
سقط سيد فاضل على الارض .. مسكته أيد .. مخاطه يسيل .. لعابه يسيل .. عيناه فارغتان من الحياة .. تنظر نظرات صخرية .
الاصوات تتعالى : الله حي الله هو .. الله حي الله هو .
تساقطت أجساد أنهكها التعب .. أنهكها أفيونها .. حركات الرقبة .. الموسيقى الرتيبة .. قرع الدفوف .. نتانة الأرجل .. رائحة الشعر المحروق .. الأضواء الخافتة المتحركة أبداً .. الأمل في رؤية مالا يرى.. حضور الباز الذي لاتفوته حلقة ذكر .
هدأت الاصوات رويداً رويداً .. انتحرت على الشفاه .. تصدّر الشيخ المكان .. تحلق المردة حوله ..تلا صوت عصبي:.. آيات كريمة بلكنة غير محببة .. ملايين الساعات لم تنقض :..في حكم البندول دقائق..:.ماتت اللكنة غير المحببة..تلاها حديث طويل لا رابطة له .:. فهمت منه (الشيخ ابو الحواوين) ورؤيا رأها الشيخ .:: الشيخ ابو الحواوين يباركني يدعوني خليفته ::: كذبة طازجة كذبها الشيخ ... صدقتها العقول الوديعة .. انهالت الأفواه على يدي الشيخ وعلى يديك .. على يدي خليفة (الشيخ ابو الحواوين) ..
بصق في اناء فيه ماء .. أسقاك إياه .
– ستكون خليفتي .. ردد ماأقول .
رددت كلاماً لم أتفهم كنهه .. عمر مضى عندما انهالت الاذرع تحتضنك والأفواه تقبلك مباركة خلافتك لشيخ البزاة (الشيخ ابو الحواوين) .

ضربت عمتي الباب :

– استيقظ :

أنا مستيقظ في أعماقي :

قالت : أنت لاتفهم . .

قلت : أنا أفهم طبيعة الأشياء .

قالت : انت لاتفهم شيئاً .

– لكنني أفهمك .

– أنت لاتفهمني .

– أنا أعرف أنك ترغبين فيّ كما أعرف أنني ارغب فيك .

– انت لاترغب إلاّ في نفسك .

غضبت سعاد منك .. ألقت ملاءتها فوق جسدها العاري ..

(جسد مشتهي) .

– صنته .. حفظته لك .. للرجل الذي أحب .

(غبية إنني لاأفهم ماتقول ..ماالحب ؟!) .

غصت في جسدها .

قالت : لأول مرة يسبح في أعماقي رجل .

تعالت في نفسي آلاف القهقهات وأنا أقول :

– لاول مرة أستحم بعرقي

عشرات النساء هامت في ممرات رأسي وأنا اتخبط فوق امرأة تقول عني .. وأقول عنها.

صاحت عمتي ..الساعة السابعة استيقظ :

قالت زنوبة : هل أنت انسان أم حيوان ؟ !

– مازلت صغيراً .

– لاتقولي بأنني صغير .. إنني في العشرين .

– تبدو طفلا .

– ماذنبي انها طفرة وراثية .

– تبدو أملساً .. أنت لاتعجبني .

– وانت لاتعجبيني .

– ولكنك نمت معي طوال الليل .. دفعت لي مالم يدفعه أحد .

– أردت أن أشبع .. أن أتقيا وأنا الآن أتقيؤك.

إرتديت ثيابي .. بصقت على الأرض .. خرجت مسرعاً .

أعولت زنوبة ... صاحت بسمسارها

عملاق .. حرقته شمس تموز الجنوبية .. حاول ان يمسك بك

كانت لك خفة غزال .

عندما لفظك الباب الكبير .. الباب المتأوه من كثرة ضرب الأيدي وصفعها كنت قد تخلصت من الرجل الأسود الضخم .

غراب ضخم يقرع زجاج نافذة الدار العليا ..ينعب بشراسة قو..ق ق ..و..ق قا..ق.

صوت عمتك يلعن الغربان ..يحاول أن يبعده عن الدار

– غراب الشؤم .

يزداد نعيب الغراب .. يتعالى دعاء عمتك واستغفارها .

قالت بأسى : تحول الغراب إلى دارنا .. أمات عمك .. والآن ..

فهمت ما تعني .

– هل تعتقدين بالخرافات .

– ألم يمت عمك .

– أماته إهمال نفسه .. عدم مراعاته لارشادات الطبيب .

– زنديق .

– اطمئني لن يميتني الغراب .

– كافر .

– لأنني لاأريد ان أموت .. الغراب حذرك لأنك تؤمنين به .. اله الشر بالنسبة لك .. لست مسلمة على الرغم من حجابك السبع وصلاتك وتهجدك .

– اسكت كافر.

أنهى الغراب مهمته ..صوت جناحيه ينبعث من نافذة مفتوحة .. طار بعيداً بعدأن أطلق صرخة قوية .. دعاء عمتي ينتحر فوق شفتيها ..تموت الحركة في الدار الآمن صوت طرقات على باب غرفتي.

– لقد تعدت الساعة السابعة .

والسابعة ..كل شيء يتحدد في سبعة ..السماء سبع طبقات.. الارض سبع طبقات المتعة ..لماذا يهتم الكون بأسره بهذا الرقم ؟! هو في اللاتينية النصر..في العربية المتعة ..أيهما أريد المتعة أم النصر ؟).

قال لي حسون : أنت تبذل جهداً كبيراً في الدراسة .

– أريد أن اكون الأول : – ان أذهب إلى اوربا .. أن أحصل على الدكتوراه.

ضحك حسون وقال : مافائدة ذلك ؟!

قلت : أن أخط مستقبلي .. أن أنال ماأريد.

قال : أنت تفقد ماتريد.

– لماذا ؟

– لانك تقبر نفسك بين أكداس الكتب .

– لكنني سعيد بها .

– أنت سعيد بأملك .. إنك تبدد وقتك .. أنا أقرأ مايكفيني لاحصل على الخمسين لأدخل الكلية وأحصل على مال ضعف مانحصل مع كل دراساتك .

ضحكت من حسون .. انه غبي كبير .. كان أكبر طالب في الصف .. كنت أصغر طالب فيه .. نظراته الصقرية كانت تزعجني .. لكنني كنت أحسّ في عينيه دفئا افتقدته طويلا في عيني أخ .

انا لاأعرف لي أباً ..مات وانا ماأزال صغيراً..لاأعرف لي أخاً..مات قبل ملايين

السنين ..مات اولاً في قلبي..ثم أختفى عن عالمي..كنت أحس حنان الأبوة :: الأخوة..الصداقة في عيون الناس لكنني كنت أفقد في عيني رجل كل هذا الحنان

قال لي حسون : لم لا تأتي معنا سنذهب غداً لقضاء إجازة الجمعة في البراري .

لدغتني ألف افعى .

كلام أمي يرنّ في اذني... دروسك حضرها هي التي ستبني مستقبلك .

(النصر .. ها .. كنت صغيراً جداً) .

لا .. شكراً عليّ ان اعدّ واجبات الاسبوع في يوم الجمعة .

ربت حسون على كتفي بحنان ، قال :

– مازلت صغيراً .

حاولت أن أقطع هذا الخيط الذي يشدّني بزميلي هذا .. ان أهرب .. كلماته اكبر منه لم أستطع فهمها .. شعرت بمقت شديد له في أعماقي .

الساعةُ الكبيرة المعلقة في الصالة تتمطى بتثاؤب ..تدق سبع دقات. .نابليون.ينبح بشدة.

جرس الباب يقرع..تسمع خطوات على السلم الصغير ..يندلق شيءٌ من إناء.:: الخطوات تنزل السلم ،الجرس يضرب ثانية،يسود الصمت يقطعه نباح نابليون.

(الحليب ..نابليون ينبح ..انه جائع) .

هممت أن تزيح عنك الغطاء.

(البرد لاذع ..لأنتظر قليلاً لعل أمي تخرج).

نابليون ينبح نباحاً جائعا .

الجرس يقرع .. لاسي ينبح بشدة .

سمعت خطوات تقترب من باب غرفتك الخارجية .. يفتح ... يغلق .. لاسي ينبح بشدة .

صوت مسيس سمسون : – كفى ... كفى .

خمول الصباح ينعشك .. لاترى شيئا عبر غرفتك غير بصيص من نور شاحب ..

خطوات مسيس سمسون تقترب .. باب غرفتك يقرع بخفة .. تبتعد الخطوات
لامي ينبح قرب الباب .. تفتح الباب .. يثب لامي على قدميه يمسح برأسه:
يواصل نابليون النباح، الباب يفتح، صوت عمتك الغاضب يطغى على نباح
نابليون خطواتها الثقيلة تنزل السلم، صوت الباب الخارجي يفتح، همهمة نابليون
تصلك خافتة، سكوت عميق، صوت ارتطام نابليون، نباح متوجع، الباب الخارجي
يغلق، نباح مذعور.
– أنعل أبوك وأبو ..
(انها تطرد الكلب) .
النباح يتعالى .. يختلط بسباب عمتك .
المطر ينهمر بغزارة.. وحدي مع نور خافت.. مع كتاب.. وكو نشيرتو جايكوفسكي
ذكرى مارية .. نوال .. كوثر .
شهري العذب كانون .. حيث تمطر السماء .. دراهم مائية على السهول .. أنجماً
فوق الربى الساكنة .. حلمي حيث الجدران خضراء في غرفتي .. خضراء بألوان
الخضرة .. والهواء ازرق .. عبق بدخان لفافاتي .. ذراعي الواهنين يحتضان وحدتي
وكتابي.. يولدان جوعي وعطشي أبداً إلى جسد يضم.. عقدي عقد من خرزات السأم
نضدت في روحي ... يتيه القلب فيها ..
قرع الجرس .. رأس الولد الصيني يبين عبر تعرشات الباب الحديدي .
نباح نابليون يتعالى .. يدعوني .. يختلط بسباب عمتي .
قالت لك مارية : انظر إلى التمثال .. كم هو جميل.
امتلأ فمك بكلمات كتمتها .
– انه يشبهك .
الم أقم طويلاً مع التماثيل .. لاأريد أن أخلّد في تمثال) .
– إنه رأس الولد الصيني .. أجمل تمثال رأيته .
كل شيء مليء بالمرارة .. دائرة السهاد البنفسجية حول عينيها .. مأساة العمر ..

.. الفراق .. الشباب الذي اذله الحب .. الفراق الذي يبعد الانسان عن نفسه .
– سأذكرك دائماً .. ساذكرك في رأس الصيني الصغير.
(نباح نابليون يتعالى يدعوني مختلطاً بسباب عمتي) :
شريف يقرع الجرس .. عندما هبطت السلم أفتح له الباب .. رقصت عيناه... تناثر
شعاعهما على يديه .. أشرقت أسنانه الأقحوانية الصفراء .. لطخها دخان السكاير.
كيس أزرق في يديه يمتلىء بالحياة .. تندلق الحياة منه .
– لقد جئتك بكلب .
قطعةٌ من القطيفة الرمادية .. كرة نسيج طفولية .. نبح في وجهي .
– أطعمته أذنيه ليكون أكثر شراسةً
عينان باكيتان .. فم أسود صغير .. ذيل قصير شامخ إلى أعلى .. يسكب نجمتي
عينيه في وجهي .. بصق نباحه مرة واحدة .
– اسمه نابليون .. صغير شرس.
– إنه جميل .
– لم تفطمه أمه بعد .. لم يعتد الأكل .. أطعمه الحليب فقط .
الجمر فاكهة الشتاء .. يبعث الدفء في الحياة .. يتطاول نابليون على البساط الثمين .
يغلق عيناً ويفتح أخرى .. يخشى شراً يحدّق به .
نقطّع الملل بقتل الملك .. نركب أفراسنا نصطاد الفيلة .. نفتح القلاع
ينهض نابليون مرعوباً .. ينبح بجزع .. عندما يقع نظره على شريف يهدأ روعه
يبحث في أركان الغرفة عن شيء يؤكل .. يخيب أمله .. يعود إلى الاستلقاء ثانية..
فروه يتماوج تحت وقع تنفسه البطيء .
– إنه جائع .
تنادي (كَلي) تسكب له الحليب في إناء يلعقه .. يعود إلى الاستلقاء .
تصرخ عمتك .. تلعن كَلي والكلب ومن جاء به .. تلعنك .. تقسم ألاّ تمكث
بالدار مع كلب .. تخفت الزوبعة رويداً رويداً .. يتركك شريف بعد أن قتل

م/٩/لا.زج

ملكك .. يحسّ الكلب بالوحشة .. ينبح نباحاً حزيناً متقطعاً .. تدمع عيناه .. يتخبط بين حركة عشوائية واستلقاء قلق .. تحرك يد الحاكي .. تنبعث موسيقى ومسكي كورسكوف .. ينقر الديك الذهبي قلبك .. تغرق في خيالاتك تزهر خواطرك أملاً متفتحاً .. يقطف منه النامي .. يذبل في قلبك .. تنفجر صواعق فيك .. تحرق عينيك .. تشقق الجدران .. تقلب السقف .. غظروف وليد مشدود بخيط .. تسوّد .. لن تزهر الأحلام .. يحترق قلبك في عينيك .. صياح الديك الذهبي يعلو .. يغرس في قلبك أزاهير الهموم .. تحس بأنك منفي كنابليون .. تستلقي بجانبه على البساط .. تود التعاطف معه .. ينظر في عينيك . عيناك عقد ياسمين بلغ الحب فيهما تنظر في عينيك .. زجاج بيت دافيء في ليلة قارسة .. تبعث موسيقاك .. لغة حب تشابك القدر .. يبوح قلبك بالحب ، لمرؤاك الطفلة ترتسم في عينيك .. ترشق قلبك من نافورة عينيك .. عيناك نافورة حلوة في ميدان الحب .. ينقر من حبك .. ينهض بتثاقل .. يسير وئيداً .. بعيداً عنك .. تستلقي حيث أقعى .. بعد أن رشّ ألبساط بحامض الأمونيا .

تدخل عمتك في يدها عصاً غليظة .. تبتل قدمها .. تصرخ باندهاش .. بول على البساط الثمين .. تنهال على الكلب ضرباً .. يعوي متخبطاً .. كأنك تُضرب .. عمتك تضربك بعصا لاسعة كما تضربه تمسك العصا .. تتراجع عمتك بعد أن تغوص في عينيك .

— تفضّل الكلب عليّ ؟.

ينبعث صراخ باكٍ . تضحك كلّي في سرها .. بكاء ببكاء والجروح قصاص .. لعنات تنصب على رأس شريف ، كلمات بذيئة . نباح خافت ينبعث من تحت الأريكة .. تحاول مواساته ينشب أنيابه في كفك .

(حتى الكلاب) .

غسلت نفسك بدموع المطر ، الرذاذ يضرب الزجاج ، الألم يصفع نفسه .. تناولت ديوان شعر تعزف على كلماته لتحيا .

(نباح نابليون يتعالى يختلط بسباب عمتك).

تدخل عمتك تصفع الباب بقوة .. رذاذ السباب يتطاير بين شدقيها .. ضربت السباب بقوة .

— استيقظ .

مضت خطواتها الثقيلة تلطخ وجه الممر الناصع البياض :

(نباح نابليون يتعالى يختلط بسباب عمتي).

داخلك كعكة عيد الميلاد تقطعها سكين حادة ماهرة:

(النصر ..ها).

عندما عدت من انكلترا ومعك أوراق عدّة ..كنت مزهواً بنصرك

خبطت عمتك الباب..يالك من كسول استيقظ..السابعة وخمس دقائق استيقظت،

خمول لذيذ يقطع أوصالك

(هذا السأم القاتل ..اللذة ..الدفء الذي يدور بك في عوالم عجيبة تصل القمر..

تهبط مركز الارض ..تغوص قعر المحيط ..تغني زقزقة العصافير).

— أهنئك .. لقد انتصرت .. قرأت أنباءك في الصحف .

— آوه .. حسون ؟.

— بالضبط .. هل تذكرني .

— وكيف لا ..

— عندما عرفت الحياة .

— ماالذي تقصده .

— لابد أنك عرفت الحياة جيداً .. خبرتها حيث كنت تدرس .

— قلت لك مرةً أنني أبحث عن النصر .. لقد انتصرت .

ضحكت عينا حسون لم يضحك فمه : مازلت صغيراً .. فقدت أيامك .. بددتها .. تغيرت الآن .. فقدت نضارتك .. طفولتك .. شعرك تقطعه سكين حادة .. نصل الشيب يمزقه .. وجهك كرة منتفخة عيناك أملٌ ساقط في قعر بئر .

— يبدو أنك شاعرٌ ياحسون .

— إنني أكتب الشعر بعدَ أن أفرغ من عملي ومن متعي .. أنا الآن غني .. وأنت

ستبدأ حياتك الآن .. تزوجت .. انجبت .. إذا أردتنا أن نتحدث .. أدعوك إلى النادي لنجلس حول زجاجة ونقطع كعكة الزمن بسكين ، وداعاً .

ضرب الجرس..دخلت كلّي تتعثر في مشيتها..في حذائها الذي هو اكبر من قدمها ..جاءني صوتها اللاثغ ..اللاحن :

– استيقظ .

(لماذا استيقظ ..دائماً أردت أن أدفن ..في قبر ..في الحروف..في الصور ..في الأنغام ..ماأحلى أن أدفن في فراشي ..هذه المتعة ..متعة الدفن أنتشي بها) .

صوت عمتك يهدر في أرجاء الممرات ..ينبعث في ممرات رأسك قوياً

– لقد حصلت على أكثر مما تستحق ..أنت رجل كسول .

قالت لك صاحبة الدار : أنت رجل نشيط .. لابد أنك لست عربياً .

– إنني عربي .

– يبدو أنك لاتعرف التاريخ جيداً .

– إنني اعرف التاريخ .. دمي نقيّ .

– بلادكم ليست نقية .. أرضكم ملوثة.. وطئتها أقدام الفاتحين ..

– بلادنا نقية .. لم يطأ جسدها قدم أجنبي إلاّ وانتهى .

– أنني أعمل .

– أنت لاتنام من الليل إلاّ بعضه .

– سيميتك العمل .

– سيحييني .. سأحقق ماأريد .

– لابد أن فيك دماً انكليزياً .

– اللعة عليهم .

عندما اقفلت الباب وراءها أحسست بأنك لاترغب في تناول الشاي الذي قدمته لك .

(لايمكن..لايمكن أن يكون فينا دم أجنبي ..انني أكره أولئك الذين استعبدوا بلادي .. أمقتهم .. لايمكن .. لايمكن أنهم لم يمتلكوا جسد جداتي) .

عندما ضربت عمتي الباب صاحت : آخر مرة أطلب منك أن تستيقظ .

أنت لاتصلح لشيء .. كسول .. تنبل .. فيكم انتم دماء تنابلة السلطان !

(النساء يتحدثن عن دمي دائماً) .

قالت لي فتاة انكليزية لقيتها في فناء الجامعة .. هل انت عربي حقاً كما يقولون؟

– نعم .

قالت : لايمكن .. أنت لست عربياً .. فيك جاذبية الايطاليين .. تعرفت مرة على شاب ايطالي .. هائل .. رائع ..

(صوت نابليون يتعالى .. يدعوني اليه) ..

قال لي أخي : أنت لاتشبهنا في شيء .. أنظر إلى المرآة .. ليس فيك دم عربي.

(نباح نابليون يتعالى .. يدعوني اليه) .

قال لي زميل مصري : أرى في وجهك استباحة أرضنا .

– لماذا ؟.

– أرى في وجهك كلّ اختلاط الدماء .

صفعت المصريّ على وجهه .

قال لي : لاتغضب .. لم أرد الأساءة إليك .

(نباح نابليون يتعالى .. يدعوني اليه) .

عندما تقدمت لامتحان البكالوريوس في الحقوق .. سألني استاذ متشدد سؤالاً وآخر .. وآخر .. وآخر .. أجبت .. وأجبت .. وأجبت

– أنت لست عربياً .

– انني عربي .

– أقول بشرفي .. أنت لست عربياً .. لأول مرة يجيب طالب كل أسئلتي.

– إنني عربي .

– غضب الاستاذ .. صاح في وجهي أتكذب .. وستدافع بعد أيام عن الحق .. عن العدالة .

سكتّ على مضض ، وأنا ألعن في داخلي الإستعمار والعملاء لقد شوهوا الحياة

(نباح نابليون يتعالى .. يدعوني إليه) .

على ظهر الباخرة سألني لبناني يبدو من وجهه انه كتائبي .. هل أنت ايطالي قالها بالفرنسية .

جبته بالعربية :.. انني عربي .

بدا الاندهاش على وجهه .. تركني ومضى بعيداً .

قال : كنت أظنك أجنبياً .

خبطت كفّي على الباب بشدة .

– استيقظ .

صوت عمتك يدوي في صالة الدار .

– كسلان .. حصل على اكثر مما يستحق .

(نباح نابليون يتعالى .. يدعوني اليه) .

قال رئيس دائرتي .. أنت شاب ذكي .. مجد . جعلناك رئيساً للعمل في المعمل.

زهوت وقتها ..لقد اجتزت الدرجة الاولى..أمامي سلم طويل سأقف في أعلاه يوماً وأحقق ما أريد .دفعت الفراش عنك..نهضت بتكاسل هبطت السلم، نباح نابليون يتجذر يتشظر ينقطع إلى همهمة حب، اظافره تخربش الباب الحديدي، مع فتحك الباب قفز على رجليك امتطى السلم قبلك استلقى على البساط في انتظار وجبة الافطار كله نشوى وحب. امام المرآة كنت تزيح عن وجهك لذة النوم (اليوم اجازتي الاسبوعية .. لأعد إلى النوم ثانية).

قال رئيس دائرتك : – يجب أن تحضر طوال الاسبوع .. لا أجازة لك انه ثمن المجد .. العمل .

هززت رأسك موافقاً .

ابتسامة نشوى تطفو على ثغرك .

(لا أمل في العودة إلى النوم ثانيةً .. يجب أن أستعد) .

– إعطنا ديناراً .. لا .. دينارين ..نحتاج إلى خبز ونفط وأشياء أخرى.

– ما الأشياء الاخرى ؟ ! .

– هل تحاسبني ؟ ! ؟

– أسأل فقط .

– هل تعتقد أنني أسرقك ؟ ! لولاي لكنت الآن على الارض .. أنت رجل مبذر الصمت تلوذ به تخلصاً من موسيقاها الصباحية .

(اللعنة على كل شيء .. أهذا النصر الذي سعيت اليه طوال حياتي ؟ !).

مائدة ملأى بأوانٍ فيها أطعمة لاتحبها .. كرعت الشاي من الكوب .

– انت لا تأكل .

– انني أ أكل .

– لايعجبك طهيي .

– ... ...

– لم لا تتكلم .

– إنني أاكل :

– أنت لاتكلمني أبداً .

– إنني أأكل ولا أستطيع الكلام أثناء الأكل .

(أهرب . اهرب من وجهها الصقري .. عيناها عينا نسر.. أنفها منقار بازي.. الباز يحلق عاليا . ينقض فوق أرنب مذعور .. ينشب فيه مخالبه يغمس في عنقه منقاره .

المنقار الحديدي ينغرس في عنقي) .

صحت في سليم : – ماهذه الوحشية ؟.

ضحك سليم : – الصيد متعة .. متعة آبائنا وأجدادنا .. متعة المتحضرين كما هي متعة البدو ... انها متعة الانسان .

(منقارها ينغرس في عنقي .. دمي ينبعث بقوة .. بغزارة .. صبغ المائدة ملأ أواني الطعام .

شربت دمي في اناني) .
هربت مسرعاً .
– إلى أين ؟ .
– سأذهب إلى العمل .
– اليوم عطلتك .
– ألم أقل لك ألاّ عطلة لي .
– انت تكذب عليّ ، لابد أنك تذهب عند صويحباتك ..
(صوتها يبعث الغصة في دمي .. كلماتها تبعث العفن في قلبي .. إنني رجل متعفن إنني اتفسخ .. دود التفسخ ينهشُ فيّ .. يقضمني قضمة .. قضمة) . استقبلك نابليون بنباح راقص قدمت إليه وجبته .. جلست تنفث لفافتك .. تستمتع بموسيقى خفيفة .. صوت موسيقى صاخبة .
– يفضل الكلب عليّ .. يجلس إليه ساعات طويلة .. يضجر إذ أجالسه دقيقة واحدة .
تحس بمداعبات نابليون .. تأخذ حقيبتك .. يتقيؤك الباب الخشبي .. نابليون يلف خطواتك في خطواته .. تودعه بابتسامة .. يقف على رجليه الخلفيتين .. يرفع يديه إلى أعلى .. يمكث في صمت عندما تغلق الباب الحديدي وراءك .. تسمع نباحا خافتا فيه وداعٌ حزين وأنت تسمع الساعة الكبيرة في الصالة تعلن السابعة والنصف .

الفصل الثاني
الساعة السابعة والنصف صباحا
(٢)

الشارع خيط لماع متين .. سرت فوق نهايته حيث لانهاية .. فرد ذراعيه .. توازن فوق الحبل .. مال ذات اليمين .. ذات الشمال .. ذبذبات سريعة شمال يمين .. يمين شمال .. سقط من شاهق .. تلوّى في الهواء قبل أن يصل الأرض .. وصل الأرض من دون رأس .. أضحى قطعةمن الهمبركر تطحنها أضراس أقعوان..أمسكت بي جينا..دفنت رأسها في صدري.
– إني خائفة .
حاولت أن أعي الموقف .. ألاّ أسمع صوتها ..
– لن آتي مرة أخرى إلى السيرك .
(يكفينا العيش في سيرك كبير ..) .
– يعلمنا السيرك كيف نحيا .
أزهرت الشمس في عينيّ نوراً .. تفتح الفلّ في أنفي عناقيد شذى .. لن افكر في شيء لأشرب النور..لأسبح في شذى الحدائق .. لأطير زقزقة على ألسنة العصافير. الشمعة يستطيل وهجها على الحائط البنفسجي .. عينان خضراوان تزهران في قلبي ربيعاً أخضر .. شمع الحياة يذوب .. قذاها .. مامن شيء يسكن قلبي .. لا الخوف.. لا العدم .. لا الملل .. لا الزمن .
– اسعدني مجيئك ..
الأقحوانة تعانق الأقحوانة .. باقة زهر يانعة شكلت في حلقي .. أنجمها زرعت في سماء قلبي فأعشبت جنة أحلام ورؤى .. شريان انتفض فيّ .. رنين تيلفون في داخلي أوصاني بها..عالمي بلا دليل..عالمها عشرات اللافتات..تأتي انتكاسة خطرة. سر بأية سرعة تريد أمامك سهل ممهد .
إحذر خطر التعرجات .
قلل السرعة رجاء .. أنت قريب من المدينة .

ضغطت على بانزين قلبي .. السرعة ١٥٠ كيلو في الساعة .. الشارع ممهد .. عيناها الخضراوان .. شارع طويل لانهاية له .. تبدو لي عيناها شيئاً واسعاً .. شيئاً خرافياً .. تشغل الوعي القليل الذي يطفو فيّ .. تسلقت نورهما الأخضر .. النور سلم زلق .. كدت أسقط .. أتحطم .. أنهرس .. مسك بيدي (ريمسكي كورسكوف) .. نبهني صياح (الديك الذهبي) .. مشى بخطوات مزهوة على نغمات صوته أمسكت ذيله الزاهي المنكبر .. خطوة .. خطوة .. بلغت الاجفان طار الديك الذهبي .. ودعني ريمسكي كرسكوف بابتسامته النشوى .. خفت الضوء عندما تعديت الاجفان .. العالم ربيع أخضر غصت في اشعاعات عشب الربيع .. مركب القى مرساهُ أتحرك .. أعوم .. أغوص .. لاأفكر في شيء . لا في القلب الذي يتكلم بسرعة .. لا بأعصابي كأوتار عود مشدود يداعبها أنمل ماهر .. لست سوىَ ثقلي .. ثقل إنسان اغتسل من ماء الأحزان بماء الأحلام .

ـ أسعدني مجيئك .

شربتني العينان .. تهت في غوريهما .

وهج الشمعة يتطاول .. قذاها ينحسر عن سماء من شموس لانهائية .. الوهج يتطاول .. حرارة الشموس تحرقني .. غصن حياة مزهر يلفني .. الربيع الأخضر يسقط فوقي .. يبدّدّ جدبي .. الوهج يتطاول .. عوالم الأحلام والرؤى ترقص نشوى .. يلفني ربيع أخضر .. أنا زهرة نبتت في أرض الربيع الأخضر .. غاصت في أديم الارض العذراء لتخلق الف زهرة يانعة .. أتجنب جدران رأسي .. ألم قويّ يسحق جدران رأسي.

ـ أسعدني مجيئك .

(عليّ أن أتعلم كيف أتجنب جدران رأسي أن أقضي زمني في زاوية قصوى في فنن زهرة .. في وكر قبّرة .. على سطح غيمة .. في جوف السطل .. عند انحسار شعاع .. أن أركب موجة كي لا أكون لعبة للصخور .. أن اقفز نمراً .. أتحرك عصفوراً .. أتجمع ندىً) .

وهج الشمعة يتطاول .. يلفني سناه .. قذى الشمعة يتجمع .. بحر الموت والظلام... حياك تحية اعتادتها مدينتنا ..

(تبدد وهج الشمعة .. نجمع ناراً جهنمية .. غصت في بحر الظلمات .. غرقت في وحل الشمعة) .

عملقتك تحيته بين السهر واليقظة .. بين الهدوء والعاصفة .. بين الصمت والصراخ (أنا أغنية ممزقة .. ذرّة رمل في مهب الريح .. نجمة في بحر هائج) .

تحمل بطاقة في جيبك .. عنوان مواطن يدرس في لندن .. سلمت البطاقة إلى سائق التاكسي .. توقف في شارع صغير .. عمارة بآلاف الطوابق .. تاه نظرك في منتصفها..

ـ خذ المصعد ..

البالون يرتفع .. روحك تقفز خوفاً .. ترقص تويستاً مجنوناً .. تتيه في الممرات.. فزع من المجهول .

ـ انتقل من هنا

ـ إلى أين ؟

الباب راحة تصفعك بغلظة .. سور الصين العظيم يحيطك .. ألف فم يقضمك .. ألف ضرس يطحنك .. ياجوج وما جوج .. أقاموا وليمة من جسدك .. دعوا اليها كلّ القواضم لتتبارى أيها أسرع قضماً . فتاة صغيرة .. تسرُّ في أذنك عنواناً.. مسجلة صوت أصبحت .. رددت الصوت مع بوق فمك .. أصبحت بألف لسان.. كل لسان يردد ألف صوت .. تهت في أمواج الأصوات .. تهت في ضمور النظرات الحجرية .. العالم فقد صوته .. أحاطتك جدران زنزانة من عهد الاقطاع.

(النظرات تصفعني .. أدور .. أدور .. أدور .. كدوامة بحرية .. وما أن أستفيق حتى أصفع بنظرة حجرية أخرى .. أدور .. أدور ..)

ـ تبدو بصحة جيدة .

ـ الحمد لله .

ـ هل تتذكرني ؟ .

(نظرتي صخرية .. علقة تمتص دمي) .

– علمتني قبل عشر سنوات في مصنع اللعب

– أوه .. أوه .. تذكرتك .. كنت عاملاً مجداً .

(الذكرى رؤىً .. آتية في صحرائها بدون دليل).

– كنت غير مجد .. الجد يبدد روعة الحياة .

(فيلسوف صغير .. فلسفة عقيمة .. قرأها في كتاب).

خطواته تضرب في رأسك .

– أين سيارتك ؟ .. هل هي عاطلة ؟.. محل لتصليح السيارات ممتاز .. اشتريت سيارة .. بعتها .. أشتريت .. السيارة .. بعت .. في الربيع ضرورية ... السيارة.. أين .. ؟ ... تسير .. موظف كبير .. تخزن أموالك .. المصرف .. فائدة ٥٪ .. الماسكوفج .. الرينو .. الميني جوب .. الشارلستون ! أنت في بؤرة صغيرة .. مركز جاذبية .. سيارات من جميع الانواع .. من جميع الألوان .. تحيطك .. فتيات صغيرات .. كبيرات .. جميلات .. قبيحات .. في ملابس من كل نوع تغطيك .. أفخاذ تسورك .. هزيلة .. ممتلئة .. شابة .. شائخة .. تدفن بين الافخاذ .. تحت عجلات السيارات .. في أردية قصيرة .. طويلة .. متوسطة..

– انا لا أملك سيارة .

– لماذا ؟ .

– أحب السير .. رياضتي المفضلة .

كلمات لاتتفق قوافيها .. مصيرها مصير مظلم .. كلمات ثقيلة .. ضالة .. لاحدّ لها تموت في القلب .. تنغرس شوكة .. كلمات حيرى .. لاتنطابق راحتا يديها.. قُبَّلٌ ضائعة .. أحلام مشتتة .. نحيب صامت .. مشقوق الكلمة ..

(أنا صوان تائه .. في متاهات الكلمات .. في جوف مغارة مظلمة).

– وداعاً .

وزني مائة كيلو من الحديد .. سقطت شهاباً انغرس في رمل الصحراء .. أحسست

بثقلي .. إنني موجود .. رأسي .. ذراعاي .. صدري .. رجلاي .. قدماي .. تزرع الشارع وحلاً .

كلب سائب متوحد يغوص في غبار الشارع الموحل .. ينيت الف قدم .. القدم زهرة .. زهرة موحلة .. ذنبه بين رجليه .. أذناه تتطاولان على جانبي الرأس عينان لا تميزان الألوان .. هزّ ذنبه عندما قابلني .. مسح رأسه بحذائي

(نابليون ينبح بشدة يدعوني اليه) .

قالت مدام سمسون : أعرّفك بلاسي .

– تشرفنا .

نبح لاسي في وجهك .. كش شعره المخملي الأبيض .. بان نابا العاجيان.

– لاسي .. إنه صديقنا .. نزيلنا .

هزّ لاسي ذنبه .. مسح رأسه الصغير في حذائك .

(لو كان معي شيء يؤكل لأطعمتك .. أود لو تزورني في الدار لأقدم لك ماتطهيه عمتي ويلذ لك) .

تزرع كوعك في سطح خشبي .. تشرب حروف كتاب .. لاسي يدفء قدميك.. تحتضن مخدتك .. تقبر في فراشك دون حراك .. لاسيّ يحتضنك .

خطاك على إسفلت الشارع ضربة دفّ.. موسيقى درويش يسبح في أحلام اللاوعي... الكلب ظلك الدائم .. خطوة منك .. خطوات منه .. التفاتة منك .. هزة ذنب منه .

عدت مكدوداً .. نظرات نابليون تراقبني .

– كلي هل قدمت له الطعام ؟

– منعني عمتك من ..

تقدمت من نابليون .. لم يبتعد عنك .. تحوّل إلى تمثال .. رفعته .. احتضنته ... تقدمت به إلى الصالة .. أقصى خائفاً مترقباً .. قدمت له الطعام .. التهمه بشراهة .. اغتسل .. عندما جلست على مقعدك المعتاد تدخن لفافتك .. أقعى تحت رجليك . داعب قدميك .. ساقيك .. قفز إلى حجرك .. أخفى رأسه تحت إبطك .. راح

يراقب كتابك يضع رأسه الصغير بين صفحاته .. قفز على الأرض عندما أحسّ أنك تريد النهوض .. تبعك أنّى ذهبت في الممرات والغرف.

تعالى عويل حزين في الزقاق .. (حبّابه) تسلخ خديها .. صدرها يتعرى .. نضجت فيه ألف ضربة كف .. الدم المهدور تجد له عشرات المسايل .. العينان غيمة ربيعية .. تركتا ملايين الفقاقيع على أديم وجه بدر مشقق .

– ماالذي حدث ؟.

– مات كلب حبابه .

الكلب في صندوق خشبي .. ملفوف بغطاء مطرز !.

– ادخرته لجنازتها .. لم تبخل عليه بأعز ماتملك .

جنازة معولة .. كفا حبابة دودة قزّ .. شرنقة حريرية .. نتف حرير الرأس تتساقط عبر الشرنقة .. أفواه ضاحكة .. عيون متسائلة .. شفاه متعجبة .. الجنازة تسير .. حبابة تصرخ بتوهج .. تولول :

– فقدت وحيدي .

قالت جدتي : لاتضحكوا منها .. مات جميع أولادها (سنة الليرة) .. ماتوا جوعاً .. لم يعد زوجها «من السفر برلك» .. عوضها كلبها ماافتقدته طوال حياتها .

صاحت عمتي : ماهذا الهراء ؟ هل يعوّض الكلب حنان زوج وعاطفة ولد ؟!.

همست جدتي : ستموتين جاهلة .. لاتفهمين شيئاً .. ليتني لم ألدك .

قبلتني بحنان : ستتعبك : ليست ذكية .. أنت نابه يا ...

الزمان ينمو كالنبات .. يرتجف كالدخان .. يمتد في داخلك أميالا طويلة . . محرك سيارة يهدر من بعيد .. يقترب منك رويداً رويداً .. نباح متألم .. تأوه حزين .. حشرجة موت .. ضحكة متوحشة .. دم يصبغ اسفلت الشارع .. عجلات السيارة .. الأفواه الضاحكة .. الأنياب المكشرة .. أنياب غير إنسانية مغموسة في دم النوحش .

– تفضل لأوصلك .

« ها أنا ذا وسط حراب وسهام .. كل كلمة أتفوه بها تضيء المكان الذي ينبغي ضربه ... تكشف عنيّ .. تجردني من رداء الزيف الذي اعتدنا ارتداءه .

– أنت قاتل .

كمثرى غير ناضجة بعجت زجاج السيارة .

– لم أفهم ما تقولّ .. تفضل لأوصلك :

يصرّ الأبله على براءته .

(لاحق له بالهروب مما فعل ... كلّ مسؤول عن فعله .. ما كان عليه أن يرتكب جريمة قتل في وضح النهار .

(جريمة قتل في شارع الحب .. شارع الذكريات).

الشارع نهر زاخر بألف نجمة .. النجوم تحصد النور .. الابتسامات تحصد الأنغام .. الأيدي تتشابك .. الأكتاف في عناق دائم .

– انني أحبك .

– انا أحبك .

غناء عندليب .. هسيس عشب .. حفيف أغصان .. خرير جدول .

– انت قاتل .

– أنـا ؟ .

أنت لاتعترف بجريمتك !! .. عليك أن تتحمل نتائج حماقتك .. وددت لو ضربته .. لو سحقته كما سحق الكلب الطيب .. هدر المخرك .. ابتعد الوجه الكمثري .

(إنهم ينتصرون بحماقاتهم .. بكل ما أوتوا من حماقات الشباب والصحة بكل عضلات الكذب .

آه ما كان ينبغي أن أقول له ذلك هكذا .. كلمات في الوجه .. تجلد الوجه مباشرة ..لي العذر ..لم أروجهه ..هل له وجه ؟للكلب وجه ..عينان في

غوريهما حنان مخلص ..للكمثرى بذور مرّة .. أنياب دامية ..عينان مرآتان تعكس ماترى لاتبين عن أعماقها).

ألف أفعى تسعى وراءك ..هربت من قدميك ..من ساقيك ..من وجودك قطعت مسطرة ..مست دائرة ..أصبحت قطراً لها ..ترنحت فوق حبل السيرك.

(أتلقى الصفعات والبسمات).

– عم (هادي) كم أنت محبوب .

– لماذا ياعزيزتي ؟.

– عددت كم شخصاً سلم عليك .. خمساً وخمسين شخصاً في مسيرة ربع ساعة.

(في أعماقي الف فم ..في كل فم ألف ضحكة صفراء بلون الأفاعي السامة .. الصفعات تتوالى ..أتمرجح فوق الحبل ..لم أسقط ..سقط المهرج ..مات مهرج السيرك ..عاش مهرج الحياة).

– إعطني علبة سكاير .

(نابليون ينبح بشدة ..بتوجع.. يدعوني إليه ..عمتي تضربه بعصا غليظة ..طالما ضربتني بها في صغري ..مذمات أبي ..مذ فقد الكلب أمه ..ابتعد عنها ..أتى به شريف إليّ ..تمثال الرأس الصيني ..).

زهرة أينعت في ثغره ..نجمتان هوتا من عينيه ..

– تفضل ..علبة طازجة .

لم يحبك الناس حتى الحقد ..حتى انفجار حدقة العين ..حتى فقدان الإحساس بكل ماحولهم ..

– ألا تعرفني ؟.

(مضغت الماضي في فم نافر ..هذه المرارة العلقمية).

– عامل في المصنع ..مصنع اللعب ..

(ان أتحدث عن ذلك ..سأحتفظ بكل مرارة الغضب في فمي).

السكين مازال يقطع فيك ..ينغرس في أعماقك ..يزرع ..يثمر ألف سكين .. في كل سكين ألف نصل .

(الألم ينهشني ..حاضري يدمى ..ذكرياتي تتأوه ..تجثو على حفافيّ فمي)

– أردت ان تساعدني ..تقدمت للعمل في مصنعكم

(كل ذكرياتي تنزف بسببك أنت ..النسغ يرتفع ..يتخبط في ارتفاعه .. يترقى عينيه ..صفاء النهر اختلط بدماء الضحايا ..تعذرت الرؤية عليّ) :

عيناك زجاج حانة شتائية .

سلمني خالي رسالة

– اذهب إلى (ممتاز بك الفاروقي) .. إعطه إياها وانتظر الجواب .

– ارجو ان تساعدني .

انتظرت لدى الباب .. الدقائق ركام هائل طمّرك .. ماذا حدث لك ؟! .

هل فقدت صوتك ؟!. أضللت السبيل ؟.

ماذا أقول ؟لايبدو لي أن أي قول مطابق لحقيقة مأريد قوله .

– أرجو أن تساعدني .

بعد ملايين السنين الضوئية .. أخبرك الحاجب أن ممتاز بك مشغول :

– تعال في الغد

ماذا حدث للغناء الضخم الذي كان يملؤك .. التهمك ؟ أين الحلم الذي نبت في رأسك وأزهر في عينيك ؟ مات الحلم على وجنتيك .. دمعة مذلة اكتسحت بطريقها كل معاني الكرامة .. رأيت حقيقة وجودك بلا مرآة .. بلا خداع للمرايا ؟.

الغد .. بعد غد .. بعد بعد غد .. بعد بعد بعد غد .. أكلت الأيام انتظاراً .. إبتلعت الأسابيع عظاماً شوكية انزرعت في حلقك .

– أرجو أن تساعدني .

قال لك جميل : أليس (ضياء الخير) قريبك .

– بلى .

كير

– إنه الآن رأس كير .. قد يجد لك عملاً .

عاودك الغناء .. أزهر في عينيك الأمل .. خطاك صاروخ الزمن ينهب المسافات.
في قلعة من بقايا القرون الوسطى فيها كل ماتركه لويس السادس عشر بعد صعوده
إلى المقصلة .. وجدته .. في نظراته صرامة نابليون .. في هيئته جلال يوليوس قيصر..
في قلبه حنان أبي ذر .

– أرجو ان تساعدني .

(نابليون ينبح بشدة ..يتوجع .. يدعوني اليه).

بدوت باهتاً محطماً .. فقدت لونك .. ألف نملة من نمل الزمن في ملامحك ..
أرجلها الهدبية السريعة .. رسمت خطوها المثابر في عينيك .
قلبه غرفة دافئة سكنتها .

رفع غراباً اسحماً في يده .

(نقر في قلبي ألف منقار حديدي .. نزّ منه الصبر).

– اذهب غداً إلى ممتاز بك .. هل تعرفه ؟ في .. لتتسلم عملك .

(سأجد بسبيك وردتي .. تزهر الوردة وروداً بعدد أصداف البحر .. بعدد الأنجم
في تراب السماء .. بعدد الأحلام في رأس مراهق مرهف).

– ارجو ان تساعدني

صباحك زقزقة العصافير .. مسكنك مقصورة جهنمية حمراء .. تمتلىء بالمذنبين ..
في كل ذرة من ذرات الزمن ..تقطع لركابها تذكرة بلون وهج النيران المشتعلة فيها...
بلون طلائها القرمزي .. بلون دمك المسفوح كل يوم آلاف المرات .

(من أعماق غاباتي ..من أعماق وجودي ..من صفوة أيامي ..من توهج أحلامي..
قدرتي على النسيان).

– أرجو أن تساعدني .

حيت تحت رماد الكلمات ..صورة النار المشتعلة تحرقك .. الناب السكيني ينغرس
في أحلامك ..يسمعك صراخها العالي الذي لايستكين .
هززت رأسك ..سرت تفتح علبة السكاير ..فقدت لسانك ..أنت تطير في وادي
النسيان ..وادي التبلد والصمت .

– استاذ ..ياستاذ.. أعددت لك كية من الشاي ..نوعية جيدة .

– شاي ؟! .

– لم تطلب إليّ ذلك ..سلعة نادرة هذه الايام

– أوه شكراً ..سآخذه في طريق عودتي

المأساة في داخلك تقطر دماً ..في خارجك تصبغ اسفلت الشارع ..أديم السماء..
المجال الذي بينهما .

حمراء هي الحياة ..أصفر هو الزهر ..أسود النبيذ ..ترابي الخبز .. لنطرد أساطين
التمثيل من حدائق الحياة حيث تربعوا ..لنزيح كل الاقنعة عن الوجوه المشوهة...
لنسحق كل الطلاء .. نرميه في المزابل .. الدم يلوث ثغورهم الباسمة .. ابتسامة
التلذذ ..ابتسامة النشوة التي تسبق أكلة لذيذة .

قالت جينا : إنه طلاء أحمر لايمكن ان تكون دماء حقيقية .

– ماالفرق انها تمثل الدماء .. لتكن طلاءا لكنها دماء .

– مكياج رائع .

– تمثيل أكثر روعة .

– يبدو لي أن المسرح نموذج صغير للحياة .

– الحياة مسرح كبير.. ممثلوه أكثر إبداعاً .. مكياجه أكثر اتقاناً .

عندما خرجنا من المسرح بكت جينا .. كنت أهيم في تبلدأحاسيسي ..
أحببت دائما العيون الخضراء .. المتعبة في اشراقة الفجر .

– ألست بحاجة إلى سكر مكعبات ؟.

– لاأدري .

– إنه مفقود في السوق ..سأعدّ لك كمية منه .
(الغد ينير لنا الأمس ..لنعد أدراجنا إليه بخطونا الحائر ..الصبح يغلق نوافذه.. يسدل الستائر ..جلس الصيف حيث مات الربيع ..الوقت يمضي حاملاً دلويه.. دلواً للألم ودلواً للغناء).
قالت لك جدتك: خذ قطعتين من سكر مكعبات ضعهما في الشاي.
(الشاي قطعة كبيرة من العقيق تزين رأس ملك) .
نظرت أمك إلى العقيقة .. عيناها ضباب مساء شتائي.. أخوك الكبير شاطيء صخري يحطم زهو الموجة).
– هل سرقت سكر مكعبات ؟
– لم أفعل .
– وتكذب ؟ ! .
– لم أفعل :
ابتلع عقيقة الملك .
– نحن نشرب سكراً بطعم الوحل وأنت ...
الزجاجات الحمراء تكسرت تحت وطء خف(نبتون) الهائل .. صراخ كل المتألمين يتعالى في جحيم ذاتي .. يتأوه يتنافر عبر حفافي جحيم أبي العلاء ..
أصبح أبو العلاء درعاً لي يقيني غضبة ناكر ونكير .
– الناس يموتون جوعاً.. يموتون في الحرب .. وأنت تشرب الشاي محلى بسكر المكعبات ؟
صاحت جدتك .. أنا أعطيته قطعتين.
(ذهب الزمان الذي يشيب فيه المرء ..قدم الزمان الذي يشيب فيه المرء ..مضى النهار الذي يجرح العيون ..جاء النهار الذي يشقق الشفاه) .
– أرجو ان تساعد ابني .
– أساعده ؟.

لم يستطع تدبير أمور شغله في المصنع ... أخشى أن تذهب السنة سدى دون أن يجد عملا
(طائر السنونو يعود إلى عشه مع موت النهار ..يضل العصفور الدوري عشه اذاسمع نبأةً ..همساً ..صريراً ..تتلقفه مخالب باز ..مخالب خفاش ليلي ..يتضرج العصفور الدوري بدمائه ..تصمت زقزقة الفجر ..نعيب البوم يدخل الأرجاء بطلاء سميك لاترى الجماليات عبره).
قال أخي : سأترك الجامعة .
– لماذا ؟ !!
– أنا لاأملك أجوراً .. ثمن الكتب . مصاريف العيش.. لوازم الحياة .
الحياة ساهرة على شاطيء يفصل بين الألم والسعادة.. غرست على هذا الشاطيء كلما لوحت إليك سفينة أدارت دفتها مسرعة .. صغيرة هي السفن .. ضيقة لاتستوعب كل أحلامك .
– اشتغل .
– لم أجد عملاً.
صاحت جدتي : كان أبوك لايعرف الخيبة .
– أتريدني أن أعمل في البناء .. ماسح أحذية .. كناساً .
– أي شيء لنصل .
صحتي لاتساعد على ذلك. أنا مريض مجهد .
البرد يبكيكم كما يبكي السماء .. الثلج موحل يلمع في أقدامكم بلون دمائكم انغرستم في نسغ دمائكم .. تجمدت حولكم .. حنطتكم .
– كنت أأمل أن أصبح محامياً .
تهرتهم جدتي لن تصبح شيئاً مادمت تحلم .
فقد الهواء عبق القرنفل .. صمتت او كسّرا الحقول .. تجمد جمال الزهر في تويجه.. وحول الزمان ترتفع نسغاً لتغذي الأقحوان .. أصفر الاقحوان .. ذبل .. مات .

– لايمكن أن يستمر في عمله .. أيامه معدودة .
قال أخي بتوجع : لابدّ أن أذهب للعمل صباح الغد والاّ فصلت.
قالت جدتي بحنان : لن تذهب .. سيذهب أخوك بدلاً عنك.
– لايحسن العمل .
– يحسنه .. يعرف كيف يراقب عمالاً هزالاً .. ويقبض في نهاية النهارستةدراهم.
كنت (اوليسا) الحائم في غناء الحوريات ليلا مذبوحاً فيسجن الآلام ..
رقصت كواكب سود في جنونك .. ازهرت كواكب من آمال .
– أحاول ،سأرى ..أحاول .
(مات اخوك من أجل ورقة كان يتمناها .. لن يموت صلاح دون أن يحملها في كفه) .
هممت في السير ولفافة تحرق أنمليك .
– هل تريد صندوقاً كبيراً ؟ .
– تقول أنه مفقود .
– أستطيع الحصول عليه ..الموزع في عمر أفندي صديق حميم ..
– عمر أفندي ؟!!.
عمر أفندي .. عمر أفندي بحروف كبيرة .. اوروزدي باك بحروف صغيرة..
سفينة نوح تضم كل شيء .. كل مالذوطاب .. يؤكل .. يلبس.. يقرأ .. يسمع .. يلمس.. يشرب .. يستعمل .. في السفينة كل صنوف الحيوانات .. من كل الاجناس والاعمار .. السفينة مرساة على ضفاف نهر عظيم .. مليء بحيوانات البحر .. وضعت عليه رقعة صغيرة زرقاء .. كتبت عليها بحروف بيضاء أنيقة .. شارع ٢٦ يوليو
عيناي تعومان في دخان السفينة .. يأخذهما الموج علواً وسفلا
– تشكيلة جميلة من الكرفتات .
وقفت عند واجهة أوروزدي باك .. زورق صغير يرسو على ضفة نهر يتبدل اسمه كل سنتين ..ثلاث ..ومازلت لاتعرف غير اسمه القديم ..شارع الدواسة .. لن

يكتب على لوحة زرقاء ..صفراء ..خضراء.. الأسماء في مدينتك تحفظ لاتكتب .
(تشكيلة جميلة من ربطات العنق).
صاحت جينا جذلة: يناسبك اللون الاحمر .. يناسب كل ألوان الأردية . البشر يرقصون فوق دخان سيكاراتهم .. انفاسهم .. زفراتهم .. دفئهم . النغام القيثار في الخان توزع الخدر .. الشوارع الضخمة حبلى بالبشر الظلال تمسح عن الجدران النور .. تلويت من الريح .. تلويت شراعاً تصب فوق سفينة .. تلاعب الأمواج لعبة الريشة والوتر .
– يناسبك اللون الأحمر.
– أحببت عينيها الخضراوين .
(كل ذكرياتي تدمى بسببك أنت وحدك ..فتحت النوافذ للعاشقين لكل من ضاع في الدروب ..لكل الاغنيات التي تتآكل دون انتظار).
أومأت لي .
– هل ترقصين ياسيدتي ؟
الذراع تعانق الذراع .. الصدر لصق الصدر .
كنت مثل طفل في فمه ثدي وفي وجهه براءة .
– اسمي جينا .
– اسمي هادي .
ومات فوق الثغر سندباد .. وعاش في العينين شهريار .
– أحبك
– أحبك يا جينا... وضع القمر رأسه المتعب فوق حجري ونام..ارتجف الحنان والأنغام والظلال.
(– يناسبك اللون الاحمر).
(تشكيلة جميلة من الاربطة).
حملت فوق جبهتك ياقوتة السنين .

– تشكيلة جميلة من الكرفتات .. عيناها هناف نواقيس ضامئة للضرب أشعلت نارك لتحرق لفافتك .. ذابت في لعابك .. نارك لم تنطفىء .. عصفور جميل الريش يتنزى فوق أيكة ..يبحث عن حبة .. هنا بيدر ...هنا دودة .. هنا زهرة .. هنا بقة .. لايرى العصفور غير زهوّه .. لونه ذي الالوان ..

النار في يدك .. اللفافة تذوب في لعابك .. عيناها .. ثغرها .. ابتسامة قائلة : تشكيلة جميلة من الكرفتات .

اشتعل ريش العصفور .. صرخ ذعراً .. اشرق النور في عينيك .. ماتت الكلمات. أحاطتك عيون اطفأها تثاؤب غبي .. في نظرة سماؤها غضب أرضها غيلان .. وأحاديث طويلة .. وسكوت لايجيب غير زفرة .. غير شهقة .. وقصاصات حرير تتلوى .. تتساقط .. تتجمع مثل ريش فرقته عن جناح .. مخلب قطة .

– آسف مد مازيل .

– ....

– انا مستعد للتعويض...أمسكت عصا موسى .. ضربت البحر الذي يفصلنا ... البحر الهائج أرض ممهدة التقينا فوقها .. بكت .. اسدلت جفونها المذابة في ماء الدموع .. سلبت نجماً ظل يتحدث عن حسرة العاشقين .

– ادعى نوال .

– أدعى ...

جرحتني السكين جرحاً عميقاً .. الماء البسيط يصدر عن صوت متنافر في الالهب، ظلانا يتطاولان على الجدار الزاهي .. شيء في داخلنا يصعّد صرخة .. ارتطاماً .. كسراً .. اشعاعاً من الاعماق نقيا مبهما دوارا خائفا لايستقر . لوّن ذاتينا سهم كسر في داخلنا ..

– تبدو أجنبياً .

– انني عربي .. يغوص حجر اللازورد إلى نهاية .. نهاية أعماقنا :

صاحت جينا : تبدو أجنبياً .

– انني :

(لست سوى نبيذ مسكوب فوق مائدة قذرة ..نبيذ يحيط بكل الأواني ..يلوثها .. يجعلها غير صالحة للأكل الا بعد غسلها) .

تشكيلة جميلة من الأربطة :

تشابكت يد بالأخرى كعصفورين مغرورين .. الهواهنا تتحرك على نغمات الشفاه .. هيام السعادة .. النغمات تنسج الغناء .. الأكف المتعانقة خباء ظللنا .. الفناء يتسلق الاعناق .. التمايل يتساقط عن أغصان القدود جنى وثماراً .. بلغنا قمة فريدة ... حيث الأذن لاتسمع غير الهمس .. والعين لاترى غير ظل العين في هيام الأيدي واشواق الشفاه .

تشظى الليل في قلبينا أحلاماً وروى ...لم شتتناها بخيط صنعناه من سعادة قلبينا يد قطفت يدي .

جفلت .

– أصلحت النظر ..هل تسوي هندامك أم تزمع الشراء ؟.

– تشكيلة جميلة من الأربطة .

– لاتستطيع شراء شيء الآن ..المحل لم يفتح بعد .. دعني أوصلك ..نظرت إلى ساعتك :مازال في الوقت متسع :أفضل السير .

– لي حديث طويل معك .

تكسر صوتي في فمي ..شظايا أدمته .

– لم لاتؤجل الحديث إلى وقت آخر ؟.

– تريد أن تستمتع وحدك ..أناني ..ألست صديقك ؟

(لايرى انني اسحّ دماً ..يقع حياتي تتراقص سرطانا على وجهي).

فقدت لساني ..فقدت أذنيّ ..لم أفقد عيني ..شفاه تتحرك ..فقدت الحياة ..فقدت الترجيع ؟

– أين فلة كان معك بالامس ؟

– أبن فلّة ؟!

– عمران الساهر لايناسبك السير معه في الشارع .

– أحد معارفي .

– أمه فلّة اشهر من نار على علم .

– وماشأني .

– تستغفلني !أمه ..أخته ..زوجة أخيه ..هو.. أخوه ..العائلة متعة ..دار خصوصي.. دينار ..هدايا ..حسنة اخته ..زهيرة زوجة اخيه ..

(العويل ..الصراخ ..صفات الجبناء لأصمت صمت الجليد).

– أراك لاتجيب .

(روح خشنة ..تائهة ..لم تشكل بعد ..روح عمياء انبعثت من الظلام).

– المساء ..زجاجة ويسكي ..أخته حسنة ..دجاج مشوي ..سيارة ..شقة صديق .

(أنا تراب يطرد من البيت في الصباح ..يعود صبوراً ليجثو على الاعتاب يقبل الأقدام في المساء ..يوخز طوال النهار بألف شوكة ..تزرع فيه ألف سكين.. أنا حجر تآكل لكثرة مرور الناس عليه ..لكثرة ماهرسته الأحذية والاقدام)

يداه تديران قرصاً ..وجهه قرص متحرك ..رأسه قرص ..عيناه قرصان وامضان.. شفتاه قرص دائر ..عجلات السيارة أقراص سائرة ..واجهات المحلات ..العناوين التجارية ..أحذية دجلة ..مخزن شذى ..بقالية حمدي .. سيارات علي ..أربطة الدهان

– يقولون أنها ...

همس صديقي في أذني .. هادي القذني انا محرج جداً .

– **ماالخبر ؟!**

– **هذا الطفيلي زارنا بالأمس .**

– **كيف ؟**

– **ادعى انه صديق قريبي واكد القريب قوله .**

– **لماذا تركته يبيت في دارك ؟**

– **كنت اعتقد انه صديق .. أردت أن اعزز موقف قريبي .**

زارها حسان قبل أسبوع ..يقول أنها ...

– **ثم ؟**

– **تبين لي غير ذلك .. لابنه قريبي (نهى) علاقة به .**

– **اخبر أباها.**

قال لها :أي نوع من الرجال يعجبك ..الطويل ..القصير.. أل.. أل..

– **ابوها يعرف الأمر .. هو الذي يشجعها .**

– **اطرده من دارك .. اطرد قريبك واهله .. أخبرتك دائماً بأنه وضيع .... ارستقراطي مفلس .**

قالت :يعجبني الدينار .

تقدم اليّ فوزي .. بشّ في وجهي : أظنك صديق الأسرة .

– **نعم .**

– **صديق أبيهم .. الكبرى .. الصغرى .. الوسطى .. الأم .. الخالة .**

– **صديق الكبرى .**

أصفرّ وجهه ضحك ضحكة صفراء .. أنت وربّي أم أنا ورثيك .

– **انا آدمها .**

– إنها لاتشبع من – المال – قال صديقي حمدي :

طردته من الدار .. طردتها .. طرد قريب صديقك .. شكرك

الصديق .. تزوجها فوزي بعد ذلك .. حبست الروائح الكريهة في دار الزوجية.

– حدثني صلاح انه تراهن معها أن يتعبها ..نقل إلى المستشفى واستمرت تعمل.

قال سائح عن مدينتنا :بين كل مقهى ومقهى مقهى ..لو قدم الان لقال بين كل مخزن ومخزن مخزن ..أحذية الشرق ..القصاب حسين ..مخزن التدبير المنزلي.. ملابس ايلى

– غضبب صلاح وفي المرة التالية تراهن معها ايضاً ..اخذ عشرة من اصدقائه معه ..

(ليلى ؟!!!).

لاول مرة يقع نظرك على هذا المخزن .. مررت من أمامه آلاف المرات لأول مرة يقع ...

نظرت اليك بعينين خابيتين مغسولتين من الذكرى .. من الأحلام .. من الرؤى .

– إنني اموت .

نظرت فوق الوردة الذابلة .. فوق النغمة المشفقة .. فوق السعادة المخدوعة .. فوق أيامها الزائلة .

– تشجعي .. لن تموتي .

– نقل إلى المستشفى ..ومضت تعمل .

اشعلت دمها زهرة .. أنبتت في جبينها النعّي .. زهرة الطهر التي داسها أخوها ..

أحبت فتحي .. فارس المحلة .. أحبها فتحي .. كنا الثلاثة .. ليلى .. فتحي ..

وانا في سنة واحدة .. تفحصنا السماء معاً..أحببنا الأرض معاً ..عشنا حنان بعضنا...

سلكنا طريق اقدارنا قاده طريقه إلى مسلخ أبيه .. إلى حذاء اسود ثقيل .. يمرن قدمه فيه ليعود إلى فرم اللحم والعظم .

طريقها قادها إلى البيت تجعل من جدرانه خباءاً .

مع صوري الصفراء أحيا .

– اشتعل غضب صلاح ..راهنها ثالثة ..

أحبها فتحي .. نابه نغم يسعى إلى الآذان .. نظراته وهج يسكن العينين ..

انفاسه عبق ربيعي يجذب الفراش .

كأنك تتخيله تحت جفنيك .

– هادي ساعدني .. أحب ليلى .. أريد ان أتزوجها .

أهمس في أذن جدتي .

جدتي تطلب اليّ الصمت : خطيبة ابن عمها .

– فتحي يحبها وتحبه .

– فتياتنا لايعرفن الحب .

(الربيع من أجل الحب ..الطير من أجل النشوة ..الحرية من أجل السعادة) .

– خسرت حسنة الرهان ..نقلوها إلى المستشفى ..

في منعطف الزقاق .. الأقدام ترصع الوحل .. الجدران خمائل للعشاق ..

قتل ليلى .. في شهر الازهار والمطر .. شهر الآلهة والشياطين .

(ليلى أذرع أحلام ..دم مخضب مشمس ..أغنية حب على الشفاه).

رآها ابن العم .. خاف صولة فتحي .. وشى بها عند الاخ .

ليلى صدر مشقوق .. دم مهدور مقمر .. أغنية بددتها شفاه الخماسين .

– لم تنهزم حسنة ..عيرته بانها واحدة وكانوا كثيرين

(الزمان يمضي ..حبله ينعقد حول الأطيار ..حول الأزهار ..حول الصبا ..حول الأحلام.. حول السعادة ..نهاية كل شيء العدم).

– بحث صلاح عن رجل يهزم حسنة ..وجده ..اعطاه ديناراً .. اخذه معه ...

(الزمان يطفيء الرؤى في العيون يزيل ابتسامة الشفاه).

لم يمت حب فتحي..ماتت ليلى..لم يمت حب فتحي..مات قلب فتحي لم يمت حب فتحي..قبر قلب ليلى ..قبر قلب فتحي ..زوجة تنجب الأطفال...تطعم الأفواه... مزمار فتحي نغم يسعى إلى الآذان..آهات فتحي لاترفضها الشمس..حب فتحي لايستهلك).

– نام معها ثمان واربعين ساعة..كانت تضع علامات على الحائط .. اختلفا في العد .

(الحب لايستهلك اذا قالت المتعة وداعاً).

دخل فتحي منازل نساء مجهولات . أكل الزبرجد أعينهن لكنه لم يعرف بقلبه غير ليلى .. ليلى أكلها نصل خنجر .. فتحي أكلته عيون الزبرجد .

(انتهكت حرمة الذكريات ..سرقت أسرار القبور ..جعلت من الماضي مومسآتي حضني).

توقف هدير السيارة .

– اتفق معه على موعد لزيارته .

– من ؟.

– عمران الساهر .

– لماذا ؟هل تحب سماع شعره ؟.

(الأفواه قهقهات ..العيون افواه ..الأنياب أنصال تنغرس في الشفاه ..يسيل الدم على وجهه ..خنزير مخنوق يقود سيارة).

صاحت صاحبة الدار ماذا تقول ؟ لحم الخنزير حرام .

– طبعا محرم عندنا .

– الا تأكل المارتودّلا ؟.

– إنها لذيذة .

– أليست مصنوعة من لحم الخنزير .

– هوع.. هوع .. استغفر الله .

اغرقت صاحبة الدار في الضحك .

(وجهها خنزير مخنوق .. وجهه خنزير مخنوق) .

(محل لذيذ للمعلبات .. تجلون كل رغباتكم .. لوحة كبيرة حروفها بارزة سوداء).

– نكتة جميلة ..

ضرسه أسود .. أسود آخر .. فراغ .. ضرس ذهبي .

همست جدتي مؤنبة : لاتكثر من أكل الحلوى.. أخشى على أسنانك من السوس .. أغسلها جيداً بعد كل وجبة .

(نهى سنها ذهبي .. سنها الأمامي يتوهج عندما تضحك) .

خرجت نهى من الحمام.. اختلست عطاً .. فتحت منشفتها ..صرخت حواء..

قدمت لي تفاحة .. ابتسمت الافعى.. نجوت من التجربة .

قال قربني هيا بنا .

صرخت من غرفتها .. هادي أرجوك لحظة واحدة ...

حواء عارية تراقص شياطين الشهوة .

– ألا اعجبك ؟.

– لا .

– انني لك .

احتضنت الباب الذي قذفته ورائي.

– سلم على زوجتك نهى .

– قد لا أعود إلى الدار .

– لعلها بخير

– لا أدري .. أراها ليلاً وانا مخمور .

– وداعاً .

– لاتنسى الموعد مع عمران الساهر .

قال صديق : رايتك جالساً في المقهى مع عمران الساهر.

– يقرأ عليّ قصيدة .. شاعر جيد

– أمه سمسارة معروفة.. اخواته ...

– لابد أن لهن أسبابهن .

– ألا تخشى على سمعتك .

– أنا لاأجلس اليهن.. أجلس مع عمران .

– إنه ابنها.

– ولاتزر وازرة وزر أخرى .

– شريعتنا تطالبه بغسل العار.

– من أجل أن يحطم مستقبله !.
– من أجل كرامته .
– إذا كنت تطمع بأخواته .. آخذك اليهن ..
– أنا لا اطمع في شيء .
– لا أفهمك .. نحن نفعل كل شيء في حمى الدخان ولانفعل شيئاً في وهج الشمس .

الفصل الثالث

الساعة الثامنة صباحاً

(٣)

صفعني عم ابراهيم .. نهض .. يده اللولبية ترتفع إلى رأسه لتنخفض على صدره في ولاء .. الثواني تتمطى حذراً .. رجلاه تتمطيان تعباً .. اعتاد أن يكون تمثال الكاتب المصري ..لا يحسن وقفة محسن السعدون .. ترتفع يد سمراء ثابتة محيية تهز برأسك .. تسكب اشعاعاً حنوناً في عينيه .. يخلق حنان العيون تمثال الود والصداقة . الساعة تعلن الثامنة في غرفتك

– كيف صحتك ياسيدي ؟ .
– اشكرك .. بخير يا سرحان .. ها هل من جديد .
– قررنا أن نتزوج .. لم أوافق على الزواج دون رضاء اهلها .. المشكلة من يذهب لخطبتها .. كل معارفي ليسوا بالمستوى المطلوب .
– انا لا استطيع فعل ذلك .. كنت أود .. لكن أنت تعرف .
– عفواً .. عفواً .. اشكرك يا استاذ لا أريد تكليفك .
– لا تكليف في الأمر .. فقط انني .. أنت تعرف .

أعجزك الكلام..خشيت ان تقول انه عمل جنوني أن يتزوج سرحان ذياب ابن البراري ربيب الخيمة، المباع كل شهر بعشرة دنانير من (هدى الغسانية) ابنة الحسب والنسب .. ربيبة القصور التي تقدر كل شهر على شراء عشرة من أمثال سرحان ذياب .. أحسست بتفاهتك .. بكل أقدار عصرك فوق رأسك .. جثم لسانك في زاوية من فمك .. رقصت جفونك جبناً .. انت ...

قال لك فاشل : أنت استاذي ..صديقي الآن .. جئتك بطلب العيد ليس عيدي أريد الزواج من خيرية

– **ماالمانع انها تحبك !!**
– **اهلي لايوافقون أسرتها فقيرة لاتناسب أسرتي.**

بفيلم (كيف تتزوج مليونيرا) .. مكتبك حلم راودك في الماضي .. انتحر في حاضرك .. مقعد وثير .

– لماذا تجلس في حجري دائماً ؟ صاحت زنوبة .

– مقعد وثير .

– أنا فراش وثير .

أحسست مقعدك يطفو فوق بطنها الشحمية .. رقصت رقصة البطن عرفت لذة تتدافع .. لذة أن تغمس في لحم .. لذة أن تطفو فوق رغبة .

ملأ فسحة الباب المفتوح ... نافذة إلى العالم تمتلىء بالعم ابراهيم .. حامل القرابين يتقدم من الهه بخضوع وخشوع .. يضع فنجان القهوة أمامك .. تسيل قطرة منها .. يخرج منديله .. يزيح أثر القطرة بمنديله .. يزيح أثر المنديل بكفه .. يفرش من نظراته بساطاً تحت قدميك .. تطأ البساط بالرغم منك .. يركع حامل القرابين .. يهمّ بالخروج .. تصيح به : لماذا لم تأت فاطمة بالأمس ؟ ! .

يرتج عليه الأمر .. لسانه كبّابة غزل اختلطت خيوطها .

– لم أعرف الا بعد عودتي إلى الدار .. كانت مريضة .. ذهبت اليوم . توقف تمثال الخجل .. تمثال الخرف من اله مجهول !

– هل تأمر بشيء ؟ . أشرت بيدك .. تهيأ الباب عم ابراهيم .. أقفلت عليك الحياة .

انت في علبة كبريت خشبية أنيقة .

(ذهبت فاطمة اليوم .. ..) .

عمتك لاتريدها خادمة في الدار .. شمت رائحة كريهة تنبعث منها .

(رائحتي كريهة .. انا لا أطيق نفسي .. بهلوان هذا السيرك الكبير) .

تريد أن تتطهر بدمك .. أن تسقط من أعلى الحبل كما سقط مهرج السيرك .. أن تلعب لعبة السيرف ليقطعك سيف .. لعبة الخناجر .. السكاكين .. الغدارات .. الحبوب المنومة .. المراد السامة .

– إذا كنت تحبها كما تحبك يهون كل شيء .. أمض في طريقك .. سيرطخ أهلك بعد ذلك .

– هددوني بالقتل .

– الموت أهون من حياة عديمة الجدوى .

– قتل والدها .

– ماذنبه ؟!

– ليمنعوني من الاقدام .. يريدوني أن اتزوج من ابنة عمي .. كتبت باسمي يوم ولادتها .

– تحبها ؟

دفعتك الشهامة لانقاذه ذهبت إلى أهله قوبلت بكل احترام .. أكياس الحبوب تحيطك.. الشعير.. القمح .. روائح عفن الارض ،في منخريك،علا الصخب .. ألف لسان يتحرك .. أفواه تتسع .. تتكمش .. قبضات تهتز في الهواء وجوه تحتضن.. عيون تدور في مدارات الأفلاك .. ضحكات بلهاء هستيرية .. رذاذ يتطاير من الأفواه كلما أردت أن تهم بالحديث قوطعت بشراسة .. لم تفهم شيئاً..لم يفهموا شيئاً.. خرجت وانت تترحم على ابن خلدون .

– العفو استاذ .. يزدحم المر بالرؤوس والايدي المستسلمة فوق الورق .. عيون تنسكب في سندات أمامها .. عيون تفكر للايدي عندما تكتب .. عيون تتطلع بخوف .. وجه العم ابراهيم المحروق يستقبلك بكل أرضه المحروقة .. يملىء ابتسامته المتآكلة فقراً .. يرش أمامك دماء قلبه المذبوح لينظف كل قذارات الأرض التي تسير عليها .

– صباح الخير استاذ .

تتساقط الكلمات المرحبة عند قدميك تبتهج بها وأنت تدخل صومعتك .. جدرانها مطلية بالخشب والفلين .. لاحرارة لا برودة .. جو معتدل دوماً .. رياش يذكرك

قالت عمتك : لماذا لايفتش لنا فراشك عن خادمة ؟.
سألت العم ابراهيم : هل في إمكانك ؟.
غاب الجواب أياماً عندما سألته القى كرامته تحت قدميك :
– ابنتي .. لم أجد أحداً .
عندما جاء بعصفورته المرتجفة أحسست إحساس ذئب جائع .. القيت في عينيها عينيك .. غصت في غوريهما .. جنيت أصدافهما .. هويت لعبة اللآلىء .. كل يوم تغوص عشرات المرات .. تستخرج أكياساً من اللآلىء .. مللت اللعبة .. علّمتها كيف تزرع الثمرة .. الفم تربة صالحة للغرس والسقي .. أكلت من جميع الأثمار .. تقيأتها مللاً .. لم يبق إلاّ أن تعلمها كيف تستلقي .. الأرض تحت السماء تستجدي الخصب .. أنت بكل عمرك .. بكل مركزك .. علمك .. ثروتك .. عشيرتك .. سماء .. هي فاطمة الأرض بسنيها القليلة .. بينبوع تجربتها .. ثقافتها .. مركزها .. عشيرتها .. السماء تمنح القليل لتأخذ الكثير .. انت سماء .
(سماء مجدبة) .
علمتك الكتب والتجارب كل ألوان اخفاء الأثر ... حصلت في علم الاجرام وفي التحقيقات الجنائية أعلى الدرجات .
– درجات لم يحصّلها أحد من سنوات .. أهنئك .. أرجو أن تخدم العدالة بالطريقة التي وفقت بها في التعلم .
(تعلمت كيف أخفي الجريمة) .
جريمتك الأخيرة جريمة كاملة يحسدك عليها أرسين لوبين
فاطمة جرح الأرض الدامي بخطى النشوة .. صدر الليل المخزون المكفن بالرؤى... عصفور حائر شنقه غصن زيتون .. جررت على جسد المغيب قدمي من أجل قمر تحجر في جبين سمائي .. ظننت أن سهام العيون يضيء متاهتي .. خرجت أدفن في الثرى أهوائي .. من يدلني على اسوار الحزن أبكي فيه فجره النائي البعيد .. ابكي كؤوساً تحطمت على السور .. ماتت في ثرى حسراتي .

غيمة صيف أتى يحملها ظهر الضياع تعلقت .. توالد الامل على حبل السراب :
انا المقتول والمولود في ليل الهزيمة :
فتح الباب بحذر .. أطل رأس مسلوق في شمس تموز .. نظراته حيرى .. قلقة .
قال بحذر :
– وينه عادل ؟ :
اجبته : هنا :
دخل كراقصة السيرك يتمايل شمالاً :: يميناً .. يميناً .. شمالاً يسير خطوتين إلى أمام .. خطوة إلى الخلف :
ردد بحذر : وينه عادل ؟ :
أشرت إلى حذائك : لمعّه جيدا وسألك أين عادل :
أفعى يلهث مع حركة فرشاته ، يده الماهرة تساعد الفرشاة في تلميع الحذاء .. يتلصص النظر إليك :: يبتسم بخجل اذا ما أمعنت فيه النظر .. خفض بصره استحياءاً .
(نظراته تشبه نظرات نابليون .. أعتقد أن أصلنا كلاب .. اليس عادل الحلقة المفقودة) .
كنت تلّمع حذاءك في محل يتقرفص على ناصية الطريق .. محل اعتدت أن تلمع حذاءك فيه .. تتحدث فيه إلى (ارتين كويلت) تغوص في كلماته .. تنبه في ممرات رأسه .. تسقط في دوامة قلبه .. تفقد ثقلك .. تطير لتقع بعد خمس دقائق .. فوق أرض الواقع .. يحدثك عن السفر بر لك .. دوره فيه دور جندي اعتيادي قتل .. جاع .. تاه .. ضاجع .. سرق .. عاش حياة كاملة كما لم تعش أنت .. هرب من الحرب .
يحب آرتين الحروب .. يتعشقها .. فتح الباب .. امتد رأس قره قوز : وينه عادل ؟.
جواب آرتين قماط دافيء لطفل ضعيف حديث الولادة .
– راح .

تنسحب العينان التائهتان مشفوعتين بابتسامة بلهاء .

– عادل راح ؟!.

الحزن قناع فوق وجه آرتين : مجنون .

يرفع اليك وجهه : وينه عادل ؟.

يبدو كذلك ، ماقصته ؟.

– هو عادل ويبحث عن عادل .

– يبحث عن نفسه ؟!.

كلنا نبحث عن أنفسنا . اعتقدت انني وجدت نفسي لكنني لم أجدها .. مازلت أبحث عن نفسي .

– ها الله يخليك وينه عادل ؟.

(أنا لا أعرف أين هادي.. لا أعرف أين عادل.. اينا اعقل أنا أم عادل) .

ينتهي من تلميع حذائك تنقده قطعة معدنية.. تحرك شفتيك.

– راح عادل.

يحث الخطا.. يتلقفه الباب.. يتسدل وراءه.

(يستمر في البحث عن عادل.. رجل شجاع يجابه ضياعه.. وأنا لا أجابه شيئاً أثناء سيري على الحبل.. المشاهدون في السيرك أدموا الأكف تصفيقاً)

– بهاوان عظيم.

رأسك لا يحمل ظله.. ظلك لا تراه.. وأنت تضحك مفتوناً بميلاد الظلال..

–أيها النسر الذي لست جديراً بجناحيك.. أوثر تقطيع الجناح .

(أوثر الحرة في قاع الجحيم.. أرحم الف مرة من نار الحياة الراعفة.. في قلب مطعون بآلاف النصول وانشطارات التمزق وسطامات اللهيب) .

– أين هادي؟ !!

تدخل سكرتيرتك بأوراق عدة عليك أن تقرأها.. توقعها.. تحكم فيها.

حجز على سلمان عبدالله .. لم يدفع ديونه للمعمل .. مدين بعشرين الف دينار.

(سلمان عبدالله يشرب زجاجة ويسكي كاملة كل ليلة في النادي.. فتح محلاً تجارياً ضخماً.. رصيده في البنك كبير.. يحتذي سيارة لا أحلم بمثلها).

توقع.

يطلب هاشم علوان ساعاً بخمسة آلاف دينار.. ثروته تقدر بمائة الف.

(غني الامطار.. سيارة كذلك.. خدين عاهرة معروفة بابتزازها.. بقلبها المغلف بماء الذهب).

توقع.

كمبيالات.. طلبات بشراء.. فوائد.. معاملات تجارية أخرى

(أنت قلم متحرك سيء الحظ يسير بعشوائية يوسخ نصاعة الورق .. يلصق عليها دماء قلبه).

تلتهم أكوام الورق.. ترفع من أمامك.. تستقر الصحف اليومية على مكتبك الضخم:

مفاوضات النفط في طرابلس تدخل اليوم مرحلة حاسمة.

الحرب الوسيلة الوحيدة لحل المشكلة الفلسطينية.

مظاهرات صاخبة في بون.

العدو في موقف الدفاع.

تضحك.. تقلب الصفحة بعصبية.

زوجة تقتل زوجها لانه نظر إلى غيرها.

مدرسة ثانوية لكل ثمانية الاف نسمة في مدينة....

(الجهل يلتهمنا.. اوراقاً صفراء ندرسها اقدم من عقولنا).

يدفع الباب بيد ثابتة.. قامة ممتلئة.. شارب صقري.. عينان غائرتان في اكتناز الوجنتين: استاذ لدي عمل مهم. اطلب اجازة لمدة ساعتين

غصت في جريدتك.. ازدردت لسانك.

– تفضل.

زيادة الدخل القومي بنسبة مائة بالمائة عن السنة السابقة.

مليون عامل بريطاني يضربون اليوم احتجاجاً على تشريع حظر الاضراب.

زيادة انتاجية الفرد بمعدل ٣٠٠ ٪
يحيطك سور الصمت.
تحيط عبدالله محمد قضبان حديدية .
سألني المدير .. كنت معاونه . كيف كان يعمل ؟ افادات عديدة تفيد انه لم يداوم بصورة منتظمة .. سرق أثاث الدائرة .. باعها في مزاد علني... بدّل المدفآت الجديدة بمدفآت قديمة .. عيّن مستخدماً بزجاجة ويسكي .. اقام له الشيخ شعلان دعوة كبيرة فسارت اموره بصورة جيدة .
أجبت لاأعرف شيئاً عنه .
قضى سنتين في سجن حديدي .. قضيت سنوات في حرية الضياع .
الأمطار تشرد الألوف وتؤدي إلى مقتل العشرات في البرازيل.
تأوه الباب.. دخل الشيخ (مطلك الجابر) عبيده يتكلسون في صيوان جاودهم على طرفي الباب.
تتأوه الكرسي .
يدخل العم ابراهيم بعقيقة الملك.. يبتلعها الشيخ مرة واحدة .
– احتاج إلى تأجيل الدفع، زرعي مات من قلة الامطار.
(يمكنه ان يسقي أرضه عرق عبيده.. العرق مالح لا ينبت الزرع.. لو.. لفعل) :
رزمة رسائل أمامك.
– الزرع هذه السنه سيء.
تفتح ظرفاً.. بطاقة.. منظر الكعبة.. تقرأ.. وصلنا بالسلامة .. صحتي جيدة
– انقطع المطر.
زميلك المحظوظ. هكذا تسميه عمتك من دون شهادة.. مجرد بطاقة...تزكية :: لمنصب كبير.. رصيد كبير .. اناس يرتمون على اعتابه يقبلون الارض تحت قدميه:
– اشتعل الزرع.. لا يوجد حصاد هذه السنة.
قبل سفره بأيام تحلقتما حول زجاجة ويسكي .

– لماذا لاتنضم الينا ؟ بكل هذه القدرات تصل .. لايمكن الوصول بدون بطاقة تزكية ...
– أنا لاأريد الوصول .. الوصول يعني الموت .
– أنت لاتفهم شيئاً .
– أفهم سبب ذهابك إلى الحج .
الدراهم دفنت في الأرض.. أفلسنا مع موت الزرع.
– أنت لاتفهم شيئاً .
– تريد أن تغطي سرقاتك .. قصرك .. سيارتك .. رصيدك الكبير ..
– الفلوس تأتي بالفلوس .
– بذور الايمان في قلبي نضجت .
– أماتها انقطاع المطر.
– انت ...
– وقع الطلب يا استاذ..
يدك تتحرك على ورقة مكتوبة بخط رديء.. عيناك تتمليان الحجر الاسود والبشر البيض في مآزرهم.. وانت منفي فوق كرسي وثير.. مقعى في جدران رأسك :: تخرج منه لساناً.. تصلب عليه أفكارك وأمانيك.
– أنت غبي .
(لولا غبائي لدرت في الشوارع صارخاً أين هادي ؟!).
ناولك سامي ورقة .. قرأت فيها : نلتقي الساعة الخامسة في الحديقة العامة.
داؤك حب الأستطلاع .. ذهبت .. كان ينتظرك .. تحدث طويلاً : التكتيك..
المبادرة .. الشعب .. الاقطاع .. الشوفينية .. فتاة تتلوى أمامك .. تداعب طفلاً بشيق .. كلمات سامي تدغدغها .. تضحكها .
– نفتح أذرعنا لك .. أنت شاب طيب على الرغم من أنك برجوازي دس منشوراً في جيبك .. طلب منك اشتراكاً شهرياً .
– تتصل بي فقط .

لم تتصل بأحد .. اتصل بك .. قطعت السلسلة .

الباب يصرّ.. الغرفة خالية إلاّ منك ومن رسائلك وأوراقك ظرف ممتلىء .. خط عنوانه قلم ماهر شغوف.

رسالة حكمت.

قرأت : الانسان هو الانسان .. قيود اللحظات في كل مكان تأسرنا فنتنفض على الرتابة الاعتيادية بما نريقه على الورق من دمائنا الطاغية على ضفاف الملال .. الغريب في حياته لا يتأثر بمعالم المحيط ولم تخفف البلدان من وحشة اغترابه .

استقبلني (علي المقاتل) في مطار روما رائحة عرقه تنبعث حادة مقيئة .

– تنزل معي في غرفتي .

سرير متداع إذا مااستلقيت عليه صرّ واهتز قبل أن يستقر .. متكأ متآكل .. منضدة غطاؤها شحم وبقع .. حيطان متشطرة رطبة .

– العجب في عينيك .. أنا سعيد بحريتي .. كنت مغترباً في بلادي .

– بلادك قيمتك .. استاذ في الجامعة .. فنان أصيل يعرفك من لايعرفك .. عشت كإنسان .. حياة كلاب هذه .

ضحك .. ربت على كتفك : – مازلت صغيراً .

شهران مضيا في جزائري وانا دون مأوى .. دون نقود.. دون صاحب يبدد وحشتي.. اللهجة حائل بيني وبين الناس.

لم يبرح غرفته .. صفّ فيها عشرين لوحة .. وضع في المركز علب الألوان .. يأخذ العلبة الحمراء يدعكها بيده .. يلطخ بها اللوحات .. الصفراء ..

الزرقاء .. الخضراء .. مزيجاً من الألوان .. كل الألوان .

بعد أربع ساعات أنهى عشرين لوحة .. حمل خمس عشرة حملت خمساً صاحت فتاة جميلة في الطريق : هَلَوْ .

– هَلَوْ دوللي حظ سعيد انك جئت .

حملّها عشر لوحات .. حث الخطى أمامنا .. معرض للصور .. استقبله صاحبه بترحاب شديد .. وضع اللوحات ، أعطاه مائة ألف ليرة .. وضع النقود دون عناية في جيبه الخلفي شبك الفناة من ذراعها .. شبكني من ذراعي .

– زوجني دوللي .

عند مكتب زواج توقفنا .

– إلى أين ؟.

– لنطلق .

– هل جننت ؟ .. حبنا .. أولادنا .

– مات كل شيء في نفسي .

بكت الفناة .. لعنت .. صفعته على خده ...

– لماذا طلقتها ؟ فناة جميلة ودودة .

– مللتها .

قطعنا شوارع عدة قبل أن نستقر في مقهى.. بدا لي رواده من البرجوازيين . تجلس فناة قبالتنا .

تمعّنها : فناة لذيذة .

أخرجت أحمر الشفاه..مرآة..راحت تجدد زينتها..أنتهت... نظرات دهشة في عينيه.

– تسمحين لي بأحمر الشفاه .

حركة لا إرادية .. أعطته الأصبع .

أخذ صحناً من فوق المائدة ... بحركة واحدة .. رسمها تنظر .. أخذ صحناً آخر .. بحركة واحدة .. رسمها تتلوى .. صحناً ثالثاً .. رابعاً .. خامساً .. قدم لها الأحمر والصحون الخمسة بانحناءة عذبة .

تملت الصور .. جمعنا لؤلؤها .

– هل أنت فنان ؟.

– أنا ساحر من بلاد ألف ليلة .

دعاها إلى كأس .. أخذ كفّها بين كفيه .. مرّ عليه بأناة .. قبلّه بعينه .

– هادي أنظر . هرة سيامية .

تحدث .. تحدث .. تحدث .. يهتز رأسها طرباً .. ذابت في عينيه .. استعر في جسدها.

صاح بي مأخوذاً : هادي لم أعد أحتمل .

رفع باطن كفها إلى فيه .. لحسه ... لحس الزند .. أراد أن يستمر لولا ايقافي له ..

التهمتنا العيون .. ضحكت الفتاة

صاح بها : لنتزوج .

وبأسرع مما توقعت غادر المقهى .

اليوم منذ نهوضي لم أخرج فقد غدا الشعر كأسي ..تسرب بين عروقي في لب عظامي..أصبحت الشعر بعيني ولولاه لمابقي لي حظ في هذا العالم المتضارب المليء بالتناقضات خاصة بعد أن زهدني سفري بهذه الحياة وبحضارة الانسان في الزمن الجديد.

طرق باب غرفتي فجراً . (عليّ) عبر الباب.. امتلأ بباخوس .. تداعى على الأرض غطّ في سبات عميق .

ايقظته في الصباح لم يستفق .. ظهراً لم يستفق .. استفاق مع غروب الشمس.

– هل أنت مريض ؟.

– متعب .

أكل بشراهة .. شرب زجاجة نبيذ .

– سأسكن في غرفتك .

– غرفتك ؟! زوجتك ؟!

طلقتها .. طلقتني .

– لماذا طلقت زوجتك ؟.

– رائحتها كريهة .

– مثلك .

– تعودت رائحتي لم أتعود رائحتها .

– لماذا طلقتك غرفتك ؟.

– طردتني صاحبة الدار .. كانت عشيقتي .

– تلك العجوز الشمطاء .

– العجائز أكثر لذة وامتاعا .

– والصبايا .

– لأمتاع النظر فقط .. تجرّدها .. تتحسسها .. تتملاها .

– لماذا طردتك .

– بت مع صبية لم أمسسها .. أردت أن أصنع تمثالا . أخرج عليّ من كمه قطعا مكسرة فرشها على الأرض .. راح يتملاها .

– حسناً فعلت .. حسناً فعلت .. كسرت التمثال لم يعجبني . مضى يلصق القطع ببعضها . . . بعد ساعات استوى التمثال على قدميه مقطّعاً .. منبعجاً.. ناتئاً .. مجزءاً .. متشظراً .

– هذه هي الصبية كما رأيتها .

– تمثال رائع .

– لانجد الجمال إلاّ في انشطار أنفسنا .. في تيهاننا .. في غربتنا .

حرت ..حيرتني الثياب ..ثياب المدينة الغريبة التي أسكنها ..تارة تلمس الرصيف حتى اذا أقبرت شبعاً حلقت باجنحة الحواشي فوق ذرى الركب وسرعان مايلج بها خواء الحواصل فتخر ساجدةً إلى الارض لتلتقط فتات البقايا الملقاة في الطريق ..أقول أن اغترابي هنا ليس بالجديد عليّ فقد عانيت من الوحشة وانا في مدينتي اعواماً فان كان اغترابي في البلاد مادياً فان اغتراب النفس أكثر وحشة .

طرده والده .

قال لي علي : لم أفعل شيئاً .. عدت سكران .. خادمتنا دجاجة شهية في فرن .. رائحتها أرهقت خواء معدتي .. أردت أن التهم الدجاجة .

بت تلك الليلة مع مصطبة حديقة .. في الصباح وجدت عملاً في متحف .. أقضي نهاري مع التماثيل .. أراقص في ليلي باخوس .. نسي البواب مرة وجودي .. أغلق باب المتحف .. ذهب إلى زوجته . لم أجد شيئاً اضاجعه غير شجرة عريقة

قديمة قدم الآثار التي يحتويها المتحف .. أخذت سكيناً .. حولت الشجرة إلى فتاة عارية .. ضاجعتها بعينيّ طوال ليلي .

دق جرس التلفون رفعت الغراب الأسود الذي تقرحلمك ..اسقطك على صخرة الواقع .

صوت يأتيك من بعيد ..بعيد بعد حياتك.

– هادي بعد أيام عيد الاضحى ..عليك ان تضحي بقرة

– لاأملك نقوداً ياعمتي

– أنسدتك النقود

– لكن ..لاامك نقوداً ..

– كافر

– أنا أقول الحقيقة

– انت بخيل ..لن تستطيع السير على الصراط دون ضحايا .

للضربة التي جاءتك عبر الأسلاك بصفة في وجهك

(لم لاتضحي هي مادامت تريد ذلك ؟!.)

رفعت ظرفا آخر مزينا بصورة أعرابي

– عبد القادر الجزائري بطل من الأبطال ضحى في سبيل القومية العربية اسقطه الفرنسيون من طائرة .. عباءته البيضاء برشوت رفعه إلى السماء .. جلس إلى مائدة المسيح يتناول العشاء الأول .

ضحكت في داخلك .

(معلم ساذج حشّ رأسك بترهات لم يكن يعلم ان عبد القادر الجزائري اعظم من التضحية واروع من الفداء) التهمت عيناك الحبر .. كل ماحولك ازرق .. انت في غرفة زرقاء ستائرها بنفسجية .

قالت نوال : أحب اللون الأزرق وأنت .

– أحبك .

رسالة من مهدي انا الآن أتلهى ..أبدد وحشتي ..لي خمس صديقات ..ومعلمتان للفرنسية ..أجد في جسديهما إلهام التعلم .

ضحكت في داخلك .. ليلى تسعى وراءك

– هل وصلت رسالة من مهدي .

تشفق عليها ... لا تمهل اشفاقك ... تومض نجمتاها ... تريد اغراءك استاذي نصيحة قلبية لاتدع ليلى تفوتك انها اكثر شبقا من ذئبة هي التي تسعى اليك قبل ان تسعى اليها ..ستائر مسدلة ..غرفة صغيرة..سرير هزهاز وجسدها البض يفترسك تارة وتفترسه بفضاضة ..التواءً وغوصا في الاعماق فقداً لكل شيء غير اللذة ..كل ذلك تحسن ليلى اعطاءه .

– لماذا تسألينني عنه ؟ عقد قرانه وله خمس صديقات

اعطيتها الرسالة .. قرأتها .. ذابت دموعاً .. تلاشت .. أحسست بالذنب .. زال عنك الذنب .. انها فتاة طيبة لتشق طريق الصواب بعيداً عن الخطأ .

طرق الباب طرقات خفيفة ..برز رأس أشيب ..تينة جافة ..يتقدم بخطى انهكها الزمن ..تطلب اليه أن يجلس ..يرتج عليه الأمر ..يعتذر بخجل .

– سيادة الاستاذ الفاضل المبجل الاكرم ..المدير العام لمؤسسة ..المحترم حفظه الله وصانه وعلىّ مقامه وأعطاه الخير والبركات ومايريد .

تضحك في سرك .

(ديباجة عثمانية ..حفظها في الكتاتيب)

تقرأ ..تضحك في سرك ..انه يطلب الاحالة على التقاعد ..(سنين للعمر هدرها مقابل وريقات زرقاء ..يملأ بها جوفه !.

نحيا لاجل ملء البطن ..بتّذر العمر لأجلها ..أيها الشيء المقدس الذي يهزم الانسان).

توقع على الورقة ..تبتعد الخطوات المتعبة ..الشعر المشتعل بزبد الحياة وتفاهتها .

يرن جرس التلفون ..يدق في قلبك صوت أنثى .

– كيف حالك ياأستاذ ؟. من مدة لم نرك .

يرتج عليك : هذه الذئبة .

ـ ألم تعرفني ..انا سهاد . .

اجساد البغايا تتكوم في رأسك .

قالت ماجدة : هذه الفتاة لاتصلح للعمل في المعمل .. انها فاسدة .. هذا كتاب من مدير المحطة يتحدث فيه عن أخلاقيات هذه الفتاة .

تقرأ .. كلمات تتراقص أمام عينيك .. في العربة السياحية .. شاب .. غطاء يقيهما البرد .. يفعل .. تفعل .. بتهيج طالب كان يراقبهما .. يذهب الشاب .. تطلب اليه أن ينزل أمتعتها .. يطلب اليها ....

يدور رأسك .

قالت لك جينا : أنا أحب السمر .

دعتك إلى دارها .. حدث كل شيء بمنتهى البساطة .. أسرتها في الصالة .. تستمتع بالتلفزيون .. جلست قليلا ثم خرجت .

طلبت اليك ذلك دائماً .. فعلت ..

(هذه الذئبة ..لماذا تفعل كل شيء بطريقة مستهجنة ؟!).

ـ انت تكذب على سهاد .. منحل سخيف . هكذا قلت لصديق حدثك عن سقوطها

ـ أراهنك .. مدعو في الغد إلى أكلة أجساد

في الشقة الصغيرة جلست سهاد .. معها فتيات يبدو في وجوههن العهر .. بشت في وجهي . قالت : كنت أريد اصطيادك دائماً .. ها قد وقعت في الفخ .

ـ هل تأتي إلى الشقة اليوم ..لدي صيد ثمين .

(انها تقبض الثمن مقدماً ..تدفع لك بالصيد بعد أن تدفع نفسك لها ..)

ـ مشغول هذا المساء ..

ـ يجب أن تأتي ..صيدثمين ..عذراء جديدة

تحس بالتقزز ..تتمنى لوكنت حجاجاً لتنظف العالم من كل هذا الرياء .

في المعمل لايبين إلاوجهها .. شعرها مغطى باشارب داكن .. ثيابها الزاهية مغطاة بجبة عريضة تصل حد القدمين .. وجهها شاحب خال من المساحيق .

تضرب الجرس ..يدخل (عم ابراهيم) متلعثماً في قدميه تطلب فنجانا من الشاي.

تتصفح الجريدة تقرأ :

رسالة حنين

(قصيدة تافهة ..كلمات مرصوفة لامعنى لها ..)

تدع الصحيفة جانباً ..تمسك صحيفة اخرى .

قصة قصيرة ..صباغ الاحذية .

تقرأ :بنادق ..رشاشات.. بزات عسكرية ..سيارات جيب زرعت على كتف الطريق ..غرست فيه الخوف والكآبة تركت كل شيء مكهرباً قلقاً ارتفعت يد أحد الضباط الصهاينة إلى الاعلى ثم هوت بعصبية نحو الاسفل .

تلتهمك الكلمات ..تطحنك ..تتقيؤك .

قال لك سالم الاسعد : لنجلس قليلا في شارع أبي نواس .

تحدثتما عن كل شيء لم ترغبا الحديث فيه .

قال لك : هل لديك ورقة ؟.

ـ لماذا ؟!.

ـ لاكتب قصة .. جيبي فارغ .. سأنشرها في مجلة .....

ـ هل لديك فكرة ؟.

ـ أبداً .. مافائدة الفكرة ؟! أي قصة عن فلسطين .

قبل أن يبدأ أوصى (صانع الفشافيش) وقبل أن يعود به انهى سالم الاسعد قصته.

طلبت اليه أن تقرأها .

قال : لاتتعب نفسك .. هراء .

بخار الشاي يتصاعد الى انفك ، رسالة وردية ، تقرأ ...

تغرق في الكلمات الهلوكة حبا وشغفاً :

اريد ان ترسل لي عنوان ..انني ضيعت نفسي في بعدي عنه ..فكرت طويلا..

لاأتحمل العيش بدونه ..لأكن خادمة ..أرضا ..حذاء له ..لكنني لاأستطيع الحياة بدون القدم التي تطأني .

(خوخة أتلفها النضج):

سألت مهدياً : هل تحبُ هيام ؟.

– لا .

– أتحب ليلى أذن .. أم ..... ؟.

– لاأحب أية واحدة منهما .. أستمتع بكل فتاة ساعة قربها فقط وإذا ماابتعدت ماتت في قلبي .

– انت شاب طيب .. هيام فتاة طيبة .. ساعدها .. ابتعد عنها .. ستذهب انت إلى الجزائر وتذهب هي إلى الشرق .. في هذا الفراق دواؤها .

– اعدك .

أرجوك ياستاذي ساعدني ..أقدمت على الانتحار ثلاث مرات..ساعدني أرجوك.

جاءت لتوديعك قبل السفر .

قالت : انصحني .

– لاتفكري بمهدي .. انه لايحبك .

– بل يحبني .. قال لي ذلك .

– يخدعك .. لا تأتمنيه .

رشفة الشاي أيقظتك ..باب جابني لغرفتك يفتح ..أول مرة منذ دخولك ..رأس ثعلب يطل منه ..مكر العينين الصفراوين يجمعان ذراتك .

صباح الخير سيدي :

وقفة مرتعشة ..تجاهلته ..تقلب عناوين الصحف ..افلام الاسبوع .. ميرامار فلم ردىء .

فرصة في الألف .

(لم تضيّع الفرصة) .

بنت المليونير مستر كريكو ،ايفا ..

(افلام تافهة).

مدينة الاموات .

(لابد انه يتحدث عن عالمنا):

يدان عجفاوان تدعكان بعضا .. اسنان صفراء اطارها لحم ازرق مسلوق

– هل سمعت ماقاله السيد عبود الأصفر

اغراء الشيطان .

(الشياطين كثرٌ في عصرنا ..اموات وشياطين غيبة)

زوجته تحبه . خانها .. تحبه .. ثانية .. ثالثة .. رابعة تحبه .. تحبه .. تحبه .. تحبه .. حلم انها تخونه .. تتعرى امام دستة من الرجال .. أحس بالغيرة .. حاول قتلها .. هربت .. ذهب إلى الطبيب النفسي ..

قال له الطبيب : شعرت بالملال من حبها .. أردت التجديد .. جسّمه خيالك عدت إلى حالتك الطبيعية .

خرج بالأمس جماعة من المسجد لاستجداء المطر .

– الستُ مريضاً يادكتور .

– جماعة تطالب الرحمة .. تطلب المطر .

– كنتَ مريضاً شفيت الآن .

– وعندما انقشعت الغيوم وسطعت الشمس .. حاصرهم الاطفال.. رموهم بالضحكات .

رذاذ لعابه يسيل على طرفي فمه ..يمسحه بظاهر يده .

– ألم أحدثك عما فعل في المرة السابقة ؟!.

– خرج للاستسقاء .. لايصح ذلك ياأستاذ .. موظف كبير يقرع الطبول والدفوف .. الأطفال يحيطون بهم لاإله إلا الله لا إله إلا الله .. السماء مكللة بالغيوم . مع طول تسبيحهم تذوب الغيوم .. حللها دعاؤهم .. سقطت أشعة الشمس على الرؤوس .. نزّ عرقها .. استوت بطيخات ناضجة .. لم يبطل المطر .. هطلت ضحكات ساخرة .

تدخل عليك السكرتيرة بأوراق عدة ..عليك ان تقرأ ..توقع .
انشرحت أساريرك لها ..ظلال أسىً يسدل على عينيها .
تحب محمد جاسم .. تزوج أرملة غنية .
(عبثاً تريد الريح أن تذرو هموم اللازورد ..فصل الصيف سحابة في إزار ملائكة :: ازّر هابة) :
– ألاتوجد معاملات اخرى .
– لا
– هاتيها رأساً لاأريدها ان تتراكم .
– امرك ياستاذ.
(الصبح اروع مايكون عندما ينشق من بين الدموع ..ثقب الحزن لطيف.. شظره سماوات زرقاء ..تسبح أنجمها في نهر أمل جار ..لن أسلو عينيها المبحرتين في دماء شرايين ..لبلاب ذراعيها يربطني بهذا العالم لايمكن أن أموت .. لايمكن أن أنسى).
– **تزوجها إن كنت تحبها .**
– **لاتناسبني .. لاتحبني .. طفلة صغيرة مربوطة بحبل سراب إلى خزانة حديدية تحب المال .**
أصوات تحيطك ..تغتال النشوة ..تعريك من البهجه :
– استاذ رائحة (طارق زكي) زكمت الانوف.
(القذارة تحيطني ..نتانة ..نتانة طارق زكي .. نتانة علبة السردين)
– حدثتك قبلا انه ..يعني يخرج مع أراذل الناس بالسيارة إلى ضواحي المدينة.. وصل به الأمر ...إلى هذا الحد .
(ياضوء الشمس الهارب من ثقب الباب ..أعد نورك لاغني ..كيف يغني الغارق في اعماق البئر ؟!) .
– جاء اليوم متأخراً خمس دقائق .

دخل طارق زكي مرتجف الساقين .. دمعة حيرى .. ابتسامة خجلى
نظرة غضوب :
– **هددني الأستاذ أحمد عبد الكريم بأن يوقع بي ....**
(الغضب بحر هائج يلفك .. انقذ زورقك ..اهرب إلى شاطىء الأمان) .
– استاذ أحمد أرجوك ان تكف عن مثل هذا الحديث ..واجبنا العمل لاالحديث، مادمت معاوناً عليك ان تعمل .
(لابد ان مارواه طارق زكي صحيح ..لايكف عن الوشاية ..هذا طبعه ..ربما): عيناك تلتهمان الكلمات ..انملاك حبر يطبعان بصماتيهما، شراء ..دفوع ..كمبيالات :: سندات ..شيكات..أسهم...رهون ..حسابات ..تحويل خارجي .. بضائع .. كتب ..سيارات.. رشوان فرحان ..محمد صالح..محمد عبدالله ..احمد فتحي:: عبد عبو .
قال قريبك : أرجوك أن تساعده .. خسارات متتالية في الزراعة .. تهطل الأمطار فوق جميع الأراضي وكأنها غاضبة على أرضه .
يرن جرس التلفون ..ينقر في قلبك ..تسمع طرقا خفيفا على الباب ..يدخل عمك.. شعار قومك ..الكوفية الخالدة ..الثوب الفضفاض يصلك صوت محبب عبر الاسلاك ..صباح الخير حبيبي ..تنهض في وجه عمك ..هكذا تقضي التقاليد.. يتربع على كرسي ..يتوجع الكرسي ..ينحنح عمك ..يبسط قدميه فوق السجاد الفاخر .
– حبيبي أراك لاتجيب
– الله بالخير عمي
تضع سماعة التلفون ..تخرج علبة ذهبية أهداها اليك قلبك :يمتنع عمك عن أخذ سيكارة .
– انا لاأشتهي السيكارة الاّ عندما ألفها بيدي ..تبغ جيد .. موصى من الجبل : أصوات غاضبة تتناثر هناوهناك عبر الأسلاك ..لاتفهم منها شيئاً غير نبرة الغضب::

يتنحنح عمك ..يرسل سعالاً قصيراً ..تعود إلى تلفونك

– لاتغضب خابر في وقت آخر، لدي ضيوف

تجابهبصرخة غضبى فيها كل دلال ..كل غنج حواء المحبوبة

– انقطع المطر هذه السنة ..التلفزيون هو السبب :

عيناك زجاج حانة مدخّنة بالأنفاس ..بالحسرات ..بالشواء ..بسحبان السيكاير المحترقة .

– متى تتزوج ياابني ؟يجب ان تحيي ذكرى والدك .

– سأفعل متى شاء الله .لقد جربت وفشلت .

(لست نادماً إلاّ على امتلاء فمي بكلمات كتمتها لأنني لم أحطم هذه الأصنام بفأسي أن اكون ابراهيم . . .واقول ما اريد) .

قالت نفسك :خسئت ياجبان ..انت بطل سيرك ..

يرن جرس تلفونك ،تسمع صوتا ودوداً عبر الأسلاك .

– صباح الخير استاذ .

– صباح الخير .

– ألم تعرفني ؟!.

– لا.

– نسيتني بهذه السرعة ..لايمكن أن أنسى صوتك .

– جئتك ياابن اخي بمهمة ..انت تعرف اننا من عشيرة ...

– قتل ابن الشيخ ...ابن شيخ من عشيرة ..اثناء لهوه..كانا صديقين ولكن الشيطان..:

– أوجزي ارجوك ماذا تريدين ؟!

– ولما كنا عشيرة علينا ان نجمع دّية القتيل

– انا سلوى اردت ان اسمع صوتك ..أحبك ... مشتاقة اليك.

– يقع عليك عشرون ديناراً :

تسكت للصوت الملحاح :.تبدد انفاسك دخانا .

– اعطني الدراهم الآن أو انتظر للغد :

– آسف ياعمي ليس معي نقود.

يرجك تيار كهربائي ..جرس التلفون.

– هَلَوْ .

– لِماذا غضبت ؟!.

– ننتظر إلى الغد .

– ماذا تريدين ؟.

– ليس معي في الغد ولابعده

– اردت ان اسألك عن صناعة اللعب.

– لاتزعجيني ارجوك

سمعتها تهمس في أذن زميلتها خلال العمل .

– لايرفع بصره عني .. إنه يحبني

ضحكنا

بادرك المدير : – مبروك

– على أي شيء

– على الخطوبة

– خطوبة من ؟!.

– سلوى طبعاً ألم تخطبها .. المصنع كله يعرف ذلك .. سلوى تتلقى التهاني

– قصدك ألاّتشارك عشيرتك دينها

– لسنا في العصر الجاهلي :

خرج غاضباً دون تحية.

عندما استبيحت مدينتك .. عندما رمي الناس في السجون .. قتلوا .. شردوا .. ابيدوا .. كأن البعض يريد الوقيعة بك .. نقلك شباب مسكوا البنادق لاول مرة

إلى المركز العام للشرطة

استجوبوك .

– تبث أفكاراً خطيرة .

– وجودك خطر على المجتمع .

– لست معنا .

– جماعتك خفافيش أعماها نورنا .

لم تجب .. مانفع الكلام ؟!

جاء جارك في الحي القديم نهض الجميع إجلالاً .. أخرجك من التوقيف .. همس في أذنك الاوضاع خطيرة .. اختف شهراً حتى تهدأ الحال

(أنا في عصر اكثر جاهلية ..أشد مانكون فيه الحاجة إلى العشيرة .. كيف أوفق بين افكاري وواقعي ؟! إنني انشطرّ ..أتنزى.. أصلب كل يوم ألف مرة).

تطلب سكرتيرتك.

(صوتها انشودة نشوى).

– لاتدخلي احداً عليّ الآبعد الاستئذان .

– أمرك .

(سأمضي اليك بسري أخاف أن يصحبك المساء.. أخاف الزمان يلفك اغلقي الابواب.. الموت أهون من الحب لذا أتكبد عناء الحياة ..ياحياتي).

تعود إلى رسائلك ..بخار الشاي ينعشك ..

وافقت لجنة القراءة على طبع روايتك ..القسط الاول ....

يسقط شيك بمائة دينار على المكتب.

(مائتا دينار ثمن قلبي ..ماأبخس قلبي ؟!).

كانت سميرة بطلة روايتك ..لكل حب رواية ..مااكثر حبك !ماأكبر قلبك.. هيئة الامم المتحدة.

رسالة أخرى مطبوعة بتاج ..تفتحها بشغف :

(ليس خط جينا).

رسالة من استاذك تلتهم الكلمات ..تعيش الكلام الحلو ..تحفر في الحروف برجاً.. تلبس المداد ثوباً ..تفصلك زرقته عن الواقع ..ترميك موجة في بحر احلام ورؤى إنني مريض ..لعلي لاأشفى ..أريد أن اراك قبل أن أفارق ..لي حديث طويل معك.

(كل كلمة تخطها يدي لحن من فمك ..انني اقطر دماً من دمك .. روحي عشر أصداء من روحك ..فكري كنز قدمته لي عندما أتيتك أحمل صندوقا ممتلئاً بالهواء)

– انت شاب نشط عليك أن تحمل رسالتي من بعدي .. أنت وبعض من تلاميذي

كل الاحمال تضني كتفيك ..شقاء العالم كله في دمعة حيرى من عينيك ..موسيقى الريح تراقص غصون الغابة ..ترنحها تحت الطيور المتعلقة ..المرفرفة بجناحيها .

نداء المجهول يرن ..نداء خارجك ..صباح الخير استاذ

صباح الخير

– انا ليلى اردت ان ...

– تفضلي.

(سأصنع من أجلك ورداً حمراء بعدد القطر في ديمة ..بعدد التراب في الصحراء الكبرى ..بعدد الحصى على ضفتي دجلة ..أناديك واطبق فمي على أسناني خشية الصراخ .. أعلم بمقدمك مع استنشاق عبيرك في الهواء .. من انتشار بخارك الراقص في فنجان الشاي.. من وقع خطاك المتناثر انجماً في سماء حياتي) .

– اردت ان اسألك

– فقط !.

(أيها الهمس المتلجلج في نفسي الكئيبة ..أنا دمّ يقطر من سمّ الألم .. أنا ليل ذبح في سجن النشرة المجهضة ..الكواكب سوداء تتراقص في أجفاني ..اني أسير إثر أرواح هائمة ..أتبعها على صراط السلوك حيث اللاجدوى) .

– طبعاً .

– إطراء لاأستحقه .

– لم تفهمني ..لأنك متشدد .

(انت حقل معشوشب ضيعني ..عرائش شمس خريفية تسلقت أشعتها شعاعاً شعاعاً ..سأغار من أعشاب الحقل ..من أشعة الشمس..لماذا تبعديني وسط أوراقك.:: وسط اشعاعك ؟. لماذا تسرقين لون من تمسينه ؟لماذا ياشمسي.. ياظلي ..شجري:: هوائي ..أرضي ..سمائي).

– هكذا اذن!.

– شكراً.

– اسمعي.

لم تسمع غير الصمت ..أعجبتك دائما بشرتها العسلية..أنفها الاقنى المتعالي .. جبهتها الأبية ..ذقنها المدبب ..تعاليها .. أجوبتها السريعة ..لمحة الذكاء في عينيها. الفتاة التي لم تلمح في عينيها اعجاباً بأحد ..العيون تحيطها سوراً ..تدهس العيون بقدميها ..يسيل ماؤها دون ان تنزحلق او يختل توازنها.

قال علي المقاتل : أنا لا أعجب إلاّ بالعاهرات .

– لماذا ؟.

– لا ألمح في عيونهن نظرة إعجاب برجل . يمارسن معه عملاً وينتهي كل شيء.. قد يصبح صديقاً اما الشهوة فهي عمل ميكانيكي بالنسبة لهن .

– لا أفهمك .

ينقر عصفور الباب تدخل سكرتيرتك قوس قزح يسكن ثوبها ..يبدر قمح يسكن شعرها ..دنّ خمر يسيل من شفتيها ..تضع أمامك أوراق عدة .. تغرد بلبلاً : أشخاصا يريدون مقابلتك ..شريف قيس.. زبالة .

زبالة :

– لينتظر الاخير

(زبالة تمثال القذارة المصنوع بحذاء):

غصّ علي في ضحكة: لم يكن لدى الطالب سكين ينحت بها تمثاله ... دهش الاستاذ من كسله .. وبخّه

– انت لست فنانا .

– لاامتلك سكينا .

نزع الاستاذ حذاءه وراح ينحت التمثال بمقدمة الحذاء .

– ليس للفن آلة .. اصنع تماثيلك القذرة بحذائك إذا اعوزتك الآلة .

رسالة التهديد التي ارسلها مكتوبة بخط زميله تعرفت على الاسلوب.. كلمات متعثرة.. خط متآكل ..أثارك قدومه ..سرقاته لك ..ابتزازه

دقت الساعة الكبيرة سبع دقات .. ضربت أمك الباب.

– ..استيقظ .. ضرب الجرس . لابد أنها بائعة الحليب.

صوت أمك عبر الباب الموصد .. جماعة تطلبك .

يدلف زبالة عبر الباب الخارجي .. أصفر كليمونة مفعوصة.

– أرجو أن تساعد خليل أحمد.

– لايستحق .

تتراقص عينا خليل أحمد عبر الباب غضباً .. يرن بوق صوته رنة تعالٍ

– كان عليك أن تساعدني .. أنت السبب ..لولا ...

– أنا وعدتك بالمساعدة ؟! .

– نعم .

– متى ؟ .

– اخبرني زبالة بذلك وأعطاني ...

تلتفت إلى زبالة مغضباً .. أنا فعلت ذلك ؟!.

يجيبك بتحدٍ نعم فعلت .

– هل جننت .

– المجانين من يحنثون بوعدهم .

يستقر وجه خليل أحمد نجماً في سماء كبريائه .. يبعدك عنه بعد بلوتو.

– أنا لا استجدي دفعت الثمن.

– أتجرأ على مثل هذا القول .

– قبض زبالة الثمن .

تطردهم .. تتصل بالشرطة .. يوقفون .. يقتنع خليل أحمد ببراءتك . يستجدي زبالة عطفك .. تطرده .. تقسم الاتراه .

– صباح الخير

– أهلاً ..تفضلا .. قيس بوجهه الذئبي ..بشاربه التيموري يداري خجله

– جئت اعتذر عما بدر مني.

زارك بصحبة شريف قبل أسبوع .. قدم إليك قصيدة لمسات شاعر يعوزه الصقل .. تهت في دوامة أحاديثه .. حديث يتداخل مع الآخر .. أمتطيت الريح حلقت في اجواء خيالك .. كنت تعد لقصة جديدة .. انتبهت اليه يقول

– سخر نبيل من استاذ .. اهدى نموذجه المنقول إلى ... لعله يحصل على أجر أعلى.

– أسلوب قذر .

انتصب الغضب تمثالا مشهرا سيفه فوق رأسك .

– انا لاأسمح لاحد ان ينعتني بذلك .. أقطع اللسان الذي ....خرج كديك مدحور لايعترف بهزيمته .

– كنت متعباً جداً.

(اختلطت طيبته بالغرور ..تواضعه بالكبرياء ..ذكاؤه بالحمق).

نظرت إلى ساعتك . لم يبق الا سبع دقائق .سألت : هل فهمتم وجهتي النظر الرأسمالية والاشتراكية حول هذه النقطة ؟!

أجابك الصمت .. رفع قيس صوتا راعداً : لم تشرح وجهة النظر الاخرى .

– ألم تتعرف النظريات القديمة لمثل هذا الموضوع .

– صناعة حديثة . لم تعرف في العصور الماضية

قاطعك بغضب : وعى القدماء كل العلوم والفنون مانتقدم منها وما تأخر .

– عليك ان تناقش بأسلوب علمي انت في مختبر المعمل .

احتقن وجهه اسمح لي بالخروج .

– بعد انتهاء الوقت المحدد .

سمعته يلعن .. يصفك بأحط النعوت .. أنت تجيد قراءة الشفاه .. ماتفضحه العيون.

– أرجو المعذرة كنت متعباً جداً.

– لديه مشاكل كثيرة في الدكان الذي يعمل فيه مع اسرته مع قلبه .

ضحك شريف بخبث تعودته منه .

أرجو المعذرة كنت متعباً جداً.

كنت تناقش نظرية صناعة هذا النوع من اللعب .

صاح قيس دون استئذان لاعيب فيها انها صحيحة من كل جوانبها .. صاحب العمل لص حقير يسرق جهد العمال يأخذ منهم أضعاف مايعطيهم .

– قبلت اعتذاره .

أقسمت بينك وبين نفسك الا تتبسط معه .. شاب انفعالي قد يصدر عنه مايسوؤك اكثر.

الصمت وحش عظيم الناب يهرس في لحمك .

أنقذك جرس التلفون ..هلّو ..سميرة ألم تتعرف على صوتي ؟!.

– انني مشغول جدا

– لانهاية لأعمالك ؟

– تنتهي عندما انتهي.

– انتظرك في التاسعة ..سافر ابو زكي ..ذهب أولادي عند خالتهم ..أجزت الخادمة انا في الانتظار.

– بل اللقاء في التاسعة .

– أريد ان اسمعك.

– انني مشغول الآن .

(عيناهما تضحكان ..سمعا صوت العصفورة ..ربما سمعا حديثها).
وضعت السماعة ..تصفحت عيناك الأوراق المنتظرة بصماتك..ثقل الجو بالأنفاس وبالترقب ..وددت لو خرجا .
طردني ابي اليوم ايضا .
– لماذا ؟ ! .
كمبيالة ..قرض ..تسديد ..حساب جاري...تأجير خزينة ..فتح اعتماد .. تحويل خارجي ..رهن ..
– طلب إلى ان اذهب إلى المستشفى واصطحب أمي إلى الدار وامكث بدلها عند اخي المريض .. رفض اخي ذهابها .. أغرق في البكاء .. أشفقت عليه .. عدت دون أمي طردني أبي .
جمد وجه شريف ..ثم اردف
– ارجوك جدلي عملاً لن امكث مع أبي بعد ..ضقت بمعاملته .. جردني من ملابسي ..كتبي ..ساترك المصنع او اعمل في مخبز .. في البناء في اي عمل أكل منه خبزي .
– لن تفعل .
– لماذا طردك ؟
طلب الي ان اذهب إلى مشتري ذراع أخي أطالبهم زيادة الثمن بعد ان اتفق معهم على الثمن .. شرب ذراع أخي خمراً .. صرخات أخي المتألمة.. دمه المسفوح من ذراعه المقطوعة .. عفن جرحه : قطرات في كأسه .
أجهش في البكاء .. اهتز كسعفه في مهب الريح .
– يتهمني بأني أهملت العناية باخي فدهسته السيارة .
لم اكن وقتها معه .. كل خطأ يرتكب في الدار أناسبه . مصدر الشر الوحيد بالنسبة اليه .
ذهبت إلى والده في المساء .. استقبلك بوجه طيب ولسان حلو .

– ارجوك جدلي عملا ..لااحتمل العيش معه بعد.
شكى لك والد شريف أحزانه .
يعتدي على أخوته ، يتطاول على أمه، لايصدقني القول ، يسهر أياماً خارج الدار ، أعطه المال لشراء الحاجيات فيأخذه لنفسه ، سحرت له عمته لتزوجه ابنتها .
تحدثت إلى شريف بكل ذلك .. ضحك بكاءاً
– لم أعد أحتمل ..أرجوك جد لي عملاً.
يحدثك الحقيقة التي تحزنك ..زهرات شذّية تتعفن في تربة غير صالحة للازهار تحاول ان تجد له عملاً. يرفض الاب . يهدد
– ارجوك جد لي عملاً .
– لا أسمح لابني بالعمل في غير هذا المكان عليه أن ينهي ممارسته في المصنع ،أحملك الوزر
– أرجوك جدلي عملاً .
يضرب جرس التلفون ..ينقر الباب نقرات عصفور
يلتقط البذور حبة حبة.. ترفع السماعة ..تدخل سكرتيرتك
– أمشغول الآن .
زبالة يستأذنك بالدخول.
لاتجيب.
– هل أنت غاضب مني ؟
– أرجوك جدلي عملا.. لاأحتمل العيش معه.
– هل آأخذ الاوراق ؟.
تجيب موافقاً برأسك .
– قلت لك انني مشغول.
– ارجو ان تقبل اعتذاري.
– اردت ان اسمع صوتك ..اصطحب معك زجاجة ويسكي.
– زبالة يستأذنك الدخول.
– دعيه ينتظر.
– تتيه في دوامة الاصوات..النظرات ..الأيدي ..العيون ..الشفاه.
يعج النادي بالشباب .. بالطيف الشمسي.. بالاشعاعات الخريفية.. بخمائل الليل...

تجلس إلى مائدة صديق .. يعرفك بصديقه تعرفك زوجته بزوجته .. تتشبث في عينيك .. تأوي إلى عينيها .

– هل صحيح أنك مطلق ؟

– نعم . اني مطلق .

– كيف قاومت .

– لم أهاجم .

في غفلة من العيون دستّ في جيبك ورقة .. دستّ في كفك حنانها .. احتضنت وجهك في عينيها .. بعد عودتك إلى الدار تبينت في الورقة رقم تلفونها .. ترددت قبل أن تقدم.. تلاشى ترددك بعد إقدامها .. بدأت غزوة جديدة .. لم تنته بعد ..

– اطلب المعذرة.

– ارجو ان تجد لي عملا.

هرايتك جمع الاشياء التي تحبها ..

أسميت لعبتك ليلى .. جلست على عتبة الدار .. أنت وليلى وفتحي .. تعنون بليلى اللعبة .. مللت اللعبة .. .. مزقتها .. ..رميتها أرضاً ..عندما سألتك جدتك عن السبب صحت أنا لاأريد ليلى واحدة .. أريد عشراً مثل ليلى.

وذهبت مثلا .

– اطلب المعذرة.

– ارجو ان تجد لي عملاً .

قال لك صديق : أنت أناني متملك لاتعرف معنى التضحية ..

دخل زبالة ..أخذ يدك.. جلس على طرف الكرسي الوثير.

– هل أنت بحاجة إلى شيء .

– جئت أسألك الغفران انني احبك ..أنت أشفق عليّ من أخ وأب.

(انا فرخة صغيرة نابتة الرغب .. أنياب الثعلب تجرحني تفتح في جلدي ينابيع من دم).

الدخان الأزرق يغلفك.. رائحة الشعر المحروق .. قرع الدفوف.. خرخشة الحلقات الحديدية .. اللحى المنسوجة بالاوساخ قماشاً رديئاً .. العيون الحالمة .. القدود المتمايلة.. النظرات الصخرية .. أحاطها الباز قطع رخام لاترى .

وجهه الفتي ينافر وجوه المومياء .

تتعالى الاصوات : الله حي الله هو حي قيوم حي قيوم .

يشتد قرع الدفوف .. تمايل القدود.. حركات الرؤوس الدائرية..النظرات الصخرية.. تصرخ الحلقات الحديدية بشراسة .. تسطع الانوار .. يستل سيد شعلان مدية.. يأمر زبالة أن يتعرى... تغوص المدية في البطن يبرز نصلها من الظهر ..تنبثق الدماء.. يتهادى زبالة في الغرفة دون وعي ، لاوعي لدى الجميع ..يطلب إليّ سيد شعلان سحب المدية .. الفعل دون وعي.

– هل صدّقت؟ .

يسكب زبالة عينيه في عينيك يجلس إلى سمكة سردين في علبة السردين .. تنبعث روائح نتنة .. يتحسس زبالة جرحه يتقلص وجهه ألماً .. يتسرب الشك في نفسك .. يحس سيد شعلا بما يدور .

– انها المرة الاولى التي يتشرف فيها بالضرب .. يبتسم زبالة ببلاهة .

– يبتسم زبالة ببلاهة.

– لقد أخطأت كثيراً في حقك أغفر لي خطأي

– انت في طريق غير طريقي.

– لاأستطيع بعداً عنك وجدت فيك ماافتقدته في جميع الناس.

القمر يسطع في جبينك .. الشارع نهر زاخر بامواج النجوم تتوسد موجة تسير فوق بساط الأنجم ..خطوات لاهفة تتبعك ... صوت حنون يصافحك

– الساعة الواحدة وتسير وحدك في شارع مقفر.

– أحب السير.

– الناس غدّارون .

– لا أعداء لي .

– تسمح لي بالسير معك.

لم يتلق جواباً .. خطواته الوطيدة كانت جواب سؤاله .

– كنت طائشاً ..محتاجاً ..لاأدري ..مجنوناً.. أخطأت.. أخطأت .

في كفه دفء من كفك ... في عينيه حنان من عينيك ... في ابتسامته عذوبة من ابتسامتك ... وكانت البداية .

تحس براز الثعلب في أنفك ..حرباء تتلون بلون الوّد ..وددت لو صفعته .

– غفرت لك .. اسمح لي أعمالي كثيرة.

غسلت يدك من يده بعد أن نظفت قلبك من كل ودّ له.

الصمت بحر زاخر بألف موجة .. سكنت موجة ، لاتسمع غير صوت القلم يداعب الأوراق امامك ..

الفصل الرابع

الساعة الثانية عشرة ظهرا

(٤)

أطبق عقربا الساعة التي امامك .. تأخرت عن التفتيش هذا اليوم ..طلبت معاونك.. السكرتيرة.. بدأت بالاستعلامات ..الكل يعمل والساعة تدق دقاتها الاثنتي عشرة (لابد انهم علموا بقدومي لوكان جميع الموظفين بهذا الجد لصلح الجهاز الاداري).

يستقبلك وجه منتفخ يزن خمسة ارطال من اللحم والشحم .

– أنا لايكفيني في وجبة الغداء مايكفي الناس العاديين .. كل هذا بالمال .. كرشي يساوي عشرات الدنانير .

يضحك ببلاهة .

– يحدثك معاونك : أكل مرة دجاجتين وماعونين كبيرين من الرز مثلهما من المرق وآخر من التشريب .

– ارجوك لا أفكر في فتح مطعم .. لا لاذ معاونك بالصمت ثم غادر الغرفة .

مسكت يد ممتلئة بالقلم ..قطعة سميكة من القشطة ..العينان تنظران اليك فينة بعد فينة في طرف مطلي بالزبدة.

الغرفة أذرع عطوفة حنونة .حنان المدفأة.. عناق أبخرة الشاي .. عيون ودودة يحتضن بعضها.. ذكريات تزرع في القلب. الدفء

مضى عمك في حديثه: ثم عدنا أناوأبوك .... الليلة قارسة البرد..أعراب لانعرفهم.. يتجمعون هنا وهناك..زادنا الجوع برداً..عزمت على قرار عندما غفا والدك وأخمدت النار.. سعيت على يدي قرب مضرب للاعراب .. أكمت فم حمل صغير .. عدت أدراجي بعد نصف ساعة انبعثت رائحة اللحم المشوي..تلمض والدك في حلمه.. أسكرت رائحة الشواء معدته الجائعة في الصباح استغرب والدك من وجود عظام. قلت ضاحكاً : كان هذا المكان مضرباً للاعراب .

– لم توقظ والدي ليشاركك وليمتك ؟!
– خشيت أن يذهب إلى الاعراب ويقدمهم عنه .
صاحت جدتي : أنت نهم .. خشيت أن يشاركك طعامك
انبعثت ضحكته المجلجلة المخنوقة في نهايتها بسعال جاف منقطع .
– هل الأمور تسير على مايرام .
– نعم .
همس رئيس الشعبة في أذنك :
– انه بطيء لاينجز العمل في وقته .
– قدّم التبريرات بذلك.
قال لك أبوه : أرجوك أن تساعده .
– أهان رئيس شعبته ..شتمه.. رماه بأفذع كلام .
– استفزه .
– طلب اليه أن يعود بعد الظهر لاتمام المعاملات.
– أمره .
– أليس رئيساً مباشراً له في مقدوره أن يفعل .
– عدّ (بشير) ذلك اهانة كبيرة .
– انه موظف قبل كل شيء.
– صحيح لقد أفسد الدلال ولدي (بشير) أغدقت عليه المال أثناء دراسته كل مايريده يعطاه .
– انني اخشى ..أنت تعرف....
– قدم تقريرك لاتخشى شيئاً.
وقف أمامك بتراخ.. تمثالا للكسل.. رأيت في عينيه نيروناً يحرق روما على نغمات القيثار .. يترنم بأبيات رديئة .
– لماذا أهنت رئيسك ؟.

– تشدد في القول .
– انه رئيسك .
– نحن في عصر الاحرار .
– منطق غريب .. ليست الحرية فوضى بل عمل .. تفضل . اهتزازات مشية متعالية .. متراخية .. كل شلو في جسمه يتحرك في مجاله .. انبعاج .. غنج مترهل .
يدق الجرس الذي لايعرف الصمت .. صوت يصلك بعالم بعيد عنك .
– صوتك مازال محتفظاً برنينه .
– من ؟ حسون ؟ تصلني أخبارك الطيبة .
– شكرا أريد أن تساعد قريبي (بشير) .. رئيسه رجل غير مؤدب لاأستطيع الاطالة .. عمل مهم عليّ انجازه .. وداعاً.
(في يده كل مافي يد الله من وجود وعدم .. يأمرك عاقب المخذول وانصر المتجبر.. وصل حسون إلى مالم يصله أمثاله .. إلى مالن تصله ماحييت.. أنت لاتحسن الطيران .. الوصول زحفاً يعني استمرارية الزحف من غير وصول).
شعبة الحسابات .. لافتة شفافة تطالعك .. رؤوس مزروعة في شيكات وكمبيالات .. نقود ورقية .. دفاتر حسابات .
(جبهتها لاتحمل الظل .. ظلي يكلكل على الجميع .. أنا أمزق الظل الذي لايشغل القلوب عملاً .. وجهها دمعة كبيرة تأبى السقوط .. خبئي الدمعة للعيد فلن نبكي إلاّ عندما يفرح الآخرون .. نسمي الموت عرساً .. ترقص له نساؤنا رقصة ايقاعية وتزغرد في صوت مبحوح) .
تحس في قلبها أنك تنظر اليها .. ترفع دمعتها .. وجهها دمعة كبيرة .. ثكلى تأبى السقوط .
سعفة في مهب الريح.. نشيج اعصاري لايدعها تتكلم.. مطرها يغسل كل إثم ارتكبه الوجه في قبلة .. نظرة .. بسمة .. كلمة
– توفي والدي : اسمح لي باجازة ثلاثة أيام .
توقع الورقة أمامك تخرج مترنحة .

– كيف يسير العمل .

– بصورة جيدة .

طرق الباب بتردد

برز رأس فراشك عبدالله .. تريد مقابلتك .

عانق الباب الجوزي الأنيق الحائط الاخضر لمعت في عينيك رقعة صغيرة سوداءنقش عليها بحروف بيضاء بارزة مساعد المدير رأسها يتعثر بين رجليها .. كرة قدم سوداء بيضاء مشربة بصفرة قدمت عيبنها لك .. كرتين من دموع .

– اريد سحب أوراقي .

– لماذا ؟!.

– لااستطيع البقاء .

– قطعت نصف الشوط .

– أريد أن اعمل .

– اعملي في الصباح .

– لم أجد عملاً صباحياً.. سأعمل خادمة .

– خادمة ؟! .

– مضطرة .. أصيب والدي بالشلل.. اخوتي صغار لامفر من ....

– تعملين خادمة ؟!

– رفضت طلبها وعدتها أن تجد لها عملا.. أضحت فراشة في مؤسستك لأول مرة في يومك هذا أحسست بالأمل بالخير الذي يمكنه أن ينتصر دائماً : قال علي المقاتل : الخير تتلمسه في قلوب الناس المسحوقين وحدهم يعرفون الخير لأنهم تلوعوا بمرارة الشر .

– أنا أعرف ما تعني .. عاهراتك .. فلسفة شوهاء .

– ايها الشاله لم يُبق منك امتلاء البطن غير كرش كبير ورأس يصلح اكلة (باجة) .. درست الفن على حساب عاهرة .. توطدت صداقتي معها .. كلما

زرتها منحتني كل شيء بالمجان .. المأوى .. الطعام .. الشراب .. الجسد .. اردت ان أرد اليها الجميل .. لم أكن املك مالاً .. مكثت عندها شهراً .. رسمت عدة لوحات .. كانت الدار العاجة بالخير واللذة موضوع لوحاتي .. رأت كل ذلك اعجبت به .. سعادة طاغية حملتني على أجنحتها .. أحببت المرأة .. أول امرأة تقف إلى جانبي تساعدني .. عرضت عليها الزواج .

ضحكت قالت باخلاص : أنت لاتصلح سمساراً .. أنت فنان وانا اعيش على فضلات جسدي .

من هذا الحديث استوحيت موضوع تمثالي (الفضيلة) .. عندما عرض في روما حاز جائزة كبيرة .

قالت لي ذات مرة : يجب أن تدرس الفن في الخارج .. الدراسة فيها أفضل : ضحكت . أنا لاأجد اللقمة .

بعد أسبوع كانت قد جهزت كل شيء .. سلمتني جواز السفر .. النقود .. حقيبة مليئة بالملابس .

– اذهب حيث تريد .. ارسل اليّ بكل طلباتك .

عندما عدت .. أردت أن أعيد اليها ما أنفقته عليّ قالت : لست مدينا لي بشيء أنت دائن لي بالسعادة التي أدخلتها على نفسي. بينما اقام عليّ والدي الذي طردني متهماً إياي بمغازلة الخادمة دعوى النفقة .

تطرق سمعك ضحكة مكبوتة .. تنظر الي شعبة .... يطالعك وجه مختنق .. وجه قريبك (شكري) لم تدع فيه البثور بقعة لم تستكن فيها وتزهر لونا بنفسجيا غير محبب .

تكتم غيظك .

(أبي مات عند المساء .. وأمي تقاتل مثل أبي في المساء الزوايا .. وتنزع شالاً وتلبس مثل العرايا خيالا) .

همس زميله في أذنه .. شحب وجهه قليلاً .. نظر اليك .. غرس وجهه في الأوراق التي أمامه .

كان يحلم بثروة كبيرة .. حل يوم الميعاد مات أبوه .. لم يجد الميعاد .. خزانة فارغة رصيد ضئيل في مصرف .

كنت في طريقك إلى عملك في المساء عندما علمت بموت قريبك بالسكتة القلبية مودة العصر .. الموت في عصرنا يخضع للمودة — كالأحذية .. الأطعمة .. الملابس . الجسد مسجى .. موسيقى الجشع تتعالى .

— لم نجد الوصية .

— قال لي بانه ترك وصية

— اعطني مفتاح الخزانة الحديدية .

— لن اسلمه لك .. نسلمه لهادي .. يقوم معكم بفتحها .

حاولت ان تسكت غرائز التملك إلى حين قبر غرائز انسان فقدت فيه الغرائز.. لم تفلح .

— العمل أفضل من همس الحديث .

— عفواً .. نكتة عابرة .

— ادخرها بعد انتهاء العمل .

اكفهر وجه قريبك .. عيناه قطعتا جليد .

اكفهر عندما فتحت الخزانة الحديدية .. خزانة خاوية .. ورقة صغيرة رقدت في أحد أدراجها .. سطر عليها بخط انيق ..

رصيد في مصرف .... ٣٠٠ دينار

مدين ل .... ٥٠٠ دينار

مدين ل .... ١٥٠ دينار

مدين ل .... ٧٠٠ دينار

أجهش في البكاء لأول مرة منذ رأي والده يموت بين يديه .

حاولت ان تخفف عنه .. زفزاته غمغمات غير مفهومة :

— قال لي إنه يملك مائة الف دينار .. أراض .. عمارات .. لن أستطيع

الزواج من ابنة (علي أنما) .. لن استطيع شراء سيارة بيجو .. لن استطيع الحصول على قصر بناصبني .

أضاع حياتي .. دمرني .. دمرني :

حزن المعزون لحزن شكري :

— ولد بار بأبيه .

رددت أندية المدينة .. لم نر ولداً حزن لفقد والده كما حزن شكري بن أحمد افندي الشيمي .

ابتسمت عيناها .. طار منهما سرب من العصافير .. ارتعشت ولهى كغدير مزق صفحته حجر صغير كرعشة القمر على حفاف الحوض حيث تنسج السمكة حلماً ذهبياً .

اية فرحة غمرتها عند رؤيتك .. فرحة طفولية .. الفرحة التي يحسها دوار الشمس عند انبلاج الفجر .. عندما يرى على جذع الليل تفتح دوار الشمس الذهبي .. دوار شمس السماء .

— صباح الخير آنسة (رغبة) .. هل تسير الأمور على مايرام ؟.

— تماماً .

قالت لك أملك : اختف في الغرفة فاذا ما جئن الظر إلى البيضاء القصيرة .. آية في الجمال .. تصلح لك زوجة ..

عندما دخلن كنت في غرفة تشرف على لمدخل .. عباءات سوداء .. وجوه فقدت خصائصها تحت الطلاء .. تتقدم رغبة القطيع .. تتدحرج تدحرج الحباب .. كرة ثلجية ملفوفة بعباءة سوداء تحسن لفّها حول جسدها ودفعها عنه .. كل حركة تقوم بها دعوة جديدة لرجل جديد .. كانت تعرف أنك تراقبها .. عرضت كل ما تملك المرأة عرضه .. جارية عارية دربها نخاس ماهر في سوق خاص للنخاسة .. ابتسمت عن أسنان حصان عن فم امتلأ حتى حافاته بالشهوة .. دخلت أملك جذلة : هل أعجبتك ؟ .

غرقت في بحر افكارك .. تنضد الكلمات .. سهم في قلبك يدميه ...

– قل لا أريد الزواج .

صفعت الباب وراءها .

– أعددت اليوم حفلة صغيرة .. أرجو أن تحضرها ؟

– أنا على موعد .

– مواعيدك كثيرة .

– مواعيد عمل .

(تبحث في كل مكان عن ظل مستعار .. أنت منفي عن الجدران والأرض الموطأة من جميع الأقدام .. أنت رمز متجول لإنسان الزمن الذي لايؤمن بالزمن).

كنتما صديقين .. أصبحتما لدودين قبل أن تفيقا .. المحظور مباح .. خير الأمور أكثرها شراً .

لقيتها في شارع سليمان باشا .. زهور من كل الألوان .. نسيمات عطرة .. أنوار ساطعة .. عربات فارهة .

– مساء الخير .. صدفة جميلة .. كنت أحسّ بالوحشة.

عندما تملّت وجهها في زجاج عينيك المضيئتين .

قالت باستغراب : هل نسيتني ؟ ! انا (رغبة خليل) .

عاودك شجو الاغنيات .. تذكرت رموزا باللازورد تلوح على جدران الحياة لايحمل السّر منها أحدا .

(أين تبدأ الذاكرة .. متى تنشطر العقارب في الساعات تكنس أمامها الثواني ؟! ليلحق الماضي بحواله ...).

كنت كطفل فوجيء بأحلامه .. نظرات عينيك مهزومة من قدر لم تقدره .. خطوات الزمن تهز الصمت فوق أحلامك .

سرتما معاً .. جلستما في (الشاي الهندي) ظل الشمعة يستطيل .. شعاع عينيها سلم محكم الدرجات .. دعتك للصعود ظلال منفرة حول العينين منعتك من

الاستلقاء بأمان .. غراب نعق في قلبك .. تهت في حلمك .. جذبت سلم عينيك .. ارتقته بسرعة واستقرت فيهما.

– ستّرتاح جداً في الحفلة .

– فرصة خاسرة .

عندما أردت أن تغلق عينيك على الحلم الذي صلب في قلبك .. أبت الخروج .. أبت السير في غير عينيك.

– لدينا متسع من الوقت .. أدعوك إلى الأوبرج.

الأفق تعبده عيون الليل .. يرقص في اعماقك حزن مملّح .. حلم العصاة يتلوى . في السلاسل ..

(لتنسى ظمأ القلب مادمنا في نشوة الخداع .. مادام الجحيم يتنزى على الظهر لاني القاع ..) .

– ستخسر حفلة طيبة .

طارت أسراب الحمام .. تنشر أجنحتها .. تغطي سواد الليل .. تقدم بشائر الحياة من جديد .. تفرغ الغربان..تنكمش في أجنحتها السوداء .. يرتفع الهديل. تطلب اليها العودة بعينين لا يقويان على حمل أحد .

– القمر رائع في عظمة الاهرامات.

يهمس عم ابراهيم في أذنك : زائر ينتظرك

– لينتظر حتى انتهي من التفتيش .

– عيناها بطاقة دعوى مفتوحة : تفضل متى شئت ... تجد ما يسرك ؟

قال صديقك : ما قصة رغبة خليل .. يقال أنها مدخة بحبك

– نشرة إخبارية جديدة.

– سمعت أنها تركت خطيبا مدخاً من أجلك.

– تركت مطيةً ملّتها.

– استبدلتها بمطية جديدة.

– أنا لا أمتطى.

وزعت عينيك في كل الأركان .. تقدم منك شاب مؤدب .. قدم اليك نفسه:

– مراسل صحيفة الفداء .

لم يأت من أجل المؤسسة .. العمل .. العمال ..

– أريد حديثاً معك في شأن روايتك الأخيرة .

قدمتها إلى مؤسسة للنشر طالباً نشرها :

– عد بعد شهر

زرت صديقاً لك في يده يسير قدر النشر .. لم يهتم بك كثيراً كما كان يفعل قبل أن يعتلي كرسيه الوثير ذي الأرجل الطويلة .. نظر اليك من علٍ لم تحدثه عن روايتك .

بعد شهر تسلمت الرواية كتب عليها بخط أحمر غير صالحة للنشر.

أخذها صديق إلى الخارج .. بعد شهر تسلمت منه برقية تهنئة .. بعد شهرين قرأت عنها أكثر من خبر وأكثر من صحيفة.

– أنا لا أتحدث عما أكتب .

جاءك صوته من بعيد .. صوت بعيد عنك عمر نسر.

– ما هذا الهراء الذي كتبته أتسمى هذا أدباً ؟ .. فضحتنا .. المدينة تتحدث عن السقوط الذي دعوت اليه في كتابك .. أنت لست منا .. قررنا ان نتبرأ منك .

صفع صوت السماعة أذنيك .. سكت الصوت ضحكت بمرارة.

(لأقطع جذوري .. لن أنخر ذاتي .. التربة السبخة لن تميت خضرتي) .

الساعة الثانية بعد الظهر

(٥)

– السؤال الأول بمن تأثرت من الكتاب . ساعة غرفتك تعلن الثانية موعد انتهاء العمل .

– لم أتأثر بأشخاص بل بالأعمال العظيمة .

صوت سيارة فارهة ينبعث قرب الباب.. رؤوس تصلح لمتحف أزياء .. عقال .. خوذة .. بيرية .. قبلغ.. شعر أسود .. صلعة مرآة.. أحذية بكل الالوان .. وقع أقدام ذكرك بفيلم عن مقتل لومبا .. وضعوك في سجن أفكارهم .. نقطة صفر في لون سديمي .. اختلطت الأصوات.. قصصك داعرة...افكارك شوهاء.. اراؤك خطرة ..منهجك ديكارتي.. حياتك فوضى.. مخك طين..وجودك عدم.. كتابات سقيمة.. نبته غير صالحة .. محافظة .. تقاليد .. عادات .. صلاة .. صوم حج .. زكاة ..ايمان .. تدين .. فاطر رمضان .. تارك الصلاة .

– ألم تقرأ روايات من قبل ؟

– قرأت الحياة في الكتب والكتب في الحياة .

– هل تأثرت بلورنس أو جويس أو فوكنر ؟

– بالإنسان .

(الملل سحن معتم .. أسئلة تجمع فيها قهر المستبدين .. ذبابة محاصرة بحوجة تطن في أذنيك) .

لاتقيم وزنا للتقاليد .. ضائع .. عبثي .. عدمي .....

– السؤال الثاني : .....

سرت في علبة سردين تزاحمك السرادين.. .. جحيم السرادين يلقيك في نار لاهبة.. كواسج تهمة انطلقت من اسارشص علقها.. من تبين الخيط الاسود من الأبيض حتى سقوط الشمس في هاوية مساء .. أسنان دقيقة تطحن كل ماتصادف أمامها

عيون جائعة تلتهم الأفخاذ.. النهود السواعد العارية.. العجيزات المنبعجة .. أيد شبقة الى اللمس ... جلد ناعم أملس .. ابيض..أسمر أسود..سهول ... منحدرات هضاب .. مرتفعات ... وهاد .. خلجان .. مضايق .. جبال.. يسّعرها التمني .
تمتطي الأنامل حصان الشهوة... تطوف سهول الصدر.. تمر في غابات تترك أرجلها بقعاً حمراء .. قذى أسود مفتولا .
سردينة شبقة تثيرها غابات الصدر.. رائحة التيس.. تتحسس نهدها بقوة .. تتأوه .
– السؤال الثالث : .....
صوت قارىء ينغم قصصاً عن يوسف .. أيوب .. داؤد .. سليمان .
أفيون الشرق ينبعث من مذياع .. (خذني لحنانك خذني عن الوجود وابعدني)
تماثيل تتمايل عند منعطف زقاق على حلم سديمي الله حي .. الله هو
تبدأالحركةبطئية.. تشتد وتشتد.. تصخبرقصة صاخبة في حانةمن حانات سوهو.
– السؤال الرابع : .....
بوق يدعو للعمل .. .. أصوات خائفة.. تتسرى هنا هناك .. عيون السردين تلاحقك أسنانها تنتظرك ..تهرب من جحيم الحياة.. تعبر الصراط .. تمنع نفسك من السقوط إلى مقصورة . . قرأت عنها في كتاب انيق ..
ضربت الجرس .. استقبلك حارس الجنة بعد انتظار بضحكته الخجلة .
رنّ جرس في قلبك .. عصفور تدميه مخالب الباز ليسقط في عش أليفه أثر اهتزاز أجنحة الباز .
– نسيت أن أخبرك ، بحاجة إلى دجاجة مشوية .
– لن أنسى .
– لاتتأخر أكثر من التاسعة سأنتظرك .
(صوت سميرة قدر أعمى يقودك على صراط دونه جحيم وزمهرير).
– لن أنسى .
– لديك أحد.

– كالعادة .
– لاداعي تريد أن تراك .
– تراني ؟ !
– قرأت مقالك في مجلة .. أعجبت بك .
– كيف جمعت بين الأقتصاد والفن .
زهرة تفتحت قبل أوانها وطأة صاروخ أرضي .
– أنا معجبة بكتاباتك..شكلك مثير .. هل أنت ؟ أنت.. انت لم تسمع غير أنت.
أردفت على عجل أريدك هل تريدني ؟.
لاحظت ترددك .. هل انت صائم ؟
ضحك سالم .. عقب قائلاً : يعد الصوم حاجة اقتصادية .
– ليتي أحظى بك.. أريد ولداً منك .. أقسم لك .. لن اسمح لأي رجل أن يطأني .. أريده بشكلك المثير بذكائك .. إفعل هذه الحسنة من أجله .
ضحك سالم لانلحي لن يفعل انه قديس لم أعهده يتعاطى منكراً ابداً .. انه يحب..
يحب كل شيء في الحياة لايريد تدينس الحياة .
صوت صباغ الأحذية عادل يسأل عم ابراهيم :: وينه عادل ؟.
– راح عادل
يضحك عادل جذلاً .. راح عادل .. راح .. راح .
– لاتناقض بينهما .
– هل أفادتك دراساتك العديدة في مجال الفنون ؟
– انا الاخرى لست مدنسة أفعل ذلك لأعيش زوجي مرتبه لايكفي لاطعام نفسه أفعل كل هذا من أجله .. من أجل اولادي لست مدنسة أقسم لك أني شريفة .. أتهجد .. أطلب الغفران .. لحاجتي.. قلب الله كبير.. يعرف اني أضحي في سبيل من أحب .. أليس الله هو الحب ؟ لولا حبه لنا لما دعانا لوليمة المحبة اللذيذة ..
نظرت إلى المخلوق المعذب بإشفاق.

– طبعاً .

تزرع وجهك في الأوراق التي أمامك .. أصابعك سنابل خير معطاء .. قلمك ديمة سكوب تنقش اثارها أنى سقطت .

ترفع الغراب الذي نقر قلبك .. هَلَوْ ... نعم ... أنا

– .....

– انتظري ياعمّي حتى أكتب ماتريدين .

قبل أن تبدأ الكتابة يكف الصوت اللجوج .

عندما يئست منك استرت باكية واساها سالم قائلا : دعيني أحل محله .

– لن افعل ذلك .

– ولكن كنت .....

– أنت جزء من عملي ... هو شي آخر.

أعطاها سالم هدية .. رفضتها .

آخذها في المساء ثمن العمل الذي أقوم به .

نظرت إليك بانكسار .. لن أقرأ ماتكتب .. تكتب غير ماتفعل .

علقت في الرغبة .. يشويك نار المبدأ .. طبخت في حرقة الافكار ..

أقصيت مخذولا امام كلمة حقيقية لم تسمعها كثيراً .

– سمعنا أنك ستنشر رواية جديدة .

وقفت سيارة فارهة لدى الباب .. سائق برجوازي يقرع الجرس .. صوت بلبل يتردد في ارجاء الممر .. مددت كفّاك .. وجه فيه بقايا حياة .. صلعة كبيرة تملأ السيارة ثوب مفروش على المقعد .. لحية مصبوغة .. .. تخفي الف شيطان .. ألف شهوة يهوذا يطل برأسه من اديمها الضخم

– الشيخ غضبان الجاسم .

(يحكم المدينة بصلعته .. يصلب من لايرضى عنه بخزامه العريض اللماع المصنوع من قماش حريري .. هل جاء ليصليك ؟) .

فتحت بقايا الحياة باب السيارة الفارهة .. تدحرجت قبضة تفعس من يعارضها .. عين حمراء .. شفة دلّتها الشهوة .. انف أطاله التشمم في أثر الدسم .. وجه بعجه طعام الرياء .. أسنان ثلمتها اللذة .. نسي سنن الخلق .. صرخ في وجهك .. قصصك داعرة :

– سلم اولاً .

– السلام للمؤمنين .

– هل قرأت ماكتبت .

– استغفر الله .

– كيف عرفت إذن نوايا ماكتب.

– الألسن تطحن ماكتبت .. الأفواه تقيء ماوضعت في البطون ..

– لن أناقشك الاّ بعد أن تقرأ كتابي .

– ستحرق مع كتابك في ساحة عامة .

– اننا في القرن العشرين لاوجود لمحاكم التفتيش .

– سترى الاّ اذا ارعويت وتوقفت عن الكتابة .

وقفت جان دارك أمام جلاديها بصلابة .. وقف كوكان يدافع عن لوحته العارية وقفت انت امام جلادك .. نارك عينان حمراوان .. دخانك نفس لاهب يتصاعد من منخري المتسلط .. مقصلتك أسنان اصطناعية رصفت في فمه بعناية .. عندما سقط نصل المقصلة ليقطع رأسك سحبت طقم الاسنان من الفم .. عجّ المتفرجون بالضحك .. توقف الدخان .. الحجر يلتمع بقسوة .. انه حجر فسفوري لن يؤذيك ابدا .

– سأستمر في الكتابة ولن اتوقف لأني لاأخاف الحقيقة .

– وافقت على نشرها دار ...

تحس بضيق ، يخنقك هذا الصوت الملحاح يقطر في داخلك ضيقاً وحصراً .

عزرا ئيل يقبض صدرك بقوة .. كابوس مرعب يجثم فوق صدرك .. لاترى غير

وجه منبعج من كثرة الطعام .. عينين صرصارين .. بالوعة تبعث روائح كريهة .
رأس يذكرك بنظرية لمبروزو .. الفيتامينات .. ابن سينا .. الطب عند اليونان ..
المعالجة السريرية .. السكاير .. النيكوتين .. المنفلوطي .. وحي القلم .. سيارة كدلك ..
حصوة الكلية .. أكلة قوزى .. ابن خلدون .. طاوة باذنجان .. الكندي .. مكتبة
أكلتها الجرذ ... أوراق اصفرت لقدمها .. لقاء تلفزيوني .. اكتشاف جديد لمرض السل ..
وأنت مذنب صغير تدور تائهاً بين الأجرام السماوية تتمنى لو تلمس الأرض لتفجرها
وتتخلص من ثرثرة جليسك .
يسألك ... رأيك في الموضوع تجيب ببلاهة .. يضحك باغراق .. تضحك بضخر ...
تود ان تغادر .. فرن الفحم هذا يستبقيك .
– اكلة لذيذة لاتدعها تفوتك .
تشكره تحاول ان تهرب من الفرن .. الجمرات الجالسة تنظر اليك باستنكار .
– لاتدع الطعام يفوتك .
يلح في استبقائك .. يطعمك وجبة كبيرة من اللغو في طبق معدني من الرصاص يحطم
جدران رأسك .. يتحدث عن اعمالك بسخرية .. تجيبه بموضوعية تحس أنك في
مجمع سفسطائي .. تود لو كنت سقراطا في ساعته الأخيرة .
يرتج عليك وأنت ترفع السماعة إلى أذنك .
– هادي .
عرفت الصوت العابث .. طالب اللذة والمال .
– أوجزي .
– اننا في الانتظار .. لقطة رائعة لاتفوتك لأول مرة تلج باب العمل .
تضع السماعة تلعن في داخلك النظم الديمقراطية التي تسمح لمثلها ان تمارس نشاطها .
تستقل السيارة إلى جانبك : الجو بارد.
تحاول ان تلتحفك تتجنبها .. تندس إلى جانبك .. تنظر اليها بغضب .. تتملاك بوله
باسم .

(لاعجب ان طلقها زوجها هذه العابثة) .
كانها قرأت أفكارك .
– انني مظلومة كل التقولات عني مغرضة .
حاولت الهرب طلبت إلى السائق أن يقف في أقرب مكان .. نزلت تفسح لك الطريق
تبعتك .
– اردت ان اشكو لك همي .. أنت سندنا الوحيد .
– اني في عجلة من أمري .
– أرجوك ان تسمعني .. صحيح اني مطلقة انا التي طلبت الطلاق..
أخلاقه سيئة .. كل ليلة .. ترك لي البنت وأخذ الابن .. أنا اعيل نفسي وابني ،
لم أحصل على نفقة .
اجهشت في بكاء منسحق .. انا فتاة شريفة .. كثيرات مرميات على قارعة الطريق
لايتحدث أحد عنهن .. مسكينة لاسندلي تحاك حولي الأقاويل .
– ماموضوعها ؟ .
– إنسان عصرنا المهشم .
أصوات مختلفة عبر الباب تطرق سمعك .
تتبين الصوت .. صوت زميلك (زهير الفاتح) اسنان صفراء تطالعك .. يلمع
بينها ذهب خاب .. تتصنع ابتسامة عريضة .. سرعان مايزول التصنع بعد انفرار كما
.. تتنفس بعمق .
تدخل عليك عصفورتك .. تنقر في قلبك حبة .. تتيه في غدران العينين
– صبحي بك يطلب مقابلتك .
– دعيه يتفضل ..... كيف حالك ؟.
– كسيف .
– لماذا ؟.
– وافق أهلها على الزواج .

– مبروك حققت أمنية كبيرة .

– حطمت آمالي .

وجهه وردة فقدت احمرار لونها .. حالات من كآبة السخام تحيط العينين .. الفم.. الوجنتين .. شفتان تحصدان الشوق .. تذروه في جنبات الفم الاربع .. عينان سحابتان شتائيتان تطاردهما ريح صرصر عاتية .

– هادي ساعدني أنا قيس جديد لايريد الموت .

– ماخبرك ؟

– أحبها .. علمت أن أهلها يكنون لك احتراماً .. أرجوك اذهب اليهم واخطبها لي.

– ليست صغيرة عليك .

– أحبها .. تبادلني حبي .

سمعت تقولات كثيرة.. تحبه.. تخرج في سيارته .. في غفلة من عيون الناس التي لا تغفل.

(لايصلح لها .. نزق .. سوقي السلوك .. بيئة نتنة تزكم الانوف) .

– انها لاتصلح لك .

نطقت الكلمة التي يجب ان تنطق أحست بالصفاء.

– أحبها .. ألا تفهم ؟ أريدها .. تريدني .

حاولت ان تثنيها .. قابلتك بعناد مراهق .. حبّ فجّ عكر .. عزمت ألا تتدخل في شقاء انسان .. توقعت نهاية الحب .. كبرها يفرق بين الزوجين غير المتكافئين.

ألح في توسله . اشتط .. أخذك إلى دارها .. قابلت والدها .. رفض أن يزوجها حمدت نضرج الأب .. سعادة غمرتك وانت تملي عليه قرار اعدامه ..

الفتاة أصدرت حكماً بالموت على نفسها .. عولجت بالمستشفى .. رضخ الاب للعناد المراهق .

يسألك صبحي بك عن الصحة والأحوال والمزاج والعمل والأهل تدور وتدور في دوامة الأسئلة ذات الضغط المنخفض .. خشيت أن يطيح بك إعصار مدمر لشدة

انخفاض الضغط .. ينفلت برشاقة لاتناسب سنه .. يأخذ مقعداً إلى جانبك :: يهمس في أذنك كلاماً تسمعه في اليوم عشرات المرات ؟

- ان كان في الأمكان :

– كل شيء ميسور .

قرعت كلماته رأسك بقوة .. دينه عليك جبل الطور .. لم تؤثر فيه عصا موسى :

فناء المدرسة غابة استوائية ينطلق من أحراشها زئير حيوانات الغابة شعارات ترفع .. هتافات تدوي .. دخان يتفجر .. حُلل خاكية تسور المدرسة .. بنادق تتهيأ للانطلاق .. أنفاس المشاهدين تنحبس في قنينة الصدر تنتظر مفاجأة للفلم البوليسي أصواتهم تحكم في حناجرهم .. دموعهم تابى تفجير نفوسهم الخنوعة .

صوت مدوّى يردد : الحاكم العسكري صبحي بك يدعوكم إلى انهاء الاعتصام بعد نصف ساعة إما ان تتفرقوا أو يطلق الرصاص عليكم ثم تقادوا إلى السجن مع أختلاط الأصوات .. تفجر غضبك .. لم تعد تحتمل الخور الذي يأسر النفوس بقيود الخنوع والذل .. فهمت أنهم سيتفرقون .. أردت ان تصرخ بهم .. ان تعيدهم بشراً يحسون بانسانيتهم.

فتح الباب .. خرجت قطعان الخراف تتبع الكبش الذي كان قد دعاهم للنطاح..

لدى الباب سحبك خالك من يدك :: لماذا تاخرت ؟

سبقتك دموع الغضب .. دموع الهزيمة .. وددت لو ...

بدوت طفلا في وجه صبحي بك ... بادرك

– كل شيء ميسور .. كل شيء في الامكان .. انهم قطيع .. إفهم حقيقتهم

عينا زهير مرجل متوقد : – لقد طلب مني الفي دينار .

– السلعة جيدة .

– كنت أحصل على سلعة مجانية تدر ربحاً وفيراً .

فحيح صبحي بك يلفحك : – موضوع سامي البقال .. زمالة كولبكليان .. الاقتصاد .. انكلترا .. فرض عليه .. اقتصاد مقارن .. ادارة .. لافرق .. ادارة

– راجع الحسابات .. لاأظنه اختلاساً .

وجه معاونك خوخة تشقق أديمها تحت سياط شمس الحقد :

– بل اختلاس .. ليست المرة الاولى .

نرده بعنف .. ينبح في وجهك .. يمسح الأرض بأنفه .. أتمنّى ذنبه بين فخذيه يتحسس الأثر إلى غرفته .

– لاأدري ماأفعل ؟.

– تزوج من تحب .

– أحب (أوهام) .

– تزوجها .

– عقدت على درية ..

– افسخ العقد .

– يطالبونني بألفي دينار .

– تزوجهما معاً .

– فكرة رائعة .

– وفي ليلة واحدة .

– أنت عبقري الأفكار .. أرقد بينهما .....

– صقر بين حمامتين .

– عصفور بين بازين .

أصوات تتلاحم في أذنيك : – وينه عادل ؟.

– راح عادل .

– وين راح ؟.

صوت رعديّ يسأل عنك .. يضاحك سكرتيرتك .

– مدعو عندي في النادي .. حفلة صغيرة .

– بمناسبة زواجك المزدوج .

مقارنة .. الاقتصاد ادارة .. الادارة والاقتصاد .. انتهت الزمالة :: لم ينته :: تجديد .. نضبت النقود .. مساعدة .. رجاء .. الحياة ديون .. كل شيء في الامكان :: كل شيء ميسور ..

– خرج على العقد .. بدل موضوعاً بآخر .

– ماالفرق ؟.

احسست بالضيق لعنت في داخلك موسليني وهتلر :

تهدل حمائم في دمك .. ترفع السماعة .. صوت سميرة يتفجر في أذنيك رغبة صارخة .. طلبات معلبة .. مغلفة بورق موّرد من الدهفة .. تستجيب لما طلبت :

– أرجو أن تساعده .. كل شيء ميسور .. كل شيء في الامكان .

– أحاول .

القيد الذي قيدك به .. سلاسل جهنمية طولها ألف سنة مما تعدون .. قالب جليدي خلف ذوبانه حريق بحار دمائك .

– وصلتني أخبارك .. بارجيت باردو .. انها لعبة خزفية :

– لعبة محترفة .

– أوهام .

– اصطحبتني إلى أهلها .. أخبرتهم بحبي دون وجل .. وافقوا عرضها .

– ماالذي ستفعله الآن ؟!.

يدخل معاونك شاحب الوجه دون استئذان .. يضع أمامك سجلاً كبيراً :

– هنا اختلاس واضح ..لاتطابق بين البلانجو والمبيعات

تستغرقك العمليات الحسابية .

– لاتطابق .. لابد أن هناك خطأ .

الموظف المسؤول شجرة حبس عنها الماء .. تساقط عبرها الكلوروفيل :: حقنت بسم الخرف ::

طمأنته .. صعد نسغ حياة في الشجرة العجفاء .

يختلط صوت ثامر الرعدي بصوت زهير الصاخب.. تتداخل الكلمات مع بعض .... تتقاطع الجمل لاتفهم شيئاً .. تعود إلى أوراقك .. تطبع عليها تأييدك الوظيفي .

– لم تعد تستعمل عصاك الجميلة .

– رميتها من زمن .

الحياة دون عكاز تقي من الزلل والسقوط .

كنتما تسيران معاً عبر حقول نسج فيه العشب بساطاً وثيراً .. ارتقيتما مرتفعاً .. النهر أفعوان هائل يمسح وجه الأرض بكبرياء .. اشجار باسقة تذكرك بجلال الطبيعة .

– هادي أحس الماً حاداً .. لاأستطيع السير .

– لابد أنك تتعب نفسك .

– انت لاتصدقني .

– هل تؤلمك يدك .

– ابداً اعتدت ألمها حتى انني لم أعد أشعر بها .

اتصل بك اخوه .

– ثامر في المستشفى ربما اصابه الشلل .. لم يشخصوا المرض بعد.

تسافر ملؤك الاوعة .. في غرفة انيقة كل مافيها نقاء يرقد مسيحاً مصلوباً على سرير المرضى..عيناه حنين وادع .. نسغ يزهر خديه يبددشحوبهما.... تتحدثان .. تضحكان تخشى سؤاله.. يأتي الطبيب يطمئن المريض.. تعلم ان صديقك أضحى مشلولاً .. يدمي قلبك .. ينغرس ألف شوكة في أحشائها يضاحك ممرضة عجوزاً .. يقدم لك ملحة بذيئة على طبق من الصفاء..يواسيك بدلاً من أن تواسيه .

– لم نعد نستطيع السير معاً .. ستسير بمفردك .أو تترك رياضتك المفضلة .

– ألم تتزوج بعد ؟.

– قيدت.

– أحسنت لم أعد المقيد الوحيد ..أريد أن أقيد هاديا .مرة أخرى .

– أذكى من أن يقيد بعد ان لوعته التجربة.

– القيد أسمه رغبة خليل .

– انت معجب بالعجائز؟

– لامانع لدي مرتبها كبير ..ضع هذا القيد الذهبي في يدي ألست صديقك .

نسمع ضجة في الخارج ..صرخات ..زعيق .

– سرق النقود من جيبي.

– لم أفعل ..

– مركز الشرطة نشال عريق ..والله العظيم ..مائة دينار .

– لم أفعل .

يدخل معاونك كديك انقض على كل دجاجاته ..يضع أمامك بطاقة دعوة يتشرف السيد ..بدعوتكم والسيدة عقيلتكم لحضور حفلة العشاء التي ستقام في ... الساعة السابعة ...بمناسبة زيارة وفد ...

كل اسبوع اكثر من دعوة لاتذهب اليها جميعاً ..

ملابس من جميع الانواع .. عقال.. سموكن.. شارلستن.. حلل .. شال وشبك .. قبعة باروكة .. مينى جيب .. كوفية .. عرقجين .. سدارة .. بيرية .. موائد رص فوقها طعام يحلم به شعبنا الجائع.. أصابع نهمة تتلقف الطعام.. تنغمس في الاواني .. تزرع في الفم .. الاسنان تفقد وظيفتها .. البلعوم ساحة جليدية للتزلج .. تسقط على قميصك قطعة لحم .. يبتسم بنهم ..يرفع القطعة إلى فمه دون أن يعتذر .. تتساءل عن أهمية اقامة الحفلات ..يسهب محدثك عن ضرورتها

– انهم يعلمون معدهم على الاطعمة الفاخرة . وبطونهم على الانتفاخ...على الكسل والتبلد.يضحك منك ويبتعد عنك حيث الطعام الفاخر.

– حادث السرقة ..سرق نقوده بعد أن تسلمها مباشرة.

– حادث اعتيادي ..كثير الحصول هذه الايام.

قال البروفسور جيب انما يميز الاعرابي حبه لسرقه مالايملك .. لايريد أن يجهد نفسه في العمل ..الاغتصاب ثراء يسير لذا نشأت عادة الغزو عند العرب منذ عصور ماقبل الاسلام .

تفجّر في جسدك ألف شريان .. أردت مقاطعة أستاذك.. هدأتك ابتسامته الوديعة قلت برغم ذلك : ماسبب قرصنة الدول الرأسمالية وسرقتها أموال دول العالم الثالث ابتسامة العالم الذي لايعرف غير موضوعية البحث تطالعك ببرود ثلجي صامت .

تدخل عصفورتك .. تتنزى على شريانك الأبهر.

– حان موعد الاجتماع ..قاربت الساعة الثالثة

أوقفها تساؤل عينيك ..أباحت عيناك بمكنون اعماقك .

(ياالألم ..ألم كوكب ميت أستقر في أعماق حجرتي .. حياتي طائر صغير طوت السهام المتقابلة جناحيه ..سقط في قعر الفضاء ..يرجه بخفقان قلبه الحي الذي لم يمت ..مالثواني تتراكم فوق أهدابي ألماً ممضاً قاسياً ..خطايا ولدت بطيئة في شارع حياة مقفرة ..الضياء يجفو حياتي ..يتشبث بالسرو ..يختبيء تحت الموج.. ألم يئن للحظة أن تأتي؟..تلك اللحظة المشتهاة ..تلك اللحظة المرهوبة التي تجرحني كلما أنتويتها بنصالها الضامرة ..لم تعد الثواني زمناً يقاس بل سلاسل من لهب.. علي أن احتفظ برأسي ..أن أقعى في داخله ..الا أسفح ماء روحه تحت الاقدام .. عليّ ان انصرف بسرعة ..أن أبوح لها ..يدهشني أن أحبها إلى هذه الدرجة ؟؟ هل تفهمني أن بحث لها :بحق البنفسج في عينيك ..بحق الجرح المتدفق في جبينيك لتتكشف اللحظات .. يشتد ديجورها .. خطوات ثقيلة تتوحل في قلبي .. يجب أن أتجرأ). يقع نظرك على وجهك مطبوعاً في نيكل حاملة الاقلام.

(لله كم أنا شاحب).

مذ أمست يدك شعار حب منتحر فقدت لونك.

تحاول ان تهدي نفسك ..رغم شعورك بالرعشات تلفك والاسى من حبك المنتحر:

– هلاّ جلست قليلاً ..لي حديث معك.

– حان موعد اجتماعك.

– سأذهب بعد أن أنهي حديثي معك.

شحب وجهها ..فقدت لونها .. لون زهرة الرمان .

– أردت أن اقول لك انني معجب بك:

ضرج وجهها الخجل ..ألهب كيانها كله.

(ماتقوله حقيقتي ..حقيقتي المرة التي لها في فمي طعم العسل ..لايهمني أن تمتزج الظلمات بالنور المتألق ..مصيري معلق في خيط كلمة).

– انني معجبة بك ايضاً .

– انني أحبك.

(سأدعك تبثين شكواك ..هل ستتنكرين للقلب الذي جرحته ،للجروح التي أتألم منها).

– لم أجرأ على التفكير بذلك.

– فات الوقت على التفكير ..لم أعد أفكر بالقلب بعد أن طعن :

أجهشت في بكاء عصبي صامت.

(لو كان صدري من زجاج لرأيت دموعا من دم تتساقط على زجاج قلبك المهشم).

– مازلت تحبينه ؟.

– لاادري ..لاأدري شيئاً ..كنت أحبه.. لاأدري الآن الحب أم الكره ماأعاني.

– كلاهما من مصدر واحد .وجهان للمرآة.

– لاأريد أن أخدعك كما خدعت ..أنا احبك كأب ..كأخ ..

(الآن أستطيع أن أخسرك ..أن أخسر حياتي ..أن أياس كزوجة بحار مجنون يتيه في اليم ابداً على زورقه العنيف ..أنني خفت عجز الحب الصامت ابداً ..مظلماً لاأعماق له لاأمواج ..أنتظر أن يحمل اليّ أبداً أشلاء تمزقي ..وها قد حمل أشلائي اخيراً.. ممزقة مطحونة مطعونة).

ماأشقى الانسان في الحياة ..توهمه أنه ذو معنى وفي لحظة تلطمه بالحقيقة الرهيبة.. مستغنى عنه ..بلا رحمة ..بلا وداع ..هنا تكمن قمة المأساة ..عندما يسقط الانسان. ممزقاً وقد اكتشف كلمة السر.

التقت نظراتكما ..كنت كنت تقرأ مغطى بأشعة شمس دافئة .. كانت تحفر في

الورق آبارا من الصمت .. فجأة توقف الحفر في الورق.. حفرت في أعماقك سؤالاً.
(نضب حبرها).
زرعت في عينها سنابل نور .. باقات زهر باقات زهر قدمتها لمن حولها .. ثم استقرت في قلبك ..نثرت طلعها .. أعشبت ربيعاً ..أزهرت حديقة .
قدمت اليها قلم حبر شكرتك بعينها.. أخرجت من آبارها ماءاً سقت به زهر قلبها .. تفتح الاقحوان في ثغرها .. الينفسج في عينيها .. الورد في خديها .. الساعات تنحر في الثواني .. أنت مع كتاب لست معه .. مع حديقة سعت اليك بلابلها تشكرك توقفت لحظة .. تأملت مافي يديك
– أنا لا أحب بايرون .. أفضل عليه شيلي
– أنا كذلك
عرفت أنها من الريف .. طالبة في جامعة لندن .. عرفت عنك ماتعرفه عن نفسك التقيتما في حدائق الجامعة .. المكتبة.. القناء.. هايد بارك.. حفلات الجامعة .. بدأ الالف يطويكما تحت جناحيه .. دعتك إلى شقتها .. دعوتها إلى شقتك ..قدمت لك أكلة شعبية انكليزية .. قدمت لها .... دعوتها مرات ... مرات
بدأ النمل يقرص قلبك إذا ابتعدت..أذرع اللهفة تطويك..تشدك اليها سلاسل الحنين.
بكت بين يديك : – أحببته بكل كياني .. هجرني.
ذراعاك يطوقان كيانها المنهد ..نهران شاسعان من الصمت والألفة .
ترفع صحيفة بلا وعي ..تقرأ بعينين فارغتين
عدد كبير من منظمة فلسطينية يقتلون برصاص الكتائب ..
(ليس هذا وقت الرؤى والأحلام بل الوقت الذي يشرع فيه القلب للحقائق الدامية ..لقلب مهزوم ..كوطني منهرس تحت وطيء أقدام ثقيلة..تتطلع نحو أفق ممزق دام ..أسترد فيه قلبي العتيق ..تسترد فيه بلادي كرامتها المهدورة .
ان قلب بلادي الجريح مازال ينبض قلبي مازال ينبض لانقده ثمن القوة .. لانقدها ثمن الولاء).

تضع أوراقك في حقيبتك استعداداً للذهاب .
– اهجريه .
– مازلت أحبه.
– الحب يقتله حب آخر .
– إنني أميل إلى إنسان آخر .. هل الميل هو الحب؟
ربما يتحول حباً ياجينا
ضحك بنفسجها .. افتر اقحوانها
تمنيتها بشغف .. وددت لو شرعت الشمس في شرفاتك .
(لم أنهرس بعد كنت ..اكثر نقة وتفاؤلاً ..أنبأني قلبي أنها بداية حب.
لم أدع اليأس يدب في قلبي ولكن مابقي غير اليأس ..غير الهزيمة ..لن ينتزعها مني أحد ..لاالصديق ..لاالعدو ..لن ينتزعها غير الموت) .
صاحت بك أعماقك : عار عليك أن تبكي.. كان في إمكانك البكاء عندما بدأالأمل يراودك .أما الآن بعد أن بلغت منتهى اليأس ..ماالذي بقي لك ؟شيء واحد، عزة النفس وهذه تابى علينا البكاء .
(تدحرجت نحوي هاويات عدة ولم أنهدّ.. لست قصراً شامخا ..أنا طائر ضخم ..أبسط جناحي وأعبر الهاوية دون ان أسقط فيها).
ضربت الجرس ..دخل تمثال الكآبة ..لم تتعرف على احساساتك جيداً آنذاك .. أخبرتها بعبارة خجلى انك ذاهب وان عليها ان تنتظر عودتك .
عباراتك فيها شيء من الكبرياء .
(كبرياء مجروح .. انتقام الهزيمة).
خرجت مسرعاً ..قابلك وجهه..(ادهام الشمري) ..لوحة جميلة لاعرابي..شرّبته الشمس سناها ..الأرض سمرتها ..الأنجم بريقها ..في انفه شمم الأعرابي .. في شفتيه رقة بني عذرة ..في يؤيؤيه دجنة ليل الصحراء .
(اجمل منك .. أكثر فتوة .. رشاقة .. خفة..يناسبها .. انت لاتناسبها .. يناسبها) يناسبها ..يناسبها).

– اجازة مرضية لمدة أسبوع .

وضع معاونك الاستمارة أمامك .. التهاب في الاعصاب

استفزك مرضها .

– مرض خطير .

ضحكمعاونك عن أسنان ذهبية صدئة .

– حاولت الانتحار بعد أن علمت بعقد قران إدهام الشمري على أديبة الدهن

– الانتحار ؟.

– قطعت شرياناً في يدها.. نقلوها إلى المستشفى. (نوال) تحبه بعنف .. تظاهرها بذلك بعد أن .....

– ماذا تقول ؟.

– ألم تسمع بقصتهما ؟ أستدعيه ليحدثك كيف فعل .

– أرجوك كفى أنا لاأصدق .

– قطع علاقته بنوال بعد أن تعرف بأديبة الدهن ..سيتزوجها بعد أسبوع .

(تتعالى عليك تهوي تحت قدمي إدهام الشمري ؟...)

– لم لم تحضر الحفلة ؟ رائعة .. أرستقراطية .. الويسكي محيط هادر.. الاطعمةولائم ابن جدعان .

– هل غرقت فيها ؟.

– ادهام الشمري رجل محظوظ تزوج كنوز سليمان .

يودعك سرحان بنظراته الوادعة الحنون .. يصفعك عم ابراهيم بتحيته الصادرة عن يده .. عيناه فارغتان كقلبه وبطنه .. فتح لك بابالسيارة .. أغلق الباب وراءك!.

(الحب الصادق لايعرفُ قيوداً .. حب سرحان لهدى الغسانية .. مثال رائع .. لماذا القسوة ؟ ألا يمكن أنها تخشى أن أعبث بها كما فعل أدهام الشمري .. أليس من الاجدر عرض الزواج عليها ... الزواج ... الزواج ... ؟!) .

قالت لك سعاد : متى نتزوج ؟ .

قالت لك جينا : انني أحبك .. لا أستطيع بعداً عنك إذا ماعدت إلى وطنك لن أطيق الحياة .

– اصطحبك .

– هل يسمحون بالزواج من الاجنبيات في بلدكم ؟ .

قالت نوال : ساعد حفلة رائعة لزواجنا .. حفلة لم تشهدها كل الاسر الارستقرطية في مصر .

همست رغبة خليل في أذنك ذات ليلة : اننا نصلح لبعض زوجان متكافئان .

قالت لك أمك : قريبتك مناسبة لك .. جميلة .. بديعة .

تزوجت قريبتك ...

قالت أمك : قريبتك الاخرى ربة بيت.

ألحّت .. الحت .. سنين مضت ... تزوجت قريبتك الاخرى .

همست طالبة زواج في أذن أمك : لم لاتزوجيه ؟.

– يرفض.. حظه تعس . زوجته الأولى عقدته .

– قالت لي عدلة الشوباشي : ان كان هادي سيتزوج ثانية اعرضي طلبي عليه .. ستكون أمه حماة رائعة لي ... غنية تملك أكثر من قصر .. أكثر من سيارة

الحت أمك عليك .. رفضت.. عمرها نصف قرن .. شعرها لايصلح للصبغ من كثرة ماصبغ. همس زميل قديم لك : سمعت أنك تزمع الزواج ؟.

– يقولون .

دعاك إلى حفلة صغيرة .. اضطررتإلى القبول .. دار الحديثعن الزواج ومباهجه.. اشتعلت الجلسة ..أحسست بأنك تنقده ثمن ماشربت واكلت عندما حدثك عن اخته سألت عنها امك

صرخت في وجهك: – عمري بقايا من عمرها

اغرقت في الضحك .. عدّك بالوعة يريد القاء اخته فيها

قال لك صديق : تلوع من زوجته .. انت صاحب مبدأ .. انني أحترمك لأنكلم

ترضخ .. .. لم تنجزأ .. لم تناقض نفسك
قال لك عامل تحترمه: لا أحترم انساناً قدر احترامي لك..لم تضعف أمام أية امرأة
قال لك مدير المعمل الذي تعمل فيه : لم لاتتزوج تتخلص من الاقاويل التي تحاك حولك
همس في أذنك ابن عمك .. يجب أن تتزوج .. هذه هي الحياة .
صرخت عمتك : اتريد اماتة ذكرى أبيك
صرخت امك لم اعد اطيق العمل أأت بزوجة تعني بك لقد هرمت
عندما اتيت بزوجة شابة كررت صارخة :
– انك تحاول قتلي
مرضت امك .. الموت قاب قوسين منها .. الاطباء يسخون بالدواء وهي تسخي بالطلب
– اريدك أن تتزوج ثانية أخشى عليك البهدلة
تحاول أن تفهمها اننا في عصر توفرت وسائله وانك تملك وسائل حياتك وان رفضك عن فكرة لاعن عناد
يشتد عليها المرض
ترضخ أمام ارادة الجميع .. تبدأ أجمل مسرحية مثلتها
تجلس كل عصر في غرفة مطلة على المدخل .. كل يوم مرشحة جديدة تختال بين أهلها .. تعرض عليك في لحظات كلما يمكن أن تعرضه امرأة لرجل في ، بحرشهر رأيت نماذج لم تحلم برؤيتها يوماً .. تأكد لك التاريخ .. فهمت لماذا تؤكد على الدم والنسب والاصل.. رأيت جميع أجناس العالم .. بلادك استباحتها الاقدام رومانية .. مغولية .. فارسية .. هندية .. عثمانية .. زنجية .. انكليزية ..
ادركت أمك لعبتك..قررت أن تزوجك فتاة اختارتها لك ..أما داخلها فلا يمكنك أن تتعرف عليه
– فتاة من أسرة محترمة لايمكن أن تجالسها
سألت عن الفتاة التي لم تفكر يوماً أن تتزوجها..تبين لك أنها ليست مصونة وان حملت أكثر من لقب فخم .

بعد أن رفضت .. لزمت أمك الفراش .. سخيت بأجور الأطباء والدواء لكنك لم تسخ بنفسك.
(أتزوج من لاتحبني لماذا ؟ لم لا أتزوج ليلى .. هل يمكن أن أفكر مثل هذا التفكير ؟!).
ضحكت مائدة .. عرض عليّ الزواج ؟.
– دكتور حافظ الطائي؟!.
– عرض عليّ حبه ولم أدر ماأقول له.
– نكتة بارعة .
– فرصة جميلة لنيل الدرجات العالية .
– عليك أن تجيدي الدور حتى تنتهي السنة .
– إذا حاول تقبيلي ؟
– ارضخي لارادته .
– فمه الكريه .. أسنانه المنلوفة .. شفتاه اللتان انتشر عليهما الطفح
– اصبري .. الامتياز شيء يستحق التضحية .
كنتم تتحلقون في النادي .. عينا مائدة تنقلان لكم لواعج حب استاذكم لتلميذته .. ضحكتم في داخلكم وخارجكم .. أضحى أستاذكم مضغة الافواه .. وصلتم إلى مبتغاكم .. أضحى صفر اليدين إلاّ من همس ساخر يدور بينكم كلما مرّ.
(لايمكن أن أفعل .. لن أصبح (حافظ الطائي) .. لن أحيد عن مبدأي ..
دخلت قاعة كبيرة رصت كراسيها بالأجساد .. حملقت الوجوه فيك .
– تأخرت على غير عادتك .
(الحلقة تضيق عليك .. عليك أن تقعي في ثلافيف رأسك كل همسة .. كلمة .. حركة تدركها .. تحللها .. تتخذ منها موقفاً) .
اتخذت مقعدك .. الأيدي تمتد بالتحية .. السكرتير يعرض برنامج الاجتماع .. عينا رئيس الجلسة تقولان لك شيئاً فيهما تشفٍ واضح كأنهما انتهيا من ادانتك في

التو .. تقرران أصدار حكم صارم .. عين ضاحكة تقهقه في وجهك .. أسنان نخرتها اللذة .. أنف كبير .. جبين مجعد .. وجه يصلح قناع ممثلين .. قامة قميئة لاتبين في كريسها .. خدود محتقنة من كثرة تناول المسكرات .. نظرة حاقدة .. التفاتة ودودة..بسمة صفراء..وجه مجدور..عيون خضراء .. سوداء .. زرقاء..بنية.

(غارت بصحراء الظنون مقلتاي .. شهق النور بعيني ومات) .

عندما نطق الرئيس أطفأ التثاؤب عيونهم .. قلوبهم خنادق مهزومين .. عيونهم هتاف نواقيس ظمأت لله .

قال رئيس الجلسة : أرجو أن لاتفش أسرار جلستنا .. جلساتنا سرية ..

قراراتنا خطيرة ... إفشاؤها خيانة كبرى .

(إذا أردت انشاء سراكد على سريته .. إذا أردت إجهاض قضية ادخلها في لجان).

الوجوه كرنفال عظيم .. أقنعة من جميع الأنواع .. الغول ينطق بصوت واحد:

— يجب أن نعرف سر القضية .

— لاأريد تطور القضية .

— بل نريد .. يجب أن يجري تحقيق في الأمر .

— رايك استاذ هادي .

(شفق ابيض يبرد تحت جمجمتي .. تعصبها حلقة حديدية كقبر قديم).

— كرأيهم .

(زهرة صفراء خشبية تتحنط على شفتي .. رائحة كريهة تنبعث منها في جسمي الذي يسيطر عليه الدم القاتم .. يتمطى فيه في غثيان طويل).

تسمع نفحة طيبة : — هل يعنيك ؟.

عيناه ثقبان فارغان يوديان إلى دمنة في باطن كهف قديم مهمل .. اسنانه المثلومة خناجر في حنجرتي .. فمه فتحة بركان تقذف حمماً تحرق جلدي .

المؤسسة .. المعمل .. تخفيض العملة الاسرائيلية .. شركات البترول .. اتفاقيات جديدة .. هبوط الاسترليني .. بترول الخليج .. الدخل القومي .. البنك الدولي ..

الدينار .. اللعب .. الانتاج ... الربح الصافي .. الصادرات... تكلفة الانتاج الحلقة تدور .. سلسلة في يدك تحركها بعصبية .. فوهة فستان راقصة اسبانيولية .. عجلة سيارة تسير بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة .. طاحونة هواء هولندية ...دولاب في اللونابارك يجلس فيه أطفال صارخون من لذة الخوف .. قطار الاكسبريس :: سلسلة دبابة ألمانية مهاجمة .

— مارأيك استاذ هادي ؟.

(صمتي يبهضني .. يحمل سحري .. يتنامى كسقف من بنفسج):

— لاأرى ماترى .

— كيف ؟.

تحولت إلى بوق خرافي لم تسمع غير نغمات الفارابي .: تضحك .. تبكي .. تنيم .. توقظ .. تحمرّ الخدود .. تزيدها شحوباً .. تزمجر الأفواه .. تبسمها :

— إذن هذا رأيك .

— طبعاً .

— نجري تصويتاً : من يوافقني .

ترفع أصابع مترددة .. منحنية كمنارة الحدباء .. تستقيم بضعف .. أيد مترددة تدعك أصابعها بعصبية قبل أن ترفعها .. تنظر اليك باعتذار في عيون اظافرها أنشفق عليها .. عليك .. على ضفاف الأمل يموت رجاؤك دون أن يعلم بموته أحد..

— أرأيت ؟ صوّت الجميع إلى جانبي .. أكتب اعتراضك إن أردت .

(فلكي لايراه أحد .. سيأتي عند منبلج الفجر في زهوة الصباح .. في الساعة التي لاتكاد ترى فيها زهر الشجر .. عندما يصير الفجر للأمواج أشرعة من الطل الحرير).

— سأفعل .

دخل مدرسنا الجديد أسمه عبدالحميد الكبيسي .. لم يحصل على الدكتوراه بعد .. عقدته الكبيرة، بدأ المحاضرة: أنا... أنا قمت بجميع الاحصائيات ...أنا لايمكن لاحد...

أنا .. أنا .. أنا أمريكا .. أنا .. ماجستير .. أنا .. حياة رائعة أنا .. مجموعة أربطة .
أنا .. في سنين أنا .. كلهم فاشلون أنا .. حياة هو أنا .. دفتر الاستاذ أنا .. منه أنا..
اليه أنا .

همس صامت ضاحك .. طالبة ترفع مؤخر ثوبها .. ساقان لذيذان.. عيناه تتألقان من وراء نظارته المضببة من أنفاسه .. أخرى تثيره . ثورة عارمة تهيج .. حمرة غير محببة .. ابتسامة خادعة .. همسة داعرة .. ضحكات مكتومة :

— يقولون انه لايفيق من الخمرة .. يعاني أزمة شديدة .. قتل أباه .. طلب اليه مالاً .. كان في ضائقة .. انتحر الاب تلك الليلة .مات في داخله شيء لايمكن أن ينبعث .. عيوننا سور اشفاق تحيط به.

— مارأيك بهذه الإحصائيات ؟.

— لم أدرسها بعد .

كان عليك أن تقابل المدير العام .. استأذنت قابلك وجهه المومياني .. في وجنتيه أثر العرق القوي .. قدمت أوراقك .. نظر اليك بتعال .. أحسست بالبغض يملأ كيانك .

— دكتور في الاقتصاد .. لسنا بحاجة إلى خدماتك .

— أمر تعييني صادر من القصر .

تبدل الموقف ..تودد لعابي يقذفه بين يديك .. اصطحبك إلى غرفة أنيقة .. باشرت عملك .

— تركت الجامعة بعد أن ترقيت إلى رتبة أستاذ وهي أعلى درجة من الدكتورا ه كما تعلم .

— تلقيت عليك العلم .

فرحة طفولية تستخفه

— اظنها واضحة لاتحتاج إلى الدراسة .

— كل شيء يحتاج إلى التمحيص قبل البدء فيه .

أخبرك أنه يريد المعاملات التي أعطاكها قبل ساعة .

أخبرته أنك لم تنجزها بعد .

— لاحاجة إلى ذلك أنا متأكد من إحصائياتي .

— لايمكن أن أوافق عليها دون دراسة .

— انت لاتصلح للعمل .

— ليس من حقك تقدير من يصلح أو لايصلح .

فاردمك براكين تصب حممها في وجهك .. في عينك .. لسانه عتلة بلا ضابط

— سأفصلك لاتصلح .. انا الذي يقرر .. نشتري بالنقود .. لاتفهم شيئاً .. متخلف ذهب زمانك من سكان القصور .. تغير الزمن .

— لابد أنك أسرفت في الشراب .

حاول أن يضربك .. أبعدت يده .. تهاوى على الكرسي يتأوه .. قدم استقالته وذهب.

أرسل مسؤول كبير في طلبك .. سألك .. أجبته .. صدر امر بنقلك .

— عصرنا عصر سرعة

— إمعان النظر سرعة .

— يبدو أن زماننا لم يفجّر جميع الدماء .

همس موظف في اذنك : — لقد ارتدى عدة فروات .. فروته القديمة خضراء .. كان يدعي انه من السادة الاولياء .. بعد ان اشتعلت العمائم الخضر بدماء الثوار .. ارتدى فروة حمراء .. أدعى انه ابن كادح بروليتاري .. عندما احبطت الثورة بسرطان الدم تحللت كرياتها الحمراء إلى ماء .. ارتدى فروة بنفسجية .

(خنزير سمنه الاعتداء على طعام الغير .. يخور بكلمات لاتتبينها .. كم تكره هذا الرأس الذي لمعت فيه انصال حناجر واكتسحته رياح اعصارية اقتلعت بعض أعشابه من جذورها).

— نريد أن نفهم مايقال لندع الهمس جانباً مادمنا في اجتماع .

يشحب وجه رفعت الشاذلي .. ينظر اليك بعينين ضيقتين فيهما غباء حاقد يهمس في اذن جليسه سيرى مصيره بعد فترة قصيرة .

يفتعل الوجه ابتسامة شاحبة ويسدل على الاسنان ستار النسيان .

يرتفع صوت : لابد أن ننظف المؤسسة .

قال نوري السعيد : نحن لانؤمن بالدماء سنسقط الجنسية العراقية عن اعداء الشعب

قال المهداوي : لاحياة لاعداء الشعب .

نزع الشعب حياتهما .

قال ..... قتله الشعب قال .... خلعه الشعب .. قال ... طرده الشعب .

– هل تعتقد أن المؤسسة قذرة تحتاج إلى تنظيف .

قال مدرس التاريخ : قاد روبسبير الشعب إلى المقصلة بهمة اعداء الشعب .. لم يقد غير مواطنين طيبين من الشعب .. قاد اعداء الشعب الحقيقيون روبسبير إلى المقصلة .

– مؤسستنا ذات أهمية كبرى في ميدان البناء الاقتصادي .. يجب أن نحميها من القيل والقال .

(الحق أنك صورة باهتة مسكينة من رفعت القديم .. فقدت جرأتك .. أصبحت كشيطان شرع في التوبة .: يتوق إلى السماء .: يبصبص بذيله كلما سمع كلمة هامة).

سألت بعجب : القيل والقال .

نظر اليك بعينين كأنهما لاتراك .

همس معارفك في اذنك .. الم تسمع بقضية رفعت الشاذلي .. رشوة .. استغلال نفوذ .. توظيف .. أقارب .. دوام في الحادية عشرة .. سرقات .. علاقات مريبة.. قضايا جنسية .

– أنت تعرف ماأعني .

(بالدرك الذي انحططت اليه ياخائر العزيمة .. نبت في صدرك قلب خائف .. أصبحت تحاول أن تكون على وفاق مع السكينة ؟! سكينة مزيفة .. سبات وقتي

أتريدنا أن نشفق عليك أيها الخائب الذي لانفع فيه .. أيتها النفس الكبيرة يانفسي .: اشعلي النيران احرقي الهشيم في أعماق هذا الخائب).

– ليس لي علم بالغيب .

احتقن وجهه .. فظرات هررة وجلة تتطلع من حولك .. وجه مجدور بعينين زجاجيتين بلون البحر الهائج .. تحملقان فيك .: بكراهية مغطاة .. بستائر من الود.

– أرجوك لاوقت لمثل هذا النقاش الآن .. لدينا مسائل هامة يجب أن نبتّ فيها.

– أنا لاأبدد الوقت .. أريد استجلاء الأمر .

همس فم مجدور الحافة : أردت ان اسألك عن رفعت الشاذلي .. يقال انه زميلك في العمل .

– شاب جيد .

– يقولون انه أحمق لايحسن غير الجعجعة .

– قول مغرض.

– تزوج براقصة سبريتس .

– قضايا شخصية .

– لكنها قضية خطيرة .. خطير .. سأرفضه .

بعد ايام عين بأمر من القصر.

همس رفعت الشاذلي في اذنه انه قذر .

– لاأظن .

– انت في صفي ام في صفه .

– لاأومن بالحروب الحارة او الباردة .

– التقدمية .. الرجعية ..الانتهازية..المستقلون..اكثرية الشعب ..الاعداء.:: الخطر...

صاء صوت قميء عن فم شبق سرعان ماتبددت في صوت رفعت الغاضب :

– استاذ ماهر لاقضية أهم من قضية التي نعرضها الآن .

تلجلج لسان ماهر كجرذ وقع في مصيدة محكمة .

(أشفق عليه كما لو كانت الحياة مياها ضحلة كما لو كانت الأرواح ضفادع ، هيا أيها المجتمعون الوجلون غير المتفاهمين في قلوبكم .. ارقصوا كقرود.. ارقصوا على ضربات طبل أجوف .. كل يريد أن يرقص متى يريد هذا ماترونه في داخلكم .. لاخيار لكم لابد من الرقص .. الحياة رقصة .. الطبل الأجوف لا يعرف الصمت .. أليست الآلات الجوفاء هي الآمرة في كل مكان وصوتها هو الاعلى).

همس رفعت في أذنك : ماهر صديق عبدالحسين كلاهما عدو قذر للشعب .. ماهر أشد خطراً عميل.. مرتش .. قضى والده في السجن لسرقة مال الدولة أعرف كيف أنظف المؤسسة من هذه الأقذار .

بعد أيام سألك رفعت : لم لم تحضر الحفلة التي أقامها ماهر تكريماً لي.

– خشيت أن لاتحضر .

– صديق قديم مخلص .

التفت اليك رفعت بحنق : ستعرف كل شيء .

ابتسمت : أشعلت الابتسامة دماءه .

(إذا تركتني أعيش فلن تنام مطمئناً ماحييت .. إن حمرة يدي القاتل أبدع في نظر المسحوقين من عبارة الملك .. اقتلني إذا أردت ألا تسقط .. أعرف الحب يحبك الناس .. احتقرهم يتربصون بك).

يزعق ذنون طابور بمرح طفولي .. مدعوون إلى غداء في كوخ دجاج :

يضج المستمعون بضحك عصبي مصطنع .. يهمس علي في أذنك .. أرجوك كف عن المناقشة .. ألا ترى التوتر الذي يسود الجو .

(ماأغرب نظرة الصديق لحظة يضربه الصديق في صميم القلب .. انها نظرة لاتحقد فليس لديها وقت للحقد .. انها تتعجب .. تتساءل حتى يأكلها العفن).

– إنهم يريدون الايقاع بي .

– ألا ترى أن أعداءهم اضحوا أصدقاءهم .

بدا علي مكفهراً .. نزع نظارته بعصبية :: مسحها بطرف ربطة عنقه :: اعادها إلى عينيه ليتزعها ثانية .

تطالعك ابتسامته الباهتة وانت تهينه .

– اشكرك أنت تفهمني جيداً .. لم أعد أستطيع البقاء في منصبي .

– إذا أردت السعادة تربع على الارض ونظف الكراسي للاسياد.

غزت الحمرة وجنتيه .. عرف الابتسام الطريق إلى ثغره .

– أخشى أن يعقب هذا الأمر أمور

– لاتخشى شيئاً مادام الكرسي قد وطيء من سيد ومادمت تتربع الارض .. الاسياد لايؤمنون بالحقد قدر ايمانهم بالامتلاء .

التفت اليك ذنون طابور بوجهه العصفوري .. أرجو أن تأتي إلى دعوتي رغم كرهك للدعوات .

حرارة تموز تصهر الاجساد تحيلها عرقاً متصبباً .. تحلقتم على مقاعد خشبية عتيقة.. حديث متشابك يتداخل في بعضه من غير نظام أو انسجام لابداية .. لانهاية.. أصوات خشنة .. رقيقة .. صدئة .. ممومسقة .. جاهلة .. مثقفة .. آلات تسجيل .. عقول الكترونية .. صوت ارتطام قطع الدومينو .. الزار النرد صيحات الفوز ..تأوهات الخسارة .. مقتل نوري السعيد.. التهديد الروسي ..اعتراف انكلترا ..وقوف مصر.. الاسطول السادس .. دعوة ذنون بطابور .. صينية كبة فرن ..خطاب عبدالسلام عارف..سفر ذنون إلى امريكا صينية طاوة .. دكتوراه في..صينية سمك مزكوف...

وداع حارفي المطار .. أمل في لقاء قريب .

– أتناول طعاماً خاصاً .

– يجب أن تحضر لتصفية الأمور .

– لاشيء بيننا عكر .

نظر إليك رفعت الشاذلي بصمت غاضب .. أصابتك من عينيه ، شرارة لم تحرقك. أضحكتك .. بانار كرني برداً وسلاماً على ابراهيم .

(ان الحديث في مثل تلك اللحظات لايكون إلاّ متبادلاً بالأيدي .. لا تتحدث إلا لسنة إلاّ حياءاً كي لايصرخ الصمت عالياً).

قال عبد السلام النهم : كل شيء صافٍ .. لكن الاجتماع حول طعام لذيذ وشراب طيب متعة عظيمة .

غمزك ضاحكاً ، غمزته ماركة مسجلة فيها صفات سلعته :: الطيبة والمكر معاً .

(الناس يحبون الخشية عندما يكفون عنها .. يبدأون في كره أولئك الذين كانو يخشونهم).

بدأ الاحتفال .. كلمات تتناثر .. رذاذ لعاب .. دماء في الشرايين .. تضرج وجنات تصفيق أكف .. يعيش وألف يعيش .. يسقط وألف الف يسقط .. هياج .. كولا سندويج بلحم رديء .. دخان سيكاير .. عقول مغتالة .. افكار منتحرة .. نفوس جائعة .. أحذية سوداء غليظة ترتوي بعصير العقول .. مياه الوجه على الأقدام .. يغسل أرضية القاعة ليمشي الاسياد .. تبختر .. طاؤوس منتوف الريش .. عيون تنظر إلى السقف .. قزم يرتدي حلة عملاق أقنعة كرنفال تحيط بمهرجين .. هتافات دون أصوات

– اسمع ليست هذه مكانك .

– انا رئيس مؤسسة .. ..

– الرؤوساء هناك في الصف الثالث .

رفض عبدالسلام النهم أن يبرح مكانه .. احمرت وجوه .. التمعت شرارات .. اتصلت حمم .. تطاير رذاذ .. سقط النهم خاسراً .. سحب من يده جلس (الزعيم) وهو ينظر إلى السقف.. القى النهم خارجاً بعد ان غسلت الارض التي وطأها الزعيم بمياه الوجوه

– نزولاً عند رغبتكم :

وجه ثعلبي صغير في اصفراره مرارة الحقد .. ماهذا التواضع الجم ؟! .

ابتسامته أشد شحوباً من وجهه .

دخلت المعمل ساعة التحاقك بعملك .. خشيت عملك هذا كنت صغيراً رقيق الجسم والصوت .. في وجهك براءة الأطفال .. يحاول استغلالك كل من ينظر إلى وجهك تبدو معدوم الارادة .. ساذجاً .. وجه ثعلبي شاحب . يضحك بسخرية وانت تتكلم يدوّم البركان في نفسك .. يستعر .. تقذف حممه .

– ما اسمك ؟ انت ذو الوجه الثعلبي الشاحب بلون القذى ؟

يرتجف الوجه الثعلبي .. اسمي عبدالله الجار جار الله .

– لنشاركك في الضحك او نضحك منك .

تج عليه الأمر .. انطلقت ضحكة واحدة من خمسين فم .. ابتلعته مائة عين ارجلس مهزوماً .

– أنا أعرف معنى التواضع .

– كنت دائماً شديد الكبرياء .

أردت أن تجيب .. لذت بالصمت .. شرك يحيط بك يتربصون أن تقع فيه .

قال علي ببراءة : تكبره ظاهري . أردف ماهر وذو الوجه المجدور : شهد شاهد من أهلها .

(قتلني يابروتس .. كنت تشع في ضوء منيع .. قتلت انساناً يحبك .. أنت شخص آخر .. قاتل خائن .. أنا ضائع .. ضميري شمس متأججة .. انني واضح أمام نفسي حتى أغوار أعماقي .. كنت بالنسبة لي صنم الوفاء .. لقد جعلت حقك عليّ كذلك الحق الذي كنا نبتاعه من بنات الضاحية بدراهم معدودات . . ماأشد أسى الحياة !. أن تكتشف باحتقار وازدراء .. تلك القيم التي كنا نضعها فوق النجوم).

جرضت ريقك .. إنتابتك ارتعاشة حنق . نسغ نزلٍ حتى قدميك .. صعد حتى قمة رأسك .. أحس علي بما تعاني .. وارى ابتسامته الخجلى معتذراً .

أقمت له دعوة كبيرة .. لم يحضر ذو الوجه المجدور .. لن يحضر أحد من مؤسستك خشية منك .. ساءلك أحد الحضورعن رئيس المؤسسة .. كذبت عندما قلت ..

– لم أدعه ..

همس في أذنك : كنت امزح .

– مزاح غير موفق .

عانقتك امه مودعة والنداء الاخير لأقلاع الطائرة يدوي

اعن به .. انه أطيب من أن يستطيع العناية بنفسه

– اطمئني علي اخي

– إذن اعتذر .

– لاحاجة للاعتذار .

تحدث رئيس المؤسسة عن القروض .. والانتاج واللعب والسوق والربح والعملة.. والاستثمار وسندات القرض والحسابات .

– مارأيك ياأستاذ هادي ؟

– معقول

– مارأيكم ؟

– موافقون .. نحن متفقون على التخطيط الموضوع إنه أنجح تخطيط يمكن أن يوضع

(ساروا في ظل أسرارهم بخطى مسترقة وإذا بهم فجأة تحت ضوء الصاعقة)

– لااوافق على ذلك .

الشمس التي حملتها على طرف حربتك .. أطفأتها في ظهر عدوك .

صرخ محتقاً ولكنك وافقت .

– لم يكن التصويت على العبارة الأخيرة .. دائماً هناك أفضل .. قاطعك ذو الوجه المجدور .. متبصبصاً : ماهو الأفضل ؟!

المياه الساخنة تغلي في شرايينك .. خرجت كنافورة تقذف الصهد على خديك

قدمت اليه تقرير مؤسستك

– أرجو أن ينفذ بسرعة

– لم العجلة ؟

– لأنه يتطلب ذلك

– العجلة من الشيطان .. لن يبقوني في مركزي هذا ما تتهامس به الأفواه .. اتهموني بالسلبية

– لا علاقة لهذا بدافع .. انت لاتعمل من أجلهم بل من أجل الآخرين

– الشعب الذي تعني قطيع لايعرف غير العصي نظاماً

– تقع المسؤولية على عاتقك

– لامسؤولية في بلدنا .. لبس من الشحوب رداء

زرع عينيه بين قدميك

كشر عبدالحميد الكبيسي عن اسنان اكلتها اللذة

(الذين يغوصون إلى الأعماق قلة لاتخيفني حياة الجدب .. الحياة حياة .. المهم)

– ماعنيته

– هل لديك اعتراض ؟

– على الجملة الأخيرة .. لاعلى القرار .

– النتيجة واحدة .

تشابكت أصوات تتعجل انهاء النقاش مذكرة بأن الساعة تجاوزت الخامسة (معظم الافتتاحيات تنتهي بنباح مخنوق .. يجهضون لحظاتهم بسرعة فلا تعيش .. يخنقونها بسرعة وبساطة تحيل شفاههم المبتسمة).

تبددت الأصوات في صهد كلمات عبد الحميد الكبيسي

– ملاحظة أخيرة .. أريد أن أبيتها

هناك شكاوى من بعض المؤسسات ... تشتكي من ضعف السيد علي عبد الرحمن في الإدارة .. الموظفون يتصرفون كما يشاؤون .. يشربون شايهم في غرفته .. يبادلهم الملح .. هندامه لايناسب مركزه وأشياء أخرى

(لأجلس وحيداً مع ظلي الذي كان يقعى تحت قدمي)

انصت بشرود

أكلت علياً دمعة محبوسة بين الجفنين

– ليس من حقك التدخل في هندام أحد

وانسحب من الجلسة

(طابور طويل من العرايا .. عرايا إلاّ من أقنعة المهرجين .. أرقام مرصوفة حول مائدة الاجتماع .. كلنا أرقام محفورة في مشانق شامخة تكبر لاتنظر إلى الأجساد المعلقة)

انكفأت في حالة غثيان .. بحثت عن طريق للخلاص .. صرخت في صدرك حيوانات مفترسة تشبثت مخالبها في رأسك .. لم تستطع تنفساً

– أرجو ألاّ تخرج .. هناك تحقيق معك .. تفضلوا جميعاً .

(انساننا للذي يضمه المجتمع إلى صدره انسان فسد لاصلاح له)

ترددت فكرت .. أمران أحلاهما مرّ فضلت المكوث رفعت .. ماهر .. الوجه المجدور لم يبرحوا اماكنهم

نضب النسغ فيهم ، الجليد يحول الصهد إلى قطعة زجاج .

– تحقيق ؟!

– نعم التهم الموجهه إليك عدة .. افشاء أسرار جلسة سابقة، عدم التعاطف مع المؤسسة، سلبيتك في الحياة، مقاطعتك للحفلات والدعوات، رفضك لندوة تلفزيونية رفضك لالقاء محاضرة عامة .

– صحتي لاتسمح بالسهر معدتي سيئة لاتهضم الأطعمة الفاخرة وجهي ليس فوتوجنيك صوتي لايصلح لالقاء الخطب .

(الحياة قذرة صراع وانتصار واذلال واجرام عليّ أن أوسخ نفسي بهذا الصراع والمنافسة لايعرفان الرحمة اكثر الناس دناءة هو الذي ينتقد . كل شيء كذباً ونفاقاً)

احاطتك صواعق رفعت : اتهمتني ... اثبت ذلك سأقدمك إلى المحاكم

(لا أرى الانسان يحتاج إلى المدرسة ليصبح مجرماً تكفي فطرته ، المدرسة تمكن من عقد صفقات اجرامية أكبر ماأعظم ماإفادته دراسته !).

– لاعلم لي بمثل هذا الموضوع أنا مستعد لمحاكمتك وشهودك الزور في الامكان كشف كل شيء .

أدرت لهم ظهرك كلمات عبد الحميد الكبيسي تلاحقك : – لم تنته بعد ، علينا أن نتفاهم لاحاجة لتعقيد الامور .

نظراتهم تهرول خلفك تثقب الجدار .. جدار صمتك ولاأبا ليتك .. عاد بينهم صمت الكلام ، كلام أفصح منه صوت الصمت .. انسحب اللون الأصفر بصمت كنيس مهزوم يعمّق اللون الأحمر الوجوه .

(إن الوجوه النظيفة لاتقبل التلون يكفي أن يكتشف الانسان شيئاً جديداً ان قمة النصر أن تكتشف أنك تحيا وسط الأموات)

لم تيأس مازال البعض معك لابأس إذا سقط البعض، سقوطهم غنيمة بالنسبة لك، انعشتك نسيمات إستقبلتك .

يلزمني التفكير في وسائل للوجبات القادمة التي سيعدونها لي، من الأصوب الا أنشد تفسيرات عند غيري، الا أدفيء أصابعي في قلوب الآخرين أتركهم في ذهني في جميع الجهات بهدوء وحكمة دون أن أفيق، الأشعاعات الغافية وراء الاضلاع إذا كان لابد من الهزيمة يجب أن تكون في حدود المعقول) .

أنت على استعداد لصرف الأمور البسيطة .

الفصل السابع

الساعة السادسة مساءاً

(٧)

ساعة الميدان الكبيرة تدق دقاتها الست نظرت اليها وكأنك تراها لأول مرة لم تستوقف سيارة اجره ..غرست قدميك في اسفلت الرصيف ..في دماء قلباك دمك ينزف يختلط بتراب الارض ..مستنقع الأوحال يلطخ حذاءك ..التحقيق ..سعاد.. وصيدها .. عبد الحميد الكبيسي .. السلبية .. سميرة وسهراتها الشيقة .. رفعت الشاذلي ..ماهر ..رغبة خليل ودعوتها ..ليلى سكرتريك الحب المنتحر .. ترقيتك ..زجاجة الويسكي ..ذو الوجه المجدور ..الدجاج المشوي..عليّ ..حذاؤك المتسخ ..موسيقى المساء التي ستعزفها عنك .. الكرامة المهدورة .. ذنون وكوخ الدجاج انهزامية معاونك ..خيانة سميرة وحبها ..تهنئة سعاد وفضيتلها .

(اني اختنق أين تنتهي الحقيقة ؟! اين يبدأ الزيف ؟! هذا لايحتمل ان بقيت ان رحلت فانا اؤدي دوري)

داخلك يسح دمعا لاتبك الدموع تغسل الاثام لاآثام لك مادمت صادقا مع نفسك مع الاخرين ..قلب طاهر خال من الزيف مقضى عليك بالالم وسط هذا الزيف.

(أين أجد النقاء ؟!)

أخذت سمتك إلى سوق قديم بعيد عنك ملايين السنين الضوئية دكاكين متراصة تنبعث منها روائح اللحم المتعفن ..أشلاء معلقة

(انا شلو مسلوخ)

جيفة سمك قديم روائح تحرق الانف .. يقول من مختلف الانواع ..ابو ادريس يجلس على صندوق فارغ ..يمسد لحيته الشيباء يغرس بؤبؤيه في المجهول

دست جدتك النقود في يديك .. نقوداً قليلة ... تذهب إلى أبي أدريس شاب فتى يستقبلك باشاً .. تحمر خجلا .. تنصيب عرقاً يعطيك ما طلب يودعك

بنفس البشاشة...الاسم .. تر فض الذهاب اليه مرة اخرى حياء عندما يسمع قصتك يستلقى ضحكاً يفحص الارض برجليه

– انت ابن اخي يجب أن تكون قوياً كأبيك

تحبي ابا ادريس تسأله عن الاحوال الصحية والمعاشية ..يحدثك عن توقف الحركة عن الربح القليل... عن الاعمال المنكمشة بسبب انقطاع المطر :..

عن الله الذي يعامل العباد كما يستحقون .. عندما تحدثه عن الانسان الذي يستطيع خلق اقداره ..يسألك مندهشاً

– ألم تسمع بقصة الحية التي رأسها رأس فتاة ؟

لم يدعك تجيب

– ألم تسمع ماقالته لمن صادفها اذا لم يكف الناس عن الذهاب إلى السينما ومشاهده التلفزيون وسماع الغناء واللبس القصير والزلف الطويل ستقوم القيامة :

– حديث خرافة

يستنكر ابو ادريس عدم تصديقك يدعوه كفراً يخشى عليك الله :. يردف بيقين

– كل الدلائل تبشر بالقيامة ..الغلاء ..الامراض ..الموت بالسكته .. اللكفر .. البسة النساء والشباب ..عدم التفريق بين الذكر والانثى ..عدم احترام الكبير ..التدخين أمام الاباء ..شرب الخمر ..التلفزيون ..السينما :.الملاهي

سألته عن ولده هاشم رفيق طفولتك.

اجابك انه بخير عميم وصمت بتأمل.

سألك هاشم : – هل أوصلك ؟

وضعت ما اشتريت في سلتك : فتش حذاءك .. أرني ما استبقيته لنفسك من نقود دهشت .. غضبت : انا لست سارقاً

– غشيم لاتعرف حسن التصرف كل الاولاد يفعلون ذلك .. يستبقون لنفسهم درهماً .. درهمين ويوهمون أهلهم

أقسمت ألاّ تحدث هاشماً ثانية .. ما أن يراك حتى يقترب منك يقدم لك سيجارة

تعتذر .. يحدثك عن صديقته العاهرة .. تشمئز ،عن حب فتاة له يشتهيها .. يلوك جسدها في راحتيه ... يحدثك عن نشوة الخمر .. عن نقوده التي بعثرها في الملاهي ... عن ... عن ... عن ... أشيـاء كثيـرة تخجل من سماعها

– لقد ابتنى له داراً كلفه ثلاثين الف دينار باب الكراج من خشب الصاج .

ما أعظم اطمئنانه..انه يسعى إلى اغراق أناه ملتصقاً بالاخرين متمسكاً بالفضيلة متى يأتي الموت فيكنسه بغير شرور..بغير اثارة عواطف..ببيع أشلاء خرافه يلد أولاداً في عناق دائم ينعم بالدفء لامكان في حياته .. لمثل اليرقات التي تحيطني) نظرت إلى ساعتك ..الزمن يسرقك ..لاوقت لك تبدده ..استأذنت قبل ان يأتيك بالشاي ..قطعت الدكاكين بخطواتك السريعة .. قلق مبهم تسرب إلى نفسك.. سيطر عليك ..منعك من مواصلة السير دعاك إلى الرجوع ..ألم يمضك كأنك تريد أن تنسى الحاضر في صور المستقبل ..وجدت عند ابي ادريس استقراراً لنفسك القلقة.. وجها من الماضي.. قطع عليك خطوك.. اوقفك في ومضة عينه التي سرعان ماضبّت ..ومضة الماضي ..ومضة ذكرى،فتحي جديد

(لايريد ان يحيي الماضي يريد قتل الماضي بخناجر الحاضر)

الايدي في عناق ..لقاء حب من الماضي ..حب لايعرف الرياء

– عجباً لاول مرة أراك في سوقنا القديم

– انني بحاجة إلى اعادة الماضي

– تبدو تعباً تلوح عليك امارات الشيخوخة تزوج ياأخي ثابتة

(فتحت لي البشرية احشاءها أطلعتني الحياة على أعماقها ..رغم كل شيء أحس بالضياع)

– لن اتزوج قبل ان أجد نفسي في زواج لن يفشل

– أنت أناني دعني من فلسفتك .. لاأفهمك .. تعال نجلس ونتحدث

أخبرته أنك على عجل طلب اليك ان تنسى عملك .. ان تستعيد الماضي معه .. أن نحيا في الذكرى التي حاول ان يحييها في نفسه فلم يفلح

– فيك حياة عشتها

احسست انك تجاوزت حتفك، هذه الرغبة التي تجتاحك ان تمزق ذكرى انسان (بودي ان انزل إلى مقر القلوب جميعا.. إلى قلب تعذب.. يبدو انه سلا العذاب.. سلاليلى شهيدة الحب والعفاف ابتها الدماء الطاهرة التي بامكانها اقناع العدالة الباغية كسر سيفها .. لمحة ذكرى تشجينا .. لنترك الشجن في ضباب الثرثرة)

– ماعدد اولادك؟

– درزن كامل والثالث عشر في طريقه الينا وانت مازلت من غير ولد توكل قبل ان يفوتك القطار

– دعك مني كيف تدبر أمورك وامورهم

– أمورهم يدبرها الله أموري ادبرها بنفسي

– سمعت أنك تسرف في المتعة

– ماالحياة.. سكر.. نساء .. عمل.. نوم

(انه مازال يحس ثقل الماضي .. كل هذا هروب من الواقع .. كيان ليلى يجثم في عقلـه يزن ملايين الاطنـان مـن الحديد .. لـن يستطيع الخلاص) .

المؤسسة.. عرق المستكي.. النقود.. العمل المسائي.. توقف المطر.. بطة.. الزقاق القديم .. دار فلة .. لعبة الكعاب ..ابن عمة محمود زواج خلوق من صبحة ... موت ام علي.. سيارة بيكب لنقل اللحم .. أرشد جندي.. موت الاغنام .. فاضل معلم ..انخفاض ثمن اللحم .. طفار الشعير بعشرين ديناراً .. أبن علي في الخامس الثانوي.. فقدان الشاي من السوق .. تزوجت ابنته ضابطا في الجيش .. والدته توفيت.. الشعب يكدّ.. والدتي حية .. صحتها جيدة .. ندافع عنهم بدل دفاعهم عنا .

حاولت ان تغوص إلى مقر قلبه أحسست انه يتبعد عنك يتركك في عزلتك (انا بعيد عنهم في دهشة المجهود.. ها انا أغوص في وحل الشارع مهجوراً بين نث المطر وضربات الرياح انا ضال يائس لانني أحب الاشياء جميعا .. كما لو كانت طبيعية ... أقاسي لانهائية الشقاء الذي قرأته في الاخرين.. أتلقى عقابي في كل نفر

صامت في كل إنسان يمرّ منك .. أضع اللانهائية في نفوس ابطال رواياتي .. اللانهائية تعيش في داخلي.. هذا الفضول الذي يتملكني لمعرفة كل نفر كل حقيقة تكمن فيه هكذا أسير خطوة خطوة إلى اللانهائية كانني نجم مذنب تائه بين السدم .. لم كل هذا العذاب .. كان يمكن أن أتعذب لو اقترفت ذنبا .. ينبت شقائي حيث يبكي المستحيل انا لاأومن بالغفران بكل الاوهام انني أتعذب : على وجهي شهيد مصلوب) .

طلبت اليك مدام بل ان تقرأ قصيدة البحيرة بالفرنسية قرأتها بطلاقة اعجبت بقرأتك

– في صوتك حنان بلبل وبراءة طفل

تملت وجهك : – لم تعرف معنى العذاب وجهك طفلي Baby Face

عرفك طلاب الكلية باسم (وجه الطفل) لم تغضب منهم يوماً

خطواتك تأوهات حرّى..لماذا تصعد هذه الصرخة.. صرخة الالم.. صرخةالبؤس .. الرعب ..العذاب ؟! صرخة الحقيقة المستترة في حقيقة مستترة .

تطاردني اشباح الانسانية ..لاأعلم من انا ..ولا إلى أين أمضي ماذا أفعل ..صرخت من أعماق هاويتي نحو شعاع من ضيائي).

انتفيت كتبا قديمة من كشك قريب ..سيار تاكوس... القلق ..السأم..الاحتقار .. الأنتحار اللاشعوري الدادية ..حياه بلا ضفاف.

اقتربت من حديقة عامة كبيرة قطعت خطوات ..هنا زهرة حمراء ..هنا فلة.. فراشة حائرة ..

عجوز يتفلى ..طفل يشحذ.. صباغ أحذية يترقب الاحذية ليقتنص واحداً..عاهرة تتصيد ..سمسار يراقب الجيوب ..نشال يمعن النظر .. طالب يقرأ باذنيه ..آخر يقرأ بقدميه ..امرأة تنتظر حبيبا يتحفظ .. صانع شاي يتملى البخار ..شيخ يغوص في ضباب فنجانه ..مقعد مبقع ..بقايا وريقات خسّ ..قشور لب ..وعاء قمامة

قال لك عبدالله ابراهيم نحن في صراع مع مجموعة عدنان نور الدين علينا ان نكون انا وانت الاول والثاني في امتحان البكالوريا

– لن يستطيعوا منافستنا

– صدفة رائعة كنت ابحث عنك ياستاذ ..

يفيقك صوت غير مشذب ..تتعرف على الوجه الطيب

– سيقيم النادي ..ندوة في القصة ..نطلب مساهمتكم فيها

اردت ان ترفض تجربتك غيرنا حجة في نشاطات النوادي الثقافية .

كنت تلعب النرد مع مجموعة من أصدقائك عادة تتبعها كل جمعة تاكل الملح تغتسل بالبيرة .. توسد أصابعك قطع النرد تنشق المحبة تفتح صندوق أعماقك تزيل الصدى عن فضياتك .. تجلو مجوهراتك .. تطرح أشياءك القديمة طرق الباب

طرقة مؤدبة لانثى وجه ودود عبر مشبّك الباب ذنون عزيز .. إنتابك العجب ، النادي يوم المسرح العالمي محاضرة عن الدمى نود أن تشاركنا الكل يود سماعك حصلنا على موافقة بعد اسبوع شكراً نلقيها بالنيابة .. مشافي نرسل في اخذها .. لنرسل القاريء لتقرأها عليه شكراً جزيلاً .

الكلمات بعضها ناضج بعضها بخات سحب صيفية يسقط الخمار .. فاتك ان تجمع كل الثمار في سلتك

– بعد اسبوع مع خمسة من القصاصين

سعالك الشديد أعلن عن قدومك يتساقط ركام الثواني بعد أن سرق المحتفلون الزمن

– نحن في انتظار رئيس النادي

لن يأتي ،مصاحبة ربع زجاجة افضل من كل المسرحيين من اسخلوس إلى ادورد البي همس في اذنك شاب مثقف

– اعرفه جيداً

خرج أناسٌ يبحثون عن كرامتهم خارج القاعة.

(عليٌ أن أبقى)

لعنت اللحظة التي ضعفت فيها .. قرئت محاضرتك أنكرتها لم تكتبها بهذا الشكل غفى من غفى .. دارت ملح واحاديث وقزقزات لب اعتذر اليك القارىء بأنه

لايقرأ النحو رياضي قديم يترع في قفز الموانع: تخطى كل كلمة لم يحسن قراءتها خجلت من نفسك أسفت على جهودك التي ذهبت سدىً

(هل انا مجنون ؟.. لو لم اكن واعيا حالتي ..لو لم أحللها ..أسير أفوارها لاعترفت بالجنون)

– سأكون مشغولاً عفواً ..أعتذر .

نظراته فضحت كذبتك ..تناقضك ..خجلت من ضعفك ..خجل من خجلك شكرك وهو يبتعد ليهرب من التمثال الذي تهشم في بؤبؤية.

انتابتك رعشة مفاجئة ..ليست رعشة برد ..رعشة غريبة من رعشات القلق والتوجس حثثت الخطى مرتابا مرتعبا دون سبب تتقيأ وحدتك التي امتلأت بها حتى الغثيان .. بدا لك أن احداً يتعقبك قريبا جداً منك يكاد يمسكك استدرت على عجل . (انني وحدي .. لم أر سوى الطريق الناس منشغلون بقضاياهم الصغيرة)

– أتعبني اللحاق بك سيرك سريع جدا.

ظننت احداً يتعقبك

– ذهبت إلى داركم فلم أجدك أهنئك انت الاول عدنان الثاني واحد منا وواحد منهم لكننا الافضل.

– وانت

– لا اعرف.. ناجح فقط ستظهر النتائج غداً اخبرني قريب لي بكل ذلك .

درت على ساق واحدة جذلا.. دورات سريعة على عقب الحذاء كفطروف طفل.

أوشكت على السقوط فتحت عينيك رأيت الاشجار. ترقص معك .. الارض تدور من تحتك

(لماذا تلاشت سعادتي ؟كم كنت مرحاً طروبا أين ذهب كل ذلك)

حثثت الخطى كأنك خشيت على سعادتك الماضية ان تسرق

(جهلي من اين أتيت ..لماذا ؟إلى اين اذهب ..سبب كل شقاء ..هل انا مجنون.. هل يفكر جميع الناس كما أفكر أم انني مجنون حقاً) ؟

ترقى سلم الحديقة مسرعاً تلتقط اول سيارة ينظر اليك باحترام

– تفضل بجانب الباب المقعد اكثر راحة إسمح للدكتور بمجلسك.

ترفض هذه المجاملة يقسم بالطلاق يستجيب الراكب تجلس على مضض

الكراج العام مزدحم، عشرات الزوار .. عليك ان تستقل السيارة عمل مستعجل ينتظرك أخذت مقعداً قرب الباب تقرأ في كتاب امتلأت السيارة مقعد فارغ إلى جانبك .. شاب أنيق يحدث سائق السيارة يتقدم منك السائق يأمرك ان تعطي مكانك (للاستاذ) في وجهه بذاءة التشرد في وجه الاستاذ تكبر محدثي النعمة رفضت .. طلب اليك النزول .. رفضت .. حاول .. الححت في الرفض (الست في بلد ديمقراطي لا يؤمن بالتفرقة العنصرية ولا التميز الطبقي .. دمه أزرق .. رغما عنه)

رجل محترم منصب كبير .. عائلة كريمة .. لا تعرف الناس .. لا تفهم .. الناس مقامات لن أحرك السيارة .. انزل بالقوة .. تخلى الشاب عن مجلسه قرب الباب جلس الاستاذ غارساً عينيه في قفاك

تحدث عن النظام..الاحترام .. المناصب.. العدالة الاجتماعية الملابس .. السيارات .. القصور .. الازياء الباريسية .. العمارات والاراضي .. مجلة الشبكة .. الاحذية .. الاربطة .. داخل حسن .. معجزات الاولياء .. ام كلثوم ..

سائق السيارة مرآة يرى الاستاذ فيها وجهه.. وادٍ يرجع الصدى، قفا رأسه وجهه وجهه قفا رأسه .. سيارته ماريافسكايا .. ترقص بحيرة البجع..

– احذر أن تسحق الطفل.

– صرخة خوف تندحرج السيارة، معصرة بشرية .. رأس السائق ليمونة مفعوصة وجه الاستاذ خارطة العالم مخططة بالدم .. غاصت قدماك في الدماء .. أعانوك على الخروج بيد مكسورة

صاح نقي متلفع بالسواد لابد في السيارة نجس

ضحكت في داخلك : أقل الضحايا خسارة

تحسست آثار الذكرى حاولت أن تتحرك أخجلك كرم السائق :: سينما غرناطة.. مخزن شذى .. أحذية الدهان .. بقالة عبد .. مخزن ليلى :: حلويات زهير .. صيدلية الأمة .. مخزن الشعب .. أصباغ العدالة .. الطبيب مجروح خالد المقاولون عنجور ومبعوج المستويان .. احذية النزاهة .. خياطة المفتوق ..

– نسازل

– أوصلك حتى باب الدار فضلك علي كبير الاتذكرني .. انا تلميذك نجم عبدالله .

يأبى الوجه أن يستيقظ في ذاكرتك .. تذكر نجما الاعور فيلسانه حبسة .. لسانه طلق عينه عوراء

– الا تذكر نجما الاخرس

طلبت اليه أن يقرأ التقرير الذي قدمه تأنأ .. تلكأ .. ضج العمال في الضحك .. صبغ الاحمر وجهه كشعاع شمس الاصيل ، ليس من الذل رداءً من القبح من الفقر

(عليك أن تثبت كفاءتك .. بعد عدة أشهر اكتشفت شيئاً جديداً قوة صوته.. قدرته على المجابهة).

– أسعدني لقاؤك حقاً لقد تغيرت كثيراً .

– اقتديت دائماً بك تبدو أكثر شبابا .

أعاد لك ثقتك بنفسك نهيت سلم دارك قفزاً كأنك في الخامسة عشرة

الفصل الثامن

الساعة السابعة والنصف مساءً

(٨)

سألت عن الطعام والساعة تعلن دقة واحدة انتبهت اليها كانت النصف بعد السابعة

صرخت أمك أترك هذه العادة القبيحة تسأل عن الطعام وأنت في الزقاق.. تعلم الادب غمزتك جدتك .. تصرف كما تريد .. أدعو الله ان يبقي مرحك .. وبخت أمك على تأنيبها لك

الصمت يغلف الدار وجه جديد يستقبلك

– اسمي عطوة

تساءلت عن كلي : طردتها عمتك بتهمتها الازلية السرقة .

صاحت عمتي : عطوة أخت غزوة واردفت : – اين كنت ، لماذا تأخرت إلى هـذا الوقت

وضعت الطعام على المائدة في وجهها طيبة أقرب إلى البلاهة بدانة بطيئة ابتسامة فيها يلوب كل الاخيار المنسحقين

– ما اسمك ؟

– غزوة

– أعدي المائدة تأخرت فبرد الطعام .. اين كنتعند الحبايب !

– في العمـل

– يجب أن تتزوج ثانية لم تعد **عاقلا** كما كنت قبلا أفسدتك الاسفار

– هل تريدينني أن أتزوج حقاً ؟

– طبعاً

– أخشى أن تغيضك

استخفك فرحة طاغية : وجدت الزوجة المناسبة.

– من تكون ؟!
– اسمها الهام ابنة توفيق الكاتب .. والدها موظف سابق .. أمها قريبة قريبتك.. ليس لها اولاد عم
– لا تناسبك .. لا تناسب اسرتنا من اسرة وضيعة .. يجب أن تراعي تقاليد الاسرة
تزوج قريبتك .
– لا احبها
– تحبها بعد الزواج
– مرتبي لا يكفيها ثياباً
– تزوج قريبتك ....
– لا أحبهـا
– تحبها بعد الزواج
– ازدرت لسانك وسكت عندما سقطت على الكرسي مغميا عليها كنت تدرك أنها تفتعل الاغماء لتحقق بغيتها
(تافهة متكبرة .. ارستقراطية مفلسة .. علقة .. لست حيواناً مجرباً ...)
– لابد انك تفكر برغبةخليل انها لاتصلح لك..أسرتها ليست بمستوى اسرتنا.
(كأنها هي التي تتزوج لا أنا)
أعطني البشارة لقد حلت عقدته
– ما وراءك يا حازم
أغرق حازم في الضحك إنه عاشق يحب موظفة في المؤسسة. اكفهر وجه عمتك العالم خرم أبرة لا يسعها
– رغبة خليل يقول أنك تعرفينها
كلفني النبأ مبلغاً من النقود أجرة غرفة في المستشفى وأدوية.
– لن أتزوج الاّ عندما اريد انا ان اتزوج
– لن تحصل على زوجة اذا فاتك القطار وانت مطلق

(أنا لا أعلم أين امضي ولماذا أفعل هذا ولا أفعل ذاك .. انني أتضرع من عمق هاويتي إلى شعاع من ضوء لم أتزوج ليس لي احد أعنى به . يعنى بي لا مال او مستقبل تمر لحظات يقلقني ذلك حين افكر أن في نهايتي نهاية نسل بدأ مع الانسانية هل أنا سعيد .. شقى .. لا حداد عندي لا أسف .. لا رغبة معقدة).
لابد ان تكون سعيدا .. كنت في طفولتك ذا نفس حساسة يدفعك تطلع صوفي.
(رغبة ملحة تدفعني إلى أن أحيس نفسي وجهاً لوجه مع الماضي)
كنت تصنع لنفسك قيمة فائقة لقد اعتقدت أنك اكثر من مجرد انسان .
(لقد هوى الان كل ذلك في العدم .. العدم الذي تجري به الأيام . هذا أنا الان امدّ جسمي على كرسيّ وأغفو في نفسي ، جسم يميل إلى الصفر ليس في ما يؤخذ عليّ أو ما يستلفت النظر ما جدوى تضرعي .. ثورتي .. ليس أمامي بعد هذا أن أكون سعيدا أو شقياً لن أبعث الحياة من جديد سأشيخ في الهواء نحو نهايتي لاأرى غير شحوب وجهي بحجريه العميقين مدفوناً في كآبة نفسي .. فمي ممتلىء بسكينة تخنقني باصرار لا منجاة منه .. الخواء في رأسي ليس لي من يحيط بي .. انا انسان يائس يتوق إلى الخلاص .. إلى النصر).
– أعدت المائدة
شكرتها نادت عمتك .. زعقت في وجهك ..لا تعاملها بلطف..أليست خادمة ؟!
تشكو لك غزوة صعوبة حياتها أمرأة أبيها تتعسف في معاملتها .. رفضت ان تزوجها من شاب تحبه .. تريد تزويجها من شيخ لأنه دفع فيها ثمنا أغلى .. ذهب الشاب يسعى لجمع المال وعدته أن تنتظر.زوجة الاب تلح عليها أن تتزوج ترفض غزوة،تلح زوجة الاب.بكت غزوة بدموع غزار عندما دخلت عمتك رمتها بالعهر رمتك بالفساد والتفسخ. هجمت عليها ترسعها ضرباً وركلاً حاولت أن تخلصها هربت غزوة عند عودتك في المساء عرفت الخبر .. غزوة أحرقت نفسها. ذهبت عمتك إلى زوجة ابيها تشتكيها تلفق الحكايات،زوجة الاب نيرون الطاغية أضحت غزوة محترقة تحت وابل من سباب زوجة الاب وترجيع العمة

– لا تعاملها بلطف

– الخدم لسن عواهر اناس اشراف قادهم القدر إلى براثن طغاة سموا الاسياد في كل عصر

جلست إلى المائدة لاترغب في الاكل جلست عمتك قبالتك انها لاتشاركك الطعام ابداً تطلب اليها ان تأكل تعتذر بانعدام الشهية :

همست الخادم في أذنك لا تحزن انها تأكل قبل الجميع أفضل ما في الطعام . تلصصت عليها ذات مرة كانت تنتقي أفضل ما في القدور تضعه في إناء كبير تجلس القرفصاء في المطبخ تلتهم الطعام تمليت منظرها محزوناً.

(لماذا تفعل ذلك ؟)

عندما أحست بوجودك تنهدت أنّت قالت بألم خذني إلى الطبيب لا شهية لي .

أحسست ببدء موسيقاها تسميها موسيقى المائدة تسمعك إياها كلما جلست للأكل.

– هل الطعام لذيذ؟ .

سؤال ترددده كلما جلست إلى المائدة قبل ان تبدأ الأكل

(لا أجد ما يلذني ليس من يحبني .. أنا وحدي .. أجلس كصرخة توشك ان تنفجر بعد أن سحقتني قذارة الحياة .. أرى في وجه المرآة ضعفي .. قيودي .. أمد يدي نحو المجهول بأصابعي المتوترة بيدي اللتين لهما هيئة الاشياء الممزقة.. أنا لا أعرف ما يجول في ذهن المرأة الجالسة امامي .. عمتي لا أعرف هويتها .. كل منا يستخفي على صاحبه يغلق نفسه أمامه .. ان جنونها يصدمني .. نظراتها تصدني كالحواجز ...)

دار الحديث عن النقود والمرتب والمدخرات تراءت بشائر الطمع البعيد ، تجلى في عينيها حلم الاستيلاء

– أين تذهب بمرتبك ؟

– مصروفنا كبير .. حاجاتنا لاحصر لها

– أنا لا اكلفك شيئا .. تصرف كل مرتبك على ملذاتك

– ملذاتي لاتحتاج إلى المال

– أين تقودك ؟

– أدخرها

– أرني دفتر حساباتك

– أنا لا اقدم حساباً لأحد

شهقت باكية .. بداية معركة

– انفقت عليك دماء قلبي منذ مات ابوك

لطمت أمي صدرها .. صرخت مولولة .. أبوك مات.

نهضت مسرعاً كعصفور دوري أصيب برجله .. تحاول أيقاظ أبيك يجبْ .. نكثت شعرها قطعته .. مزقت ثوبها .. تجمع النسوة .. انتصبت مشدو غالبت دموعك أعطتك درهمين .. دفعتك خارج الغرفة .. تجمع الرجال الفناء .. بكى من بكى .. تحدث آخرون .. أحالتهم فجاءة الموت إلى مهر في سيرك .. النساء يولولن يلطمن الصدور .. يمزقن الثياب .. يقطعن الشعور بكيت بغير ارادة .. نضب في نفسك معين الحنان

(عليّ أن أعنى بنفسي لم يبق لي احد)

– هل تريدين مالاً

– الانسان بحاجة دائمة إلى المال

– اخرجت من جيبك قطعة من فئة كبيرة .. وضعتها في جيبها .. ابتسمت لا مرة .. اعادت سؤالها عن لذة الطعام أجبتها بايماءة من رأسك

(لتترك الغناء ونهجر القيثارة الحمقاء كي لا تغني كلمة كذوبة .. كلمة خواء.

– انت لاتقول الحقيقة لايعجبك طهي

– انني آكل

– ترى ما الذي كانت تعده لك جينا

تدخل الشقة الأنيقة يستقبلك لاسي نبحة حاق وهزة ذيل تداعبه تبتسم جبنا تحية بعد دقيقة أعد المائدة

تجلس إلى المائدة موسيقى جايكو فسكي

تشف أذنيك .. لاسي تمسد قدميك..يبحث فيهما دفأ لذيذاً..جينا تقدم لك ماتحتاج من الطعام ، أطعمة لذيذة سهلة الهضم تروي لك قصة قرأتها حادثة صادفتها أثناء العمل .. ملحة تحس أنك ترغب الاستمرار في الجلوس إلى المائدة .. الحلوى .. القهوة .. سيكار لذيذ .. غوص في بحر السعادة لاسي يلتقط القطعة التي ترميها له.

– لم أسمع نباح نابليون .. عطوة هل وضعت الطعام للكلب ..

– لم أر كلباً .

صرخت بغضب أين نابليون .. هل نفذت فيه الموت أيضاً ؟ لماذا تكرهين كل ماأحب ؟!.

– لأنني أحبك .

– أنت تحبين نفسك فقط .

ضربتني بشدة .. عصا غليظة أعدتها لضربي .. مزقت كل الصور التي جمعتها سنين طويلة من التخفي .

نهرتها جدتي .. لم تضربين الطفل ؟! .

– أريده ان ينصرف إلى دروسه .. أن يترفع عن اللعب .. عن الصور ..

– انه ولد مجد .. كفي عن ضربه .

– لاتتدخلي .. دعيه لي .. أريد له الخير .

– عنيت بك منذ وفاة والدك ومرض أمك : لولاي لتهت في الشوارع .

(ماأنت إلاّ سلة جوفاء من قش تعابثها الرياح .. فلا تموت ولا تصان ...)

أسرعت في البحث عن نابليون .. إنأوه مليء بالطعام .. بحثت في أرجاء الحديقة لاأثر لنابليون .. تسمع صوتها يتردد في جنبات الدار .

– لابد أنه هرب .. قطع سلسلته وهرب .. إنه موسم تكاثر الكلاب

كدت تصدق قولها (ربما..) تخرج إلى الشارع تنظر في بعديه مليء بالأقدام .. الحوافر .. خال من قبضة الكلاب .. الزهرية .. حاولت أن تبتعد .. تفتش عن نابليون .. عندما سمعت البستاني يهمس في أذنك .

– عفواً أستاذ .. طلبت إليّ ان أضيعه .

نظرت في الوجه الترابي في العينين الواسعتين في الأخاديد التي حفرها كدح متواصل أردت أن تصرخ في وجهه .. تلعنه .

(ماذنبه نفذ أمرها) .

اهتاجت أعصابك وددت لو عدت أدراجك لتحطم الصوت الذي مازال يرن في أرجاء الدار ، أن تقتل الارادة التي اعترضت طريقك دائماً التي سحقت بددت كل الأشياء التي أحببتها .. تحبها ..

– أمرتني أن أضيعه اضطررت .. أنا أعرف أنك تحبه .. لاحيلة لي ::

(أنا ميت عقدت له الرايات محطم متوقد الكلمات . ممزق بين الجموع بالف ألف سهم)

– أعطتني كيساً وضعته فيه .. نبح المسكين بشدة .. أخذته على الدراجة إلى سوق القصابين تركته هناك :

هممت أن تلحق به أحس البستاني رغبتك :

– أخذه صبي لن تجده .. أخذه الصبي وذهب .

(أخذه الصبي .. أخذه الصبي .. أخذه الصبي .. أخذه الصبي ...)

– عدت إلى الدار مهموماً .. قبرت حباً في قلبك .. قلبك مقبرة تضم عشرات القبور كان الوجد قد بلغ أقصاه في نفسك .. أحببت حمدية ..

دخلت حمدية غرفتك .. في وجهها صراحة قاتلة .

أحب دازد سأتزوجه .

– ماذا عنّا .. عن ..

– لاأرى فيك غير صديق .

(جفّ النبع .. ذابت الخفقات في القلب الكسير .. أحسست انني نخلة منخورة) .
انتظرت .. الصمت سنون زمن وحشّي . ودعتك.
– سأكون صديقتك دائماً .. اعذرني انني أحبه.
أستقبلك نابليون ينبح بمودة هزّ ذيله مرحاً .. لم تعبأ به .. بدت دهشة في عينه فرك رأسه بين ساقيك .. قفز .. نط .. قام بكل الحركات التي تحوز اعجابك جلس في الصالة تحت قدميك يعاتبك .
حرك الانسان في داخلك .. بين ضلوعك الملتهبة .. نفدت الاحلام في غابة أشجانك مسجل العينين في مزالق القلق .. استوى الالم يحطم الكيان يستصرخ الشجن .. تنهل دموعك .. غزيرة النهطال في وحشه الأسى .
أقعى نابليون قبالتك .. صامتاً . حزيناً .. باكياً .. أدرك فجأة أن الحزن لايجدي وثب بفرح .. قدم أمامك كل ماعلمته إياه أحسست فجأة انه الوحيد الذي يحبك الوحيد الذي تجد لديه قلباً نابضاً .
– لن تعثر عليه أخذه الصبي .. أخذه الصبي
(فقدته كما فقدت حمدية .. فقدتهما ، دائماً أفقد ماأحصل عليه ..)
همس شريف في اذنك .
– أرجو أن تساعدها .. حمدية قريبتي .
في عينيها تحد في وجه ذئبي .. أنفها الكبير يوحي لك بعناد صارم وسط وجهها الصغير .. خداها روضة ورد أحمر .. ابتسمت عن فك فيه صرامة .. سمعتها تهمس في اذن شريف
– أهذا هادى لاأرى فيه القوة التي تحدثتم عنها في وجهه رقه محببة .. صوته معبر جميل ..
عندما جلست أمامك احسست بتعاطف شديد معهما .. غضب في عينيهما الضيقتين الماكرتين .
(ليست جميلة) سألتها أجابت دون خوف (تختلف عن جميع العاملات الجدد)
اكثرت من الأسئلة أجابتك عن كل ماسألت بلا مبالاة تامة .
قبلت حمدية في مصنع اللعب .
مقعد حمدية مقابل منصتك تسأل .. تجيب حمدية .. يعجز الآخرون عن الاجابة

تجيب حمدية .. تغضب .. يستكين غضبك عندما تنظر في وجه حمدية .. تبدد تعبك في ابتسامة حمدية .. يتولد أسأك في غياب حمدية .. حمدية .. حمدية .. حمدية أقمار تدور في حياتك .. ضياء يلف عتمتك .. حمدية أمل أشرق في ليلك.
(عادني ماشجاني من أغنيات .. تذكرت رموزاً طباشيرية رسمت على جدران حياتي .. لم يحل سرها أحد أين تبدأ الذاكرة ..؟ متى يزول الحاضر فيحلق الماضي بموالة .. ولا يبقى من الشقاء غير مصغر الورق .. الحب يبقى بعد نكسة سلامنا .. كفن الحب إذا ماالشتد الاسى تفتق مانزال اقدام الحب الذاوي تعقد حبل الهزيمة حول عنقي .. أنا انسان مهزوم أركض هرباً أنظر ورائي ظل هزيمتي النكراء..)
حمدية تبيض كتاباتك .. تراجع أوراقك .. تجيب رسائلك..تختار ربطات عنقك..
حمدية تصطحبك إلى السينما تقرأ الكتب التي تقرأها .. تناقشك .. تسمع الموسيقى التي تحب .. تحب الفرح مثلك .. حمدية صراحة ثورة .. عناد جميل .. طيبة أرض بكر.. زوغان ثعلب .. حذر قبرة .. فتنة قطاة .. حدثتها عن حياتك .. حدثتك عن حياتها ... أحبت .. فشلت كما أحببت وفشلت.. حدثتها عن أحبابك : دواوين الشعر.. القصص .. الموسيقى .. الافلام ... نابليون .. أحبت كل ماأحببت .. همست في أذنك أنا التي اخترت نابليون .. حدثني شريف عن حبك الاسي ... اخترت لك نابليون طلبت اني شريف ان يأخذه الباك ..
– لن تعثر عليه .. أخذه الصبي .. أخذه الصبي
(فقدت نابليون كما فقدت حمدية ...)
جرس التلفون يضرب بشدة صوت عمتك يتردد في جنبات الدار ..
ينصب صوت رغبة خليل في أذنيك : – لابد أن تأتي ستكون حفلة ممتعة.
تصرخ عمتك : – لابد أنه قطع السلسلة وهرب .
– أقمتها من أجلك
– كرست حياتي من اجلك وتنهمني بضياع الكلب
– البستاني أخبرني بكل شيء
– أنا لم أتحدث عن بستاني !

– كنت أتحدث مع عمتي
– البستاني لص سرق الزجاجات الفارغة .. البرتقال .. اطرده لاأريده ان يعمل عندنا .
– هل ستأتي
– إنه يعابث الخادمات .. كان السبب في فساد كفي
– أراك لاتجيب .. ماهذا الصياح ؟! لم تعد تحبني
– أعصابي تحطمت كفاك صياحاً
– ماالذي أصابك
– بدأ بمغازلة عطوه منذ قدومه
– سأنتظرك لاتنسى الموعد
– لن أستـ ... كفاك صراخاً أكاد أفقد أعصابي
– أطرد البستاني وإلاّ سأطرده أنا

جرس الباب يضرب بشدة .. جرس التلفون .

– لاوقت لك تحدثني به .. برد للطعام .. لم أنه حديثي معك

خطوات شريف عبر المدخل .. صوت سميرة عبر الأسلاك ..

– نسيت أن أخبرك هات معك زيتوناً وعنبة وتوابل ...

تسمع عمتك وقع خطوات شريف يزداد صراخها .

– جاء ثانية .. مرة أخرى .. أنا لاأستطيع رؤيته .. كانت دارنا في الماضي قبلة الأكابر .. واليوم ..
– ماهذا الصياح تبدو عصبياً
– إنها عمتي أفقدتني أعصابي .
– لاتنزعج سأضعها في ثلاجة
– لو كان أبوك حي .. خالك .. عمك لما سمحوا لك

تكاد تمزق طبلة أذني : كفاك صياحاً

– أنالاأسمح لخول مثل هؤلاء إلى الدار .
– أصدقائي ..

وصرخت سميرة مستنكرة

صرخت عمتك

ضحكت سميرة بدعارة

(لمن نغني بعد أن نصاب بالصمم)

رجوتها أن تكف عن الضحك .. وضعت الغراب الذي جرح طبلة أذنك

ازدردت غضبك .. استلقت .. رفعت ساقيها .. ساقين ممتلئين اعتـادا الرفـع

صرخت بك : اسرع .. انا على عجل ..

استلقيت بجانبها .. رفعتك بين ساقيها .. ساقي مصارع .. وضعتك داخل حلقة ، فمها حلقة .. اسنانها حلقة .. العلك في فمها حلقة .. عيناها .. اذناها .. حلقات تحيطك .. انت صفر في حلقة .. ارتديت ثيابك على عجل .. أنقدتها الثمن .. خرجت مسرعاً دون ان تنظر وراءك .

(انها لاتعبأ بعاطفة الرجال كوثن لايعبأ بالقرابين . إنها مصدر غثيان دون أن تحس بذلك).

أحسست بالغثيان من ضحكة سميرة

(لافرق بينهما كلاهما ذات هدف .. المال .. المتعة ..)

صاحت عمتك : برد الطعام .

لعنت الطعام لعنت كل شيء .. أسرعت إلى الصالة :

صوت عمتك يغلفك بغلاف من الغضب :

همست عمتك في اذن امك : عرفت لماذا يرفض الزواج ثانية ... مشغول دائما اناط من الناس ...

فضحكت العمة ضحكة ذات معنى

قالت بتحد .. ولدك فاسد.

– فسد منذ سافر إلى بلاد الكفر.

شريف ضحكة طيبة تمسح عن كاهلك أسى أيامك .. تحس في قلبه حنان أخ..
قدم اليك روايتك الاخيرة .. كتبها بخط جميل .

– رواية جيدة .. واقعية .. رغم استخدامك للرمز .. كنت أحس وجود حمدية بين أسطرها (جنون .. جنون النساء .. كدت أقتل من أجلك الماضي .. قتلت مستقبلي .. كل شيء يتحزب ضدي قتلت هاديا الامين الذي كنت في نظره تشعين كالضوء المنبع .. قتلت هاديا الذي لن ينساك .. لقد شربتك حتى اعمق أعماقي .. كنت صنمي المعبود الحي اضعتني .. ضيعت نفسك من أجل متعة رجل اعتقدت أنك احببته .. متعه تبتاع بدراهم معدودة .. ما اشد دنسها من متعة .. ما أروعها من متعة ان نستلك تلك التي كنا نضعها قبل قليل بين النجوم ..)

– هل كنت منصفاً

– كنت ...

همس شريف في أذنك ... أريد أن أرد بعض جميلك .. حمدية ..

– **ماذا !**

– **نجيب داود .. يحبها .. ستزوجه .**

– لكنه لايعرف الحب .. أسرتني بذلك .. حبها عارم جنوني .

– **كنت أحبها ..**

– **أردت تنبيهك خشية أن تصدم .**

(لا تتخلى عني ياقلبي .. إلى أين تنطلق سريعا كالومضة .. علي أن ارتاح على الضفة الأخرى الموت ينتظرنا .. هذيان النجوم .. بحر الظلام .. ما أبأس من يولد ليموت ..) .. تدخل عطوة تتلكأ خجلا تخبرك ان عمتك تطلبك

يهم شريف بالنهوض : – أردت ان اعتذر ثانية عن تصرفات قيس .. ولد طيب .. يحترمك كثيراً .. يعاني من مشاكل عدة .. ازمته صعبة الحل

– لست غاضبا منه .. ما مشكلته ؟

– يحب عمشة .. تبادله الحب

– ثنائي غير مناسب

– الحب لايعرف التناسب

– ليتزوجها

– لو فعل لحلت المشكلة .. في ثورة عاطفية .. أخبرت أهلها بحبه .. جاءه أهلها يطلبون اليه أن يتزوجها .. عدّ ذلك إهانة .. قطع علاقته بها . وهو يكتوي كل يوم بألف ألف جمرة تلسعه .. مليون أفعى من الوجد واللهفة حتى أصيب بضيق في الصدر .. نصحه الاطباء بالركون إلى الهدوء

– لا أعتقد انها مشكلة .. اذا ما خف غضبه سيتزوجها .

– المشكلة الاقتصادية تحول دون تحقيق هدفه

جرس الباب .. يقرع .. يطل رأس أشعث وراء مشبك الحديد .. وجه حملته السنون كل أساها

– منسول

شاب بعمر الزهو يمد يداً مستقيمة.

– عشرة فلوس .. جوعان .

(تذكره في اغنيات الشباب كأنه مروض القضاء والقدر .. ماشأنه كان يوقف اعصار القضاء والقدر ...).

يلاحظ شريف اضطرابك : مجنون

بعث في نفسك ذكرى قديمة .. كأنك تعرفه .. ماالذي حلّ به .. كان شاباً مجداً

– أتعرف حاول والده قتله هرب من أهله .. ذهب بعيداً .. ترك أهله المدينة .. عاد بعد نزوح أهله يعمل أحياناً في غسل السيارات يستجدي يدفع كل مايحصله ثمناً لمنعه ..

– يحتاج إلى العلاج عقدة خبيثة يمكن شفاؤه .

تعيد عطرة اسطوانتها ..

– آتيك في وقت آخر لنتحدث . في شأن قيس .

– مشكلة قيس محلولة .. يعقد قرانه بها .. يتزوجها بعد أن يدبر شؤونه المالية.

– عرضت عليه هذا الحل .. رفض يقول انه لن يتزوجها
– رأي غريب
– كحبه لها
– يبدو لي انه لايحبها
– لايخلط بين الحب والزواج
قال علي المقاتل : – في هذه الشجرة ثلاثون عقدة في كل عقدة ...
ضحكت من الاعماق
غضب : – لاتسخر انظر .. سأجمع الاكياس ..سيكون عددها ثلاثين كيساً
– ألم تقلع عن هذه الغواية
– ولم ؟! هواية جميلة
– استمتع بجمال الحديقة
– آتيها من أجل المتعة .. متعتي جمع الاكياس
لوّح بواحد في وجهك ..مازال طرياً .. رائحة نتنة تفوح منه
– انت مريض بالشبق ..لابد أن اصفرار وجه ناديا بسبب شبقك .
ضربك بالكيس على وجهك .. اصابك بالغثيان .. أفرغت مافي معدتك .
– المرة الثانية سأضربك حتى الموت أنا لم أمسس ناديا أبداً لا أخلط بين الحب والجنس
– مجنون
– أردت أن أخلصها من براثن تلك المرأة ذات الرداء الجلدي والدراجة البخارية استغلتها .. .. هل فهمت .. كانت عشيقتها
– لتزوجها اذن
– قلت لك لا استطيع لأنني أحبها .. علمتها كيف تحب الرجال
– دون أن تمارس الجنس معها
– قذر .. ستتزوج من رجل يحبها .
– يبدو أنها لاتحبك

– تحبني كما أحبها .. هل فهمت .. أنت غبي لاتفهم
– ستقتلك عشيقتها
– وجدت لها عشيقة غيرها .. شقراء عذبة سأخلصها من براثن تلك اللبؤة
– أنت محارب فعلاً .. ألا تخشى بطشها.. أن تسحقك بدراجتها البخارية
عطوة اسطوانة مشروخة
جرس التلفون ينقر في قلبك .. صوت من الماضي البعيد يناديك
– أنا (عبده) .. أريد أن أراك
– لاوقت لي
– أنا في مأزق .. يجب أن أراك
(لقد وعدت .. لن أتحدث عن الماضي .. ماحاجتي إلى الهولة التي تمزق أحلام المرء .. منقاره الفولاذي يضرب في قلبي .. غسلت ماضيك معها كما يغسل الخشب الأبيض بماء النار .. بذلت سنين .. تحاول النسيان .. كم هدني النسيان .. محاني هدني . أتعبني لاأكاد أعرف شيئاً عن نفسي غير جحيمك الذي عشته سنين وسنين وعلى جلدي آثار آلامك التي خلفتها في قلبي .. أنا إنسان مجروح .. جرحني السكين جرحاً مؤلماً)
– سأنتظرك .
أعادت عطوة اسطوانتها المشروخة
جلست إلى المائدة .. أطعمة لم تألف غيرها منذ خلقت .
صادفتها في الشارع .. وجف قلبك ،معها مشتريات .. امرأة كهلة ..شحب وجهها عند مرآك تعرفت عليك المرأة
– أليس هو ؟
هزت رأسها .. حثت الخطى (ماالعمل) .. لم تجد بداً من متابعتها .. انعطفت إلى شارع آخر .. انعطفت معها .. أحست خطاك .. ارتبكت خطاها .. نظرت اليك بعيني جؤذر فيها توسل وخنوع ..لم تر عيني سالومي ..رأسك على طبق (أنا يوحنا المعمدان)

– اريد أن اكلمك ..اضطربت خطواتها .. أرجوك دعني

قالت المرأة الكهلة هنئها .. ستتزوج من ابن عمها بعد أسبوع

هزتك المفاجأة .. تباطل سحابها .. ديمة سمحة القياد

– كان علي أن أتزوج بعد أن ...

– قلنا ستتزوج

– توسلت اليك كثيراً .. لم أدع الفرصة تفلت عندما تقدم .. إنه يحبني أشرق وجهها كأنها تخلصت من عبء الثقيل .. كانت تنوء بحمله

أحنت عمتك مقعدها قبالك ... اعنت جرس التلفون ... اتهمتك بالفساد ... بعدم الاكل ... بعدم حبك لطهيها

عندما عدت من الخارج ..توسلت اليها ألا تطعمك ماتحب هي بل ماتحب أنت.. أردت أن تستمتع على الاقل بحرية الأكل

أحرقت اللحمة التي طلبتها .. حولت الخضار إلى شوربة .. لعنتك ولعنت أوربا وأكلها وناسها .. حكمت عليك (بالعلف الأنساني) هكذا تسمي طعامك المعتاد الذي تتناوله من معلفك الكبير هذا

(أي حيوان أنا – ثور .. خنزير – حرتيت .. ضبع . ذئب :. كلها أفضل مني .. على الأقل تتناول ماتريد أن تأكله)

– تزوج المرأة التي تعد لك ماتريد

بعد عودتك من الخارج توسلت اليها أن تتقاعد .. جلبت خادمة .. أعطيتها مرتبا أنقل ميزانينك ..هدأت اسبوعاً .. كل شيء مرتب .. الطعام الذي ترغب .. الهدوء الذي يسود الدار .. اقتلع الاعصار النبتة التي غرستها ... أهانت الخادم تركت الخادم العمل غير آسفة على شيء

لم تجب .. الصمت أفضل من الموت بغدارة الفم.

(الموت كلمة تطرق ذهني بقوة .. الموت .. مالموت ؟)

كنت مدعواً في شقة كلودجيلي .. صديقك الفرنسي .. حفلة رائعة .. تضم كل ماوعدت به الاعلام

همس في أذنك جربت كل شيء الا الموت .. أريد أن أموت

– أنت الذي يملك كل مايحلم به الانسان

– لأفقد كل شيء ..لأني ملت كل شيء

– اريد استبدال الوجود بالعدم لأثبت أني موجود ..لا أحس بوجودي وسط كل هذه الأشياء التي ملكتها مرغماً

– أنت عبثي

ليكن .. لم أعمل من أجل أن أكون جميلا .. غنياً .. ولدت هكذا زوجة جميلة .. أولاد يحسدهم كيوبد ..عشيقات جميلات .. ملايين مكدسة في الخزائن .. مصانع ضخمة للطائرات .. شهادات عليا في التكنولوجيا .. عضو في اكثر من نادٍ .. اخلاص .. حب .. معرفة .

استبطأته في الصباح .. قرعت باب غرفته .. لاجواب .. كسرت الباب .. كان زهرة دم .. اشتعل بدمائه .. قطع شريانا .. أحس الوجود في العدم حتى تلاشى وجوده في عدمه .. ترك اليك ورقة : لاتحزن ياصديقي .. وجدت السعادة .. في الموت .. فتش عن سعادتك .. ستجدها كما وجدتها.

فقد كلود في حيّز الوجود المادي .. لم يفقد كلود في قلبك ابداً .

(وجد سعادته .. أين أجد سعادتي ؟! الموت ؟ مستحيل لن أموت الموت سينتظر حتى أطأه بقدمي .. الموت خادم وليس سيدي .. فلينتظر .. أنا لو لم أقل الحقيقة .. لو لم أقف في وجه الباطل .. الأنسان إن لم يجع .. يتشرد .. يقتل كل يوم ألف مرة .. لما كبر العالم واتسع .. أنا لو لم أحب .. لو لم أكره .. لو لم أتعلق بأمل .. لو لم أفقد أمل .. لو لم أصعد .. أشقى .. لبقيت حيواناً مثل النار مهما ألقي اليها من أقذار فانها تحيلها إلى نار مثلها .. لأكن موسى الجديد .. صحرائي وطني.. لاأشفق على الناس إن عبروا الصحراء المالحة .. ليصرخ من يصرخ .. ليموت من

يموت ليتعذب من يتعذب .. كل انسان يجب أن يعبر الصحراء المالحة .. كل شعب).

– إذا كنت لاترغب بقريبتك تزوج ابنة عبد الرحمن : شذى .. فتاة جميلة .. مدبرة .

(تلك الجاموسة لاتختار لي إلاّ نماذج سيئة)

جاء أهلها لزيارتنا بمناسبة اختلقوها .. أغرقت في ضحك داخلي عندما رأيتها .. وجه داكن .. فستان من التفتة الحمراء .. حذاء أبيض .. جوارب لحمية شفافة .. عندما استلقت على الساقين بدت فحمية.. حقيبة خضراء .. حلي ذهبية أصداها العرق .. غنج غير مستحب .. صوت أبح.. عينان فيهما غباء .. عصور بكاملها .. قالت عمتك بعد ذهابهم .. إنها زوجه مناسبة .

عندما تشاغلت حوّلت أجهزتها الالكترونية إلى عينيها .. استمطرتهما تروي خديها المجدبين .

عددت لك أسماء عدة .. منهن المطلقات والعجائز والعوانس .. وأنت رقم صفر دائر في أرجاء الكون .. لن تقتلني ألف كلمة .. جرس الباب انقذك من المحاكمة اليومية .. اطل وجه عبده عبر مشبك الباب .. لوحة لفان كوخ فيها كل أساه ولوعته .. دعوتها للدخول امتنعت .. قدمت طلبها .. حاجتها للمال .. أنقدتها المبلغ .. اصطيدت في أحاييل خطاها كانت الهمسة الحرى قصيدة في مقلتيها .. في الضياع منبت الابداع .. في اعماقها عمق حياة وميلاد .

(لن ألعب مع البحر بعد الآن .. حللت شعر الشهب .. أطفأت الأساطير .. أنا طاؤوس ينشر ذيله لايعرف كيف يصلحه .. الكواكب خفافيش تسمرّ أنيابها إلى الابد .. بلا رداء يهدي حواسه الضالة .. أنا قمر تحولت عن طريقي .. اتجهت نحو الشمس لاحترق عبدة ستبقى عبدة إلى الأبد لماذا أفقد ماأملك ؟) !

طلب إليك البستاني عودة .

ان تدرس ابنته .. مكملة في الانكليزية .

– المدرس يستلزم مالاً وانت اعلم بحالي.

وافقت وكان لقاؤك بعيدة.. زهرة.. حب نبتت في قلبك.. زهرة رغبة.. مجبولاً برؤيتها.. ومخضوباً بخمرتها (غنت كفها الخضراء ماسحة جراح قلبي المطعون بأسهمها) .

أدرت الحاكي .. اسطوانتك المفضلة .. الديك الذهبي . حلقت مع رمسكي كورسكوف .

قلت لها : احبك

أجابت : نحن لانعرف معنى الحب وإن كنا نحسه ، نعرف الزواج :

ذكرى تؤلمك .. لم تعد ترغب في الحلم . أوقفت الحاكي .. ضغط زرّ المذياع اغنية عتيقة (يمة يايمة) .

صرخت عمتك : ماذا تتزوج عبدة ؟!

تجاوبت صرختها في ارجاء الكون الاربعة .. تلاقت مع صيحات لاتحسن السمع.. عشت في دوامة الصراخ .. طردت عمتك البستاني .. طردت عبدة .

(طردت قلبي المهجور) :

فكرت أن تستقل أن تحيا كما تريد ، جننت امام المجتمع ، امام التزاماتك .

(نزوة السلطان والطغيان تستشري على قيدي .. تغرز ظفرها المسموم في جلدي)

– أحب ابن عمي لأنه رضي أن يتزوجني ، عرف علاقتي بك .. لكنه رضي أن يتزوجني . هو أقوى من التقاليد .. أنت اضعف منها . هو جندي .. وأنت .... انني أحبه أكثر مما أحبك ، لأنه يحبني أكثر مما تحبني أنت .. أنت دعيّي .. ممثل كبير .. مهرج هكذا علمني أن أتكلم .

(أغمدت مرهف الحربة .. بوجه السيه والغربة .. سواسية لكي نحيا .. سواسية لكي نفنى) صوت شاك ينبعث من المذياع .. اصطدام الفدائيون العرب مع القوى الرجعية في معركة دامية .

امي تنتحب بشدة استشهد خالك قتل في جنين .

صمت صيفي ثقيل .. يثقبه صوت أمي .. يسيل فيه .. بحيله غربالاً يقطر الماء منه .

وقد تناقلت وكالات الانباء ان هناك المئات من القتلى والجرحى جلهم من الفدائيين والمواطنين الآمنين .

قال صديق لخالي : مات من اجل وطنه انه فخرنا ... لولاه لاحتل الصهاينة جنين بقيت جنين عربية بفضل صموده وصمود الجيش العراقي .

وقد قدمت الاقطار العربية احتجاجاً تطلب فيها ايقاف اطلاق النار .

تجمهر الطلاب حول عبد الباقي ... وجهه تفاحة طازجة : وقف اطلاق النار خطة استعمارية يريدون تسليم فلسطين للصهاينة جاءنا صوت بعيد يجلدنا في رنة محرقة بسياط قريشية ... عصا عمر صوت ابي ذر سيف علي شجاعة خالد بأس عنترة .

المدرسة حصن جنوده تلاميذ ... سيوفه عصي ... مدافعه ، ايمان متدفق .

استؤنف القتال ... جنودنا يقتلون برصاصهم .. الاسلحة الفاسدة .. الخيانة اعادة الاسرى الاسرائليين ... معهم إبنة موشي ديان .. نوري السعيد .القيادة المشتركة .. تقسيم فلسطين .. عودة

الجنود .. صيحات مشبوهة .. فلسطين قميص عثمان .. قذارة يحجبها القميص .. خيانة لايطهرها إلا الدم .. صيحات مشبوهة .. فلسطين مقسمة .. فلسطين موحدة تحت علم العدو .. صيحات مشبوهة .. مشردون .. مخيمات .. جوع .. عري .. موت .. أوبئة .. فلسطين .. فلسطين.. صيحات مشبوهة .

(ضاعت عصا عمر اختنق صوت أبي ذر .. كسر سيف علي .. انتحرت شجاعة خالد .. تلاشى بأس عنتر .. لم نعرف طريق البندقية .. قد وجدنا الحب في الموت الكريم .. في اغتراب يتجذر في الثرى .. وجهنا انكد عقماً .. وربيع القلب مات .. وشباب الساعد أمسى همهمات .. ودليل من قريش يسأل الاغراب عنا : كيف أمسى العرب الباقون من بعد ارتحال ؟!)

لكن اطلاق النار لم يتوقف وما زالت المعارك دائرة .

نظر اليك (محسن) بعينين يزورهما الموت : **انني أموت ... الرصاصة قاتلة... إثأر لي .. اقتل الخائن الذي قتلني .**

مسدسه مغمس بالدم .. متسربل برداء من دم .. نبع الحياة يتفجر في صدره ثم بتلاشي .. أمسى جثة هامدة .

(قتل محسن من أجل مبدأ قتل الملايين من أجل المبادىء الخائن لايموت من أجل مبدأ من أجل مركب زاهر .. علي أن أثأر .. لامن شرطي مسكين لا يعرف لماذا يقتل بل ممن وضع البندقية في يده).

الفدائيون .. فيتنام .. القرض الاسرائيلي .. الامبريالية الامريكية .. السد العالي .. ثورة الطلبة .. اضراب عمال النقل .. سقوط طائرة امريكية .. قطار يخرج عن سكته . أعاصير ثلجية في آلاسكا .. فيضان في الهند .. زلزال في تركيا .. غلق المدارس والجامعات في ايران .. اطلاق قمر صناعي .. تقدم صناعة الاسلحة النووية .. سفر الوفد الصناعي إلى بلغاريا .. موت راكب في طائرة تحطمت فوق جبال الألب .. مهرجان الشعر .. زواج سعاد حسني .. طلاق ارثر ميلر من زوجته الممثلة .

(فلسطين عبيرة ... رغبة سميرة ... مشعل ... قيس ... حمدية ... مسافرون استهلكتهم الشمس في القفار .. نخر الصقيع مأوانا .. بذورنا أكلها الخريف .. زهورنا قضمتها الحمير) اغنية حب مستهلكة تتجاوب في أرجاء الغرفة (عبثة عبث الغراب بها .. حمدية كلمة منقورة في الصدر .. السكرتيرية اصابها الهزال والكمد .. أكلني الشقاء .. لم يأكلني الجمد)

— ألم تسمع صوت الجرس ؟ أبو ثقة بالباب

— ليدخل

ذهبت (عطوة) .. لقد تأخرت كثيراً بسبب تأخرك

استقبلته عمتك بحرارة

— **ليتك صرت مثله حصّل على كل مايتمناه انسان قصر .. جاه .. خدمة .. زوجة سيارة .. اولاد .. نقود .**

ازعجك تلون عمتك

(من أين تعلم الناس كل هذا الزيف ؟!)

قال بروفيسور جب :ـــ من اول مهام السلطات البريطانية في الاقطار النامية قتل الاخلاقيات القديمة وبذر أخلاقيات جديدة ، مادية في الغالب ، تعلمهم كيف يحسنون ظروف معيشتهم ، محاولة افهامهم الفكر الميكافلي : الغاية تبرر الواسطة

ـ أشرقت الأنوار .. تفضل هادي في الصالة يقرأ لايحسن غير القراءة .

احتقن وجه عمتك: لم يكن يزورنا من قبل ..ايام عزّة .. بينما الآن لاينقطع عن زيارتنا لاتعجبني زياراته المتالية .. لاتنسى انه كان مسجونا .

ـ لايعيبه ذلك .

ـ انا اعرف انه سجين سابق وكفى .

عجبت من زيارته ، لايزورك الآن إلاّ لماما .. مشاغله كثيرة .. استقبلته بحرارة كما كنت تفعل .. لم يعد كما كان .. رداء من الكبر ، أبهة مصطنعة نظرة فيها تعال

ـ كان لابد أن أراك .. أنت تعلم اننا أصدقاء قبل كل شيء أعرض عليك الانضمام إلى الاتحاد الأشتراكي

ـ أنا منتم للأنسانية

ـ نحن معها .

ـ اننا نسير اذن في طريق واحد

(عاد من غير لسان .. من غير حماس .. من غير رغبة في أي شيء .. كان يتحمس لكل شيء .. أضحى جامداً ازاء كل شيء).

ـ أقول لك احترس ، صداقتي أوجبت عليّ تحذيرك .

ـ لم أفعل شيئاً .

ـ معارضتك .. قلمك .. روايتك الأخيرة التي رفضتها الرقابة أثارت عاصفة من حولك .. سألوا عن سنك .. مبادئك .. ثقافتك .. طبقتك . وقف في صفك عمال المصنع .. الكل كانوا في الطرف المضاد .

ـ لم أقل شيئاً في روايتي الأخيرة انتزعتها من واقع عصري .. من احداث خطيرة.ه أردت عرضها لمن لم يعايشها اذني أخشى أن يعيد التاريخ نفسه .

ـ يجب أن نسدل على الماضي ستار النسيان .

ـ التاريخ لاينسى وان خانه الاقلام

ـ يجب أن ينسى

ـ والعبرة من أين تحصل عليها !

ـ فيك عناد طفولي انظر إلى مستقبلك قد تصبح ذا شأن لو أقلعت عن عنادك:

ـ لاأريد غير حريتي .

ـ تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين :

ـ حريتكم ؟!

ـ أنت تعتدي على عقول الناس كتاباتك لاتستسيغها المدينة :

ـ أجد الأمر على النقيض .

ـ أنت تستهين بالامور .. احذرك

همس ابو ثقة في اذنك : انتبه لقد نضجت الثورة .

بعدساعةستقوم بمظاهرة عظيمة خذ حذرك ـ بداية ثورة..تقضي على الحاكم الشوفيني .

خرجت من المصنع اخبرك العمال بقيام مظاهرة دامية،اتصلت برئيسك .. كتبت اعلاناً بايقاف العمل اغلقت المصنع .. صديقك محمود على رأس مفرزة من الجنود سينتهي كل شي بعد ساعة .

ـ خذ حذرك ياصديقي .

ـ النصر معنا .

فخرت بصديقك زارك في الدار قريبك .. قدم لك غدّارة .

سيارة مليئة بأسلحة مهربة يوزع مافيها على الجميع كل افراد الاسرة : الجيران .. عاد للشيوخ صباهم .. يتبخترون بغداراتهم في ازقة الحي الضيقة وضعت الرشاشات في اعلى المنازل .. اكياس رمل .. تحصينات كاملة .. اخبار تتناثر .. قتلى .. جرحى .. هروب تعطل نور المدينة أزيز الرصاص .. يلعلع في كل مكان، اخبار

تتناثر .. فشلت الثورة .. قتل عدد كبير.. الجرحى لايحصون.. الرصاص يلعلع ،دخل قريبك مكفهر الوجه .

– فشلنا

– لاتيأس .

– كيف النجاة ؟

– عدم الخوف .. بدأت عقيدة لتنتهي بعقيدة .

هرب بعض اقاربك .. اختفى اخرون .. قتل البعض .. جروا .. زجوا في السجون .

قريبك حصن صامد أسعدك صموده .

(انه رجل يتحمل وزر مافعل)

دخـل دارك صديقك محمود مصبوغ الوجـه بلـون اسود لم تتعرف عليـه

– خبئني

– أين ؟

– لاأعرف إذا عثروا عليّ قتلوني

اتصلت بأعراب .. اتفقت معهم .. مبلغاً كبيراً من المال دفعت .. خرج مثلهم يفتش عن حريته في بلد مجاور .

(عاق على عمود الكهرباء مسيحاً عارياً من الحرية – إلا من حرية العقيدة.. من حرية ابداء الرأي)

– أنا أحترم الأشياء لأستهين بها أقول ماأعتقد وهذا ماتفعله شخصاتي .

– شخصياتك خيالية .

– بالعكس كلها واقعية من صُلب حياتنا .

– هراء كلامك هراء .

– أريد أن يسمع صوتي أنسان .

– أحذرك .

– الكلمة باقية .

– أنت عنيد .. تعقّل .

بوق سيارة ينبح بشدة سياره تنتظرك لتنقلك إلى المصنع .

– ارعوِ لاأريد أن تصاب بأذى :

– همس معاون المدير في اذنك خذ حذرك الرجعية تحاول ابعادك عن المصنع.

– اعرف ذلك .

– فكر في الأمر جيداً :

استقل قريبك سيارته الفارهة .. استقليت سيارة الاجرة الزرقاء العتيقة .

الفصل الثاني

الساعة التاسعة ليلا

(٩)

(لم أقل لأحدكن معي : الكل معي أصدقائي .. عمال المصنع .. معارفي .. لم أطلب من أحد أن يكون معي .. مضرّم في جليد العمر نيرانك .. وبثّ بقصر الجبارين احزانك .. يزّيف خادم السلطان لهجته .. ويغنّي الشيخ للناسين قسمته.. ليحسن غوايته .. ومحرومون قد جمعتهم المأساة ماوجدوا غير كلمات تنشها مرائرهم) .

– ألم تسمع النبأ الفاجع .

– كل الأنباء فاجعة .

– تدهورت الأخلاق والقيم ، بفقد الدين فقدنا شيمتنا العربية .. أخلاقنا . استبطأ تعليقك .. فلاذ بالصمت ، ولكن لم يطق عليه صبراً ، قال :

– منذ تزوجت رافقني المصائب ، حججت إلى بيت الله لابعد عني الشر . لم يفدني ذلك شيئاً . قال لي امام الجامع لن تتخلص من مصائبك إلاّ بالحج سبع مرات.. كل حجة تقتل مصيبة .

– يبدو أن مصائبك سبع .

– بالضبط .

– ماهي ؟

– السيارة .. الفقر .. الأولاد .. الزوجة .. أل ... أل ... أل ...

السيارة تقترب من المصنع .. سمعت دقات الساعة في ميدان شارع عام تعلن التاسعة سلم عليك الفراش .

نظر اليك رئيس المؤسسة يعيني جرذ : كيف امسيت كنت منفعلاً في الاجتماع

– لم أنفعل كنت أناقش .

– نحن في عصر لا يحسن فيه النقاش بل العمل .

– على العكس تماماً نحن في عصر لا نحسن عملاً الاّ بعد دراسته ومناقشته.

ابتسامة ثلجية ارتسمت على ثغره : ما علاقتك باستاذ (نافع)

(تجلد في الرحم حلوة الأفكار .. وخاطرة تستضيف الحياة .. وبسمة حب بسوط النّر مخبيئاً مسوخاً تآكلنا الصقيع فصرنا يباباً سنين عجاف امتنا الحياة صنعنا العدم وكل قرون الحياة انمحت وسط قفر الفكر.).

– صديق

– يحبك كثيراً كنا اليوم معاً مدعوين معاً هاجمك المرض بادر نافع للدفاع وافقناه جميعاً انت رجل طيب ومثابر ولكنك ...

(عظام الأوالي النواخر .. تخيف الخواطر .. وتنشب اظفارها في المحاجر .. ..مخافة ضوء جديد)

– يحتل الاستاذ نافع مكانة محترمة.

تجذّرت في مقعدك تفرست في الوجه المومياني الجالس قبالتك كأنه فرعوني انبعث لك في عينيه.

كنت تحمل معه منذ أمد بعيد أيام ارتدى فروة جديدة حمراء .. خضراء .. صفراء أصابك العمى الالوان تكسر وجهك في عينيه .. شربت من عفن الموت.. ترعرت في قبرك .

– نافع عامل رديء

– انه طيب .

– كان يغش في العمل .

– وشاية انه لايغش أبداً .

– رأيته بعيني يجب أن يفصل من المصنع .

– القانون في جانبه .

– رأس كبير طلب اليّ فصله .

– نحن لا نسّير من الخارج .

قدمت استقالتك تركت العمل فصل نافع زج في السجن بعد أيام من فصله بناء على تقرير قذر أعده مدير المصنع.

– شاب نزيه .

– لم اكن اعرفه من قبل .

– كان احد عمالك

– صحيح ؟!

– لمَ لم تخبرني بذلك من قبل ؟

ضُربت عصا موسى عبر بحر الصمت .. تزاحمت في النور أطياف البشر :: اصطفت على صارية الأهداف

– أهلا .. أهلا أستاذ نافع

(من العار انتتفتت في شرايني حجارة..وانتستطيل في ظهر جبني حقل جراح)

– اخبرني الان استاذ هادي انك .....

لم تستطع تحمل موت الحياة ... موت القيم .. موت عصر بأسره .

جرس العمل يغلف اذنيك بموجة صمت لايسمع فيه غير ضربات كرة نحاسية (من يمنح مأساتي جسداً .. من يمنح رأسي للرمح .. ويشيعه خلف الليل إلى مقبرة القلب .. انا اعشق حزني .. الحزن شهيد يزهر بالدم)

نهارك ينشطر في قلبك .. آميبا سرطانية .. تقابلك هذه الحشرة الملونة صباح مساء.. يضرب بعصا موسى ظهرك .. يجلدك بسوط انتهازيته .. يزرع في عينيك الصُبير سبعون معقداً تضم سبعين انساناً .. سبعين ورقة بيضاء .. ترقد بصمت على خشبة سأل احدهم لماذا وضعت القوانين ؟

أجاب الاستاذ وضعها الاسياد لتقييد العبيد.. وضعها الممتلؤن خوفاً من الجياع أوهموهم انها وضعت لحمايتهم صدقوا ما قاله الاسياد .. الاسياد لايكذبون ركع العبيد شكراً وامتناناً ..ضحك الاسياد .. شربوا أنخاب وضع القيد في أيدي العبيد ... القيد الذي وضعه العبيد أنفسهم في ايديهم .

ابتسم البعض استحساناً . كشرّ البعض الآخر .. التمعت عيون ثعلبية كشّرت انياب ذئب استدعى الاستاذ للتحقيق اسئلة كثيرة .. اجابه محددة ، أحيوا قانونهم حنّط قانونهم ومضى يدرس القانون أصوله وانواعه) .

سمعت همسة كلمة عابرة ملؤها الرجاء (لماذا يستجدون دائماً ، يستجدون المال يستجدون الهبات العمل .. والمنصب بعضهم يستجدي .. بعضهم يسرق .. بعضهم يتزوي في قعرذاته كلهم يثيرون الاشفاق مجتمعك انت نفسك ثرثي لنفسك .. إلى متى تقعي في قعر ضميرك .. في لهيب الشمس اللاحفة .

صورتك عيون .. عيون مدينتك مستجدية متوسلة .. متسائلة .. حاقدة .. عاضية مبهورة سعيدة ..

– العمل شيق

– الساعات الاضافية مرهقة

– كلنا بحاجة إلى الاجور الاضافية

– الاجور لاتكفي

– الاسعار في ارتفاع مرعب

– يسترها الله

وجهك واجهة زجاجية لمحل مقفل .. ماتت الهمهمات التهمت بعضها ..تحنطت سال دمها الأصفر .. طار في أرجاء الذاكرة .. انتحرت أصيبت بالسكتة القلبية... أكلت ذاتها الدقائق دهور تصبح فيها تخبط برجليك بحر الزمن الضائع في صمت تجذرك .. تشطرك ..

(ميسلون) حلمك المحنط .. متحف تاريخ طبيعي ترزع عينها في راحتيها وهي مكبة على عملها لاتحس التفكير الآ في مستقبل مرفّه . فكرها خزانة حديدية تحلى بقطع ذهب ومجوهرات سندات واسهم بيت اثري قديم متخم بالاثاث الفاخر خزانة ثياب ممتلئة بالفراء والجديد والثياب الموشاة بالحجر

قالت لك صديقتها (نار) فتاة متكبرة تحلم برجل غني لايهمها من يكون

– هل تحب ؟

– الحب طلسم لاتعرف كنهه لاقلب لها لاتصلح لرجل مثقف كصديقك.

– تبدو متفتحة مغتسلة بماء الفكر والمعرفة .

– من أجل المال فقط الفوز المادي هدفها الوحيد .

– كنت أظنها تصلح لصديقي .

ومضت عيناها كانت تدرك رغبتك فيها تريدها لنفسك لالصديقك أضحى وجهها واجهة محل يبيع خيبة الأمل أحست أنها تمضغ بين شدقيها كلمة (تكذب) نار عاملة مجدة لاغير لو رغبت فيها لدخلت محلاً تجارياً يبيع السعادة يغلف سلعه بغلاف ذهبي من المتعة .

أبتسمت عاملة في وجهك أشرقت عيناها : ألا تعرفني ؟!

عندما أجابها فراغ عينيك استطردت : أنا أخت بديعة .

امسكت براحتيها دهشتك .. اصطدمت بدهشتها .. ذابت كلماتها في شقوق نظرتك تساءلت هل ....؟ ومات السؤال على شفتيك

زارتك بديعة في المساء .. السماء تبكي الأرض في وهج ريح لافحة .. سيارة أجرة عتيقة شارب صدري يؤطر الزجاج الأمامي للسيارة بديعة كرة بولو، ضربها شنب مشمع الأطراف .. ترددت في فتح الباب صرخت في وجهها لماذا جئت .. لماذا فعلت هذا ؟. هل كنت في نزهة عمل ؟

– لاتنسى انني زوجة لرجل محترم من اسرة كبيرة .

– انت زوجة لكل رجال المدينة .

قبل أن تنفلت نار لتعود إلى العمل بعد فترة الاستراحة رددت بحياء هامس : أسأل

عمتك إنها تعرفنا .

صرخت عمتي مندهشة بديعة ، ألم أمنعك من دخول الدار انت امرأة غير صالحة .

ضحكت بديعة باستهتار لم تلتفت إلى الحجر الذي ألقته . سمعت عمتي صوت أخيها المبحوح من الفرحة دعيها تدخل نظرت اليه عمتي شزراً صاحت بصوت رجل : اطردها والا طردتك من الدار . سمعته يهمس في أذن بديعة موعد أتفقا عليه . كان قد أعد العدة فأعطى لزوجته مالا تشتري به سعادتها ويشتري سعادته .

لم تستطع ان ترد على نار فهي عصفور ساقط في أحبولة الشرف البرجوازي .

القاعة محصنة بأربعة جدران وسقف . العمال محاصرون بشريط يسير بسرعة معينة

همس في أذنك زميلك سامي : انها تحبك

تنظر بعيون لاترى . نار تنظر اليك بنهم

تق مثل ضفدعة . أسنانه صفراء من أثر الشهوة برغم انه يصرف عليها احتاقاً من الكولينوس .

(– أرجو أن تأتيني بما تستطيع من الكولينوس . رخيص في بيروت مفقود عندنا)

– انظر إنها تلتهمك بعينيها .. و .. لكان .. و .. يكون

– أنت هاوٍ للدمى .

– كم جمعت في قبو الذكريات .

– آلاف .

(السماء ترسل العرق يتجمع دبمة في الجسد تهطل مطراً على الأجساد تبلل الملابس .. الرؤوس تفرغ نظراتها فيك عندما خرجت عن غرفة الغاز التي تدخلها الأجساد تفقد من وزنها ماجمعته في أشهر .

همس شريف في أذنك : بشرى تساومني .

– انها رخيصة .

– قالت لي انني أدعوك على أكلة شهية تحب السندويج أم الهمبركر ؟

الدم تدفق في أذنيك .. هل قبلت الدعوة ؟

ابتسامته وازنت دورتك الدموية .. أعلم أنها لاتشتهيني .. تريد أن تدفع لي ثمناً تأباه أنت .. تعلم أنك تعزني .. سمعتك عندي أثمن من رغباتي)

(شريف يصلب كل ليلة فوق سرير الرغبة ، مسيح يعرض عليه الجسد فيأباه وهذا المتخم من الأجساد يهوذا مسربل بالرغبات .. انني أتحرق شوقاً إلى مسيح فقير محروم مقهور .. هذا المسيح الذي وجدته في اهاب شريف وكل هذه العيون الآملة التي تزرع عيونها في العمل لتحصد ثمار الأمل).

– جرب لعلك تضمها إلى قبو الذكريات .

– ألا يغضبك ذلك ؟

(القاعة امتلأت حشرجة كأنها نفق .. تولد الأشياء .. تتحلل الأشياء لايأسف الزمن بل يأسف الرجال .. كأنني ألمس وجه البارحة)

(قاعة المعمل تشكو ساحة كرة القدم . الأرجل المتخبطة بين مشجب الدمى ومنضدة العمل تركل العيون القافزة بين جزيئات اللعب ونقش الورق والسيقان البيضاء والأحذية اللامعة .. سامي يلصق وجهه بوجنة أحلام . عيناها تهضمه في غوريهما .. يفقد زمام العقل .. خطوات غاضبة صرخة مستنكرة..قنبلة تنفجر،تصيب جسد سامي شظايا تترك آثاراً دامية .

– ايتها العاهرة ايها العاهر .

تجذبه من ربطته – طلقني ، فضحتني أمام الناس .. تخونني جهراً .. أخبرتني زميلة لي قيل قليل بكل شيء .

– لم أفعل شيئاً .. انني أعمل .. أعد لعبة جديدة ...

– تصنع قُبلا ..

ساقته كنعجة في طريقها للذبح كان من اكترخوراً النعجة..أكثر احمراراً من عرف الديك) .

ارسل سوية إلى العينين .. عادت خائبة بحث في صندوق فكره المليء بالأجساد عن حركة مثيرة .. ضرب رأس الديك .. اهتز .. أعلى .. أسفل

– ماهذا ؟

– لعبة

– هل تحبين الديكة ؟

– غير المبتذلة .. إذا أردت ديكاً .. خذه :

الوجوه حولها تشرق بضحكها .. وجهة عرف ديك .. خطواته قائد مهزوم أصيب في رأسه .. أذهلته الاصابة .

همس في أذنك – فتاة متوحشة بذيئة .

(تعب النهار تذريه لمحة ذكاء .. كيف غدا تحت حوافر الرغبات منبذة .. العدل ثوب أبلتهأثواب القضاة .. يسقط البعض لأنه يسير القهقرى) داري خيبته وراء مظاهر الكبر .. بشرى تطلب شيئاً أسرع نحوها يفرز رغباته عبر الطريق اليها .. يترك آثاراً كثيفة لعل ناراً تراها فتتوحل.. ابتسامة خفيفة .. تنسحب أمام جحافل ضحكة عارمة .. جسده يهتز ..(الفجر مثقوب الأفق .. ابتسامة الشفق معصفرة .. وأنا شاهد تحت قبة السماء ان القبب المذهبة تستمد طلاءها اللماع من أعين الجياع)

(تراقصت عينا شريف في أذنك وادياً واسعاً مليئاً بالكلمات ..

– سمعتها .. توعده .. نقدها الثمن .. ليلة حمراء ..

دخل شريف غرفة الغاز عن يمينه بشرى وعن يساره يسرى .

اتوسط القضاة..حقق معه القاضي الأول تحقيقاً ذكياً.. رد الصاع صاعين..سأله سامي.. أجاب.. احمرّ عرف الديك صرخ به خطأ ..أجاب.. بل صواب.. خطأ ..صواب .. تراقصت في أرجاء الغرفة رقصة طائشة.. سألتك العيون الأربع..شريف على صواب وددت لو صرخت في عرف الديك وانت من بوأه مركز القاضي..أفقت على صوته.

– بشرى اجيبي ... اخطاء كثيرة .. اجابات تكسرت ف ق شفتيها .. شفتاها تصل المأساة أوجها تتحول إلى قهر يغمى عليها .. تحملها أيد إلى سيارة اسعاف يكشف هذيانها عن السر الذي اسره شريف في أذنيك .. يزمع سامي الانتقام من شريف .. فهو كرة بين يديه يزينه بصلبان حمراء واصغار لانهاية لها)

(يجهش فيّ شيء كالبكاء .. أنا الذي جفت على شفتيه آثار الدماء انفجرت دويدات الأرض من الضحك .. حين تهالكت فجأة عصا الملك اعمق الحزن حزن الحقيقة.. استمال شريف حجراً في ساحة عرضات يحلم بشهقة السنابل .. كقمر مشنوق يحلم بالقوافل).

أدرك في عينيك وميض الشك :

— جفّ قلمها .

— اعطها قلمك :

— ستتزوج في الاجازة .. رجلاً مرموقاً .. مدلى الكرش .

(تنطلق من السيارة الكبيرة التي تتكلم عبر البراري في يوم اجازة ثلاثون حنجرة في كل حنجرة ألف حنجرة تنطلق بسرعة ١٠٠ ميل في الثانية الواحدة .. صوت مفتاح لايجيد الغناء يغني .

(واروح للميلجي واقعد أحب إيدو واقول ياميلجي شايب وانا اريده)

تقرأ اسطراً . يشحب وجهها . غيمة صيف تجول في عينيها سرعة الريح أقوى من كثافة الماء .

— انها تشتهيك .. يغمزك شريف

— خطيبي شاب صغير .. بعمر أولادك .. لو كان لك أولاد .

بزبؤاها يقضمان السر .. أكاذيب العباد لاتحصى).

(أخشى الاغتسال بماء لايخضر ..أخشى التطهر في عهد النفاق ..البقاء حيا في اكفان العيون من حولي)

لم تجبه ..تعلم مالم يعلم انك تعلم .. تأسرك حركة منديل نوال الأبيض بين الأنف وسطح المنضدة حيث تنجز دمية لاتحسن انجازها (ذو والزجاجات القديمة يثقبون الارض بالكلمات ..انت وحدك قد سمعت غناءها ..كان اكتشافاً طيب المذاق ..زاده إلفة انني كنت جائعاً)

— يبدو أنك مصابة بالزكام

حتى الاجوبة التقليدية انزوت داخل فمها.. تركت لقدميّ تحديد المكان

— انا لااستطيع الاجابة والنظرات تأكلني.

— انني متخم.

همس سامي في أذني — انني جائع ، كيف الوصول إلى المائدة

— لقد انفضّ الضيوف ..بقايا طعام

— انني جائع.

— انها تغش في العمل

— كيف؟

— انظر ثنايا منديلها الابيض.

(يشتري الله بالصوم والصلاة وبيعة مدايئة ..)

لمحت في عينيه حرارة المدار ..اضاعت الادلة في خطها الاستوائي اسقط في يده..

أبصرت فيه طفلاً لم يولد بعد

— ماالذي تخفينه بين ساقيك؟!

تساقطت حممها في أرجاء القاعة.. العاصفة تهب بقوة.. كلمات كلمات ..تسمعها في ناد..شارع ..دار ..مذياع ..اسطوانة ..كتاب ..وانت متكيء على ألف وسادة تتسلى ..تتنزى داخل نفسك ..ربطت نفسك إلى الصاري عندما تيقنت بان الامر محال

— انهضي

سقطت تفاحة الخطيئة عبر ساقيها

— يقصد هذه ..ماذا تفعلين؟..

اسقط في يدها ..

تلقت كتاب العقوبة بأسرع مما كنا نتصور

جابهك زميلك : — يبدو أن القرار لم يحرك نفسك

— اثار فيّ عجز الانسان عن مقاومة الحياة

— انت تتحدث كشاعر هذه الاشياء لاتوجد الاّ في الكتب وفي أخيلة الشعراء

(باستطاعتي أن أخوض الحزن فقد اعتدت على هذا غير أن أبسط دقات الغطة تكسر عيني ... أترنح سكران.. أراه ذبابة يتحرك في أفق الذكرى فيجعلني أرنح وأتهاوى ؟ إن شارب الغبطة المعتدل لايستحق النبوغ).

– انبعثت من بناية المصنع أصوات نافذة تعلن عن حريقها لفظ الباب الكبير مافي جوفه من بشر اندفعت مع المندفعين .. السيارة القديمة الزرقاء تجثم عد الرصيف، استقبلك (حازم)بعينه العوراء وراء مقوده (خبر جديد)بادرك بالتحية المعتادة تناثر صوته عبر صماخك: استغفر الله .. استغفر الله .. هل سمعت الخبر ؟ امرأة أحرقت أولادها للكيد من زوجها، لابد أن الخبل قد اصابها امرأة شريفة .. عاقلة .. مدبرة ، أصابها الخبل ربطت ولديها في عمود الدار الطيني وأشعلت النار .

– ليس خبراً جديداً ، حدث قبل اسبوع ، انه الحب ، كانت تحبه فعلت ماطلب منها ، اصبحت مصدر رزقه الوحيد .. خضعت لارادة الحب عندما رأته مع غيرها انتقمت لنفسها .. انها فعلا امرأة عظيمة وشريفة هكذا بعض الرجال أقذار في صفائح ملونة أحكم سدها : سكت السائق .. أدرك ماأعني .. الصمت يقطع شوارع ضيقة مزدحمة آمنة خالية من السكان أحياناً .. أضواء.. اعلانات سينمائية .. مخازن متراصة .. لعب في واجهات المخازن .. بشرفي واجهات المقاهي يتثأبون في كسل، يدخنون .. يلعبون النرد (أين أذهب ؟ هذا العنف .. عصر الجنس.. عصر الدهشة والتغير ، فلنهرب من سيف القاتل ، من دخان الغضب .. من قصص ألف ليلة والزير وأبي زيد الهلالي .. أين أهرب ؟)

– أين آخذك .. ؟ إلى النادي ؟ .. سمعت دقات ساعة الميدان تعلن الحادية عشرة

– لماذا اعتزلت الذهاب إلى النادي ؟

– أكره المتاحف الفرعونية في الليل .

– قد تجد مبتغاك .. تحول النادي إلى معهد كبير تصدح فيه الموسيقى

– خذني الي

– النادي طبعا. حفلة ساهرة سمعت ان عددا كبيرا من المغنين قدموا لاحيائها

– لااحب النحيب

– خذني إلى الدار (لاتحلم بجنة وراء الافق والريحان يتفتح تحت نافذتك) الساعة الكبيرة تدق باب الزمن احدى عشرة دقة .. استلقيت على لاريكة ادرت الاسطوانة تبختر امامك الديك الذهبي..استقليت دخان لفافتك..ادرت (رمسكي كرسكوف) ملأ جوانب الصالة .. نقر جرس التلفون في اذنيك تلاشت غيمة الدخان سقطت على رأسك .. صوتها يأتيك من بعيد .

– اتصلت بك عدة مرات عمتك شكّت في الأمر لماذا تاخرت ..هل نسيت زجاجة الويسكي والاشياء الاخرى.. عجلْ لم أعد احتمل الوحدة.سمعتها فقط ، لم تجب ..وجه عمتك الصفري يلل من شق باب غرفتها ، عيناها تمثال غضب صرخت بك :لم استطع النوم من مرب جرس التلفون لم تجب اتجهت صوب الصالة تبعتك ..الطعام جاهز على المائدة.

– لارغبة لي في الاكل.

– ستميتك النساء.

لم تجب

– لماذا لاتجيبني كلما تحدثت اليك؟

– ليس هذا حديثاً ..انا لااحب الصراخ ..

تحول تمثال الغضب إلى تمثال لخيبة الامل: ضيعت معظم عمري و كنت اعلم أنك ستكون كذلك لتركتك وحدك منذ ماتت أمك

– ليتك فعلت !

(قال لي الطبيب : انها تحتضر ، أمراض عدة وقلبها ضعيف ربما عاشت بضعة أيام ..

انفجرت خالتك باكية : ليتك لم ترسلها إلى الحج !

– هي التي أرادت ذلك .

– كان يكفيها ست حجّات .

– التقاليد تقول : لاخير إلاّ في الحجّة السابعة .

انفجرت خالتك تحدثك بالأمر وكأنها تطلب الغفران أمام كرسي الاعتراف .

– خرجت عشاء للكعبة .. صدمها زنجي ضخم .. صدمتها دراجة هوائية .. كُسرّ الرسغ .. قدم الرجل فوق ظهرها .. دملة كبيرة (بنجة السبع) .. لم يفد الدواء الحمد لله انها وصلت .. مسكينة أضاعت حياتها .. ربحت الآخرة ..سبع حجّات.. ترملت صغيرة .. خطبها الكثير .. كنت أملها .. اعتن بها . لم تحتمل حديث خالتك تركت الغرفة .. كانت أمك تحتضر .. لم تتحمل ألم فراقها اغرقت نفسك في بحر الدموع ... لفظت انفاسها امامك وهي تودعك بعينيها فقد شلها المرض عن النطق بكلمة وداع

– لم استطع ان افعل خشيت كلام الناس.

– لماذا تحمليني اذن عبء خطأك.. حملي الناس . كلام هراء اغتال حياتك كلها.. هل تريدين ان تنتقمي مني ..ان تنتقمي لمناس في شكلي ..لست أفهم .. الاترينني غريباً عنهم، انني احتملك لامن اجل الناس انما من اجلك انت كأنسانة .. اخذت كتاباً من بين الكتب المرصوصة فوق الرفوف ،شاعر يتحدث عن حب يقطع اجساد العريا بسكاكين الشهوة (اني منذ طفولتي ابحث عن جنية نائمة في غابة.. مرآتها بحيرة ومشطها سحابة .. اني نقلتُ الحبَّ من اقبائه إلى موانيء السعادة يدق فيها قلبي كلمة الغرابة ..الملح من خلالها ديمة وغابة .. أتيه فيها وحدي مكسراً اجنحة الرتابة) .

دق جرس التلفون في رأسك (رغبة خليل)

يأتيك صوتها من بعيد من ملايين السنين الضوئية .. (ووجعي قافلة ضاعت في فم تنين ..إلى أين اذهب؟) .

الساعة الثانية عشرة ليلاً .

(١١)

الفراغ المظلم يحتويك في جنبات الشارع المقفر .. اشجار تتهامس على حفافي ذاتك. اغنية لامعنى لها دومت في راسك :تصطدم بالجسد المتلىء (رغبة خليل) تتساقط الشهوة منه فيها ..شربت كأساً او كأسين انتشرت حمرة غير محببةفوق وجنتيها .. كفها سرير دافيء جلبتهُ الجن من سبأ إلى اورشليم بأمر سليمان.. كرهت سليمان وكرهت الجن وملكة سبأ عفواً (رغبة خليل)

شرّع امرؤ القيس خنجره في رأسك راح يغني خلفها انصرفت له بصوت اكله القدم:

اذا مابكت من خلفها انصرفت له

بشـــــق وتحتـــــــي شقـــــها لم يحوّل

نظرات (رغبة خليل) في وجهه وسبحت في امواج غنائه

الساعة تعلن انتهاء يوم بداية يوم جديد. التقى عقربا الساعة في الصالة الكبيرة في دار رغبة خليل، الساعة معلقة على الحائط تعلن انتصاف الليل، ورغبة خليل معلقة بخيط الرغبة الذي يبرمه ليل شبق

قدمت لك كأساً وضعت فيه عصير شبقها.

– في صحتك.

شربت قليلاً قبل ان تسألها عن المناسبة تراقصت امام عينيك عينا شريف بقميصه الحائل وبنطاله المجهض وحذائه الذي لم يعرف التلميع.. تساوقت الدهشة من عينيك في عينيها وعينيه وعيون النفر القليل من الحاضرين

– شريف صديق طيب.

وجه شريف صحراء حمراء شفته العليا الطفلية بشنبها الكث ترقصُ رقصة (فالس) حالمة.

– لاحاجة بنا للتعارف ،اعرفه من زمن بعيد .

(شخصها العبقري يقاس في الاعلان الذي يتغذى على فمها كثير الرجال، تزرع في طريقهم المشاكل يعجزون عن حلها فيتناسلون من الشيطان ومن روح الانسان ويطلقون الصرخة ويطلقون النجدة ..فتحصد ثمار المشاكل وتنظيف الطريق تفرشها بالورود لينحدروا إلى هوة قبر من اللحم) .

دخلت كهفي (شريف)

اغلق جفنيه ..فتشت فيها خشيت ان تتيه وان تخرج من ثلاثمائة سنة فتصير الاشياء غير الاشياء طرقت الأجفان فتح عينيه خرجتْ مسرعاً سبحتُ في كلماته

– سأقص عليك الحكاية من اولها.

(انت تصبح في الاشياء :هراء ..ادخل شوك المشاكل الأبدية التي تشبه القناديل المخيفة ..أجلس على اشواكها تعذّب ..إلعق دمك.. لاوجود للسلام في العالم عليك ان تختار ولكن الوقت قد تأخر والاثمان تزداد انخفاضاً .. تستطيع ان تحصل على اشياء كثيرة بقطعة نقود مزيفة)

نظرتْ حولك عشاق الاربعين سنة العاشق رقم (٢٠) العاشق رقم (٧١)..(٧٢) ..

(وانت ترى مارقمك،اصبح وجهي قصاصة ورق صحيفة قديمة ..بلوراً مكسوراً على الارض ..كأسي كان يشربني).

– انه خطيبي شريف عامل ماهر في مصنع اللعب

– الف مبروك ياسيدتي .

(هل تصبحين شريكتي في قتل الجسد ؟انفاس شريف تحرقني).

– تأكل اعشاب صدري كحصان بذل جهده وفاته السباق وفاته الفوز .(وجهي مرسوم فوق كراسة الاوكار والليل وواجهات المحلات واوراق الصفصاف.. كآبتي تنمو غصوننا ولأحزاني يدأب ..الف شكر للتسكع تحت اقواس الغمام.. تحت ظل السنديات).

– انه يحبني

– يبدو الدهش في عينيك

– ثق مما أقول كنت دائماً في حاجة إلى الحب .

– تقصدين الرغبة .

– لاتفلسف الاشياء .

– انت تحلمين في عالم اليقظة وهذه الرغبة أما الحب فهو أعادة تركيب موقف أصلي فنحن نتخير من نحب ذلك الذي يهبنا السعادة أو الشقاء وفقاً لما تتجه نحوه ميولنا .

– دعها انها لاتفهمك

– انها تريد أن تمتلكك ان تمتلك جسدك

– أليس الحب امتلاكاً

– الحب ياسيدي عدول عن كل امتلاك انه امتزاج تخل عن وجودنا ليبعد ذلك الموجود الذي نحن ليس اياه .. الحب حرية لاننا حين نحب الآخر نحبه في صميم حريته .

– دعنا من فلسفتك أرجوك لنرقص قليلاً.

عندما شبكتك دفعتها عنك ..

– لقد اصبحت محصنة الآن أرقصي مع صيدك السمين . قالت لك عيناه اللتان تجيدان الرقص أكثر من اقدامه :

– أنا الصياد لا الفريسة .. همست في أذنه وانت تهم في الخروج لايهب الأنسان ذاته لمن يحب إلاّ ليقرأ في عينيه ذلك الحب الذي يلهمه اياه .

اردت أن تهرب من علبة السردين تلك لم ترد يوماً أن تؤكل كقطعة لحم أو قطعة حلوى .. أو مقبلات لفتح الشهية لابد أن (رغبة خليل) فكرت بانها وضعتك في مأزق أرادت أن تفاجئك .. لم تفاجأ لانك لم تخسر شيئاً ، بل ربحت ، ولايمكن للانسان أن يربح في هذا العالم إلاّ إذا رضي في البداية بالخسارة ..لقد صدق(بيرون) عندما أكد أنّ حب الرجل منفصل من حياته ، وحب المرأة صميم حياتها .

احتواك الشارع بظلمته استقليت سيارة كبيرة .. قدّم اليك الجابي بطاقة لم يقبل ثمنها.

م/١٩/أ. ز. ج

النفت صوب الدافع تراقصت عيناه في عينيك ..سالت الدهشة على وجهك ضمها في كأس وشربها دفعة واحدة .

– أردت أن أحدثك في الموضوع

– ولماذا تضع نفسك موضع المذنب لست مسؤولا عن شيء

– أعلم أنها عشيقتك وانها تحبك .

– من قال لك ذلك ؟

– اخبرتني بكل شيء.. طلبت منها الحقيقة فافرغتها في قلبي .(الحقيقة ماتت منذ وجد آدم)ء لذتّ بالصمت أمرأة عجفاء ترتدي ثياباً يرتديها صلّ أفعى كان رجل عجوز يكلم شاباً قائلا له : لن أدعك ، سأقدمك إلى المحكمة .. فعلت بابني كنا واثقين منك لانك خطيبها لم تصدق أعيننا كنا ضربناها حتى اعترفت إنك الفاعل والآن تتركها يانذل ؟

– متى تعرفت عليها ؟؟

– منذ بضعة أشهر .

– أين ؟

– في دار ...

شدك الاندهاش بألف سلسلة حديدية ورماك حتى قعر الزمهرير

- لابد ان تتزوجها . لابد .. لابد ..

– كان ابي قد اعطاني ديناراً اشترى به خمراً ومزةً.

ذهبت إلى دار (سعاد) كانت قد دعتني .. لم أرغب بها ، كنت اعلم انها تعرض في محلها عينات جيدة عندما لوحت بها بالدينار وجدت نفسي فوق سريراً اغطي جسداً بضاً ممتلئا . عندما يهطل المطر لم ترتو الارض استنجدت غيماتي مطراً اغزر اوصلتني الدار بسيارتها انقطعت عن (سعاد) وتحوّل دارها الصغير إلى سرير وثير يضمني .

قال آخر – السلطات الرجعية قتلت مليون لاجيء فلسطيني .

أردف العجوز – لقد فعلت بها ، لابد ان تسترها.

قال آخر – المطر قليل هذه السنة سيجدب الزرع وتموت الأرض.

– أحببتها وجدت فيها كل الحنان الذي فقدته في اسرتي علمتنا ان الحب يغسل كل خطيئة .

– هل تحبها حقاً .

– أنني اشفق عليها ؟ .

قال آخر – سيعدم قاتل زوجته واولاده في ساحة (باب الطرب) فجر الغد .

اجاب راكب على تعليق زميله : كان يصريخ زعيم الفدائيين رائعاً .. قتل الفدائيون آلافا من الرجعيين القتلة .

قال رجل لزميله – طلب مدرس الرياضة حذاءً مطاطياً اقترضت المبلغ حتى اشتري لابني هذا الحذاء .

– انها تعيلني .

– لم تكن كسولاً لقد تغيرت كثيراً .

– فتحت امامي دنيا جديدة ، طعاما لذيذاً انواع الخمور ، جسداً بضاً نزهات كل الأشياء التي كنت أحلم بها.

اردف الرجل – ظهر أنه غير مجنون كان دائم الخصام مع زوجته ، يقال انه قتلها ليستولي على ثروتها .

اردف العجوز – لابد ان تتزوجها والا قتلناكما معاً.

اجاب آخر – الأقطار العربية استنكرت الاحداث .

– هل يعلم والدك بالأمر.

– ولماذا يعلم ؟ سنتزوج وسيعلم بعد ذلك.

قالت الزوجة – والده يحصل على نصف دينار يومياً لاتكفي لاعالتنا ، اشتغل في لّف الورق لمساعدته ، كدّه العمل وكثرة الأولاد .

قال الرجل – وزنة الشعير بنصف دينار .

أجاب آخر : — ارتفعت الأسعار بشكل عجيب .
قال العجوز — عد إلى خطيبتك اذن
قال الرجل — فزعت ابنته وارادت ابعاده عن أمها اشتد غضبه وطعنها بالسكين ودار على اولاده واحداً واحداً يقتلهم ويقطعهم :
— اريد ان اتحدث اليك لاأستطيع العودة الآن.
قالت امرأة للزوجة : أليس لديك ولد كبير يساعد أباه ؟
اردف العجوز بخنق — كيف فعلتها .. اتريد ان تتبرى من ولدك ؟
— اريد ان اقول لك شيئا واحداً : حذار من الشبق .
ان كنت تحبها فعلاً فعد ، انها امرأة حنون والاّ فلا تعد أبداً :
— انني احبها ولكن ..
آجاب اخر — يقال ان بعض أولاده نجو من القتل .
قالت الزوجة — عندنا ابنة كبيرة سيزوجها والدها من صديقه :
استنكرت المرأة — بعمر ابيها ؟ اعزب ؟
استغربت الزوجة تقصدين فارق السن ؟
— لم يعد للزمن الخارجي أهمية..الزمن النفس احساسها بفتوتها لايقل عن احساسك بفتوتك فانتما في سن واحدة
— لم أقصد هذا ولكن ...
قال راكب — يقال ان القتال سيتوقف والاّ ستتدخل الدول الكبرى ؟
اجابه آخر — الدول الكبرى اكذوبة كبيرة.
اردفت الزوجه : لقد تزوج ثلاثا وابني الرابعة .
قال راكب — البيض مفقود في السوق البيضة الواحدة بخمسين فلساً وفي اماكن اخرى يباع البيض على ارصفة الشوارع .
— تقصد ماضيها من منابلا ماض ؟
— ابداً ليس هذا قصدي .
اكد الرجل — تدخل الدول الكبرى اكذوبة كبرى ؟
قالت المرأة وكيف رضيت ان تزوجي ابنتك من رجل كهذا؟

اجابت الزوجة : غني ، كل امرأة في دار ، ومخزن كبير يبيع فيه كل ماتشتهي النفس من طعام وشراب .
قالت المرأة — لماذا لايساعدكم اذن ؟
— تقصد الفرق الطبقي بينكما ؟
— ليس هذا قصدي ولكن ..
اجابت الزوجة : انه لايبخل بمساعدتنا .
قال العجوز لاتتزوجها ايها النذل ؟!
قال آخر : والشاى مفقود ايضاً وسكر المكعبات .. (بعد وين عيش وشوف) !
أردف الرجل : ستتدخل روسيا سترى الم تتدخل في حادثة القناة ؟
— لماذا لاتفصح عن قصدك ؟
— أنني في حيرة من أمري:أحبها أحياناً،امقتها..أشتهيها لاأشتهيها..لااعرف شيئا
قال العجوز بتصميم : سترى ، سيهدد، اخوها دمك :
قالت الزوجة — انه على عجل سنزفها اليه بعد أن يكمل جهاز العرس.
— اخشى أنك تفكر في اموالها.
قال آخر — هرب الولد الكبير وجاءت طعنة الأوسط بسيطة وكان الطفل الرضيع نائماً .
— أنت لاتفهمني .
قال راكب بتلذذ — ستكون فرجة رائعة .. كل عشر سنوات نحضى بمشنوق هل رأيت لسانه عندما يتدلى ؟
تدليت من الباص سقطت فوق رصيف الشارع يتبعك شريف بخطواته القصيرة السريعة دلفت فندق من الدرجة الأولى اشتريت زجاجة وسكي واشياء أخرى ساقا شريف تتبعانك (لابد أنه آصيب بمرض الكساح في صغره) عمتك تمقته بشدة تكره الفقراء بقدر مانحبهم انت صوته يتدفق كطلقات غدارة الشارب التتري الكث يطل من فوق رأس شريف في عينيه خبث لم تعهده من قبل (انني اراه أني ذهبت) شاربه يؤكد فعل شفتيه في كل عضوٍ راعشٍ من فيه .. عذابه يندمج في النار العاتية : وجدتني بعضاً منها . لهاثهٌ يغور في صدره كلهاث امرأة فقدت

العقل ولم يتبق منها غير جسد يحترق (لماذا يتبعني الحب ؟ شيء من الموت شيء من الحياة شيء من الشهوة شيء من البغض) احتوتك عيناه مازال شاربه يرتجف .

اجابك شريف عندما سألته ان في حياته سراً كبيراً .

– انه سرٌ ضخم لايريد أن يكشف عنه كأنه يريد أن يدفنه في جلده تماماً كما يريد أن يدفن جلده في التراب .

– اريد أن اقول لك شيئاً لانني واثق من انك ستجد له حلاً . حمل دخان سكارته فوق بساط سليمان .

(قضيت عمري باحثاً عن الأزمات كانت انسانيتي رافضة أرفض زمن القتل أرفض زمن الخيبة أرفض اليأس ،مازال شاربه الكث يحمل نظراته المشوشة المبتورة فكأنه يريد ان يقتلك بطلقات عينيه . جاءك صوت شريف الهامس لماذا لم تحبها، وصوته المتبور: لم اعد ادر شيئا .

اجتزت دوامة الكلمات الهامسة فقدت الأمل في صلاحة (أرفض الأمل)

تبعتك الخطوات السريعة سمعتها مشوشة فوق الرصيف وطلقات العينين مصوبة إلى ظهرك من فوق الشارب النتري (اتق شر من أحسنت اليه)

لم تؤمن ابداً بصدق هذا القول ولكن الحياة تريد مقارعتك رفضت دائما كل ما يتغنى به من حكم عفى عليها الزمن وامثال أضحت ارضاً للأغنياء وسماءً للفقراء.

صوت شريف ينتشلك : انا اعلم مقدار حبها لك ولكنها دائما تظهر غير مايتبطن (ان تقبل العيش صامتاً في عصر الظلم فانت حارس الظلم ولكن الطرق لكن تؤدي إلى المجزرة فأين تولي وجهك ؟)

أردت أن تخفف من أسى شريف في يوم فرحة (هؤلاء المشغولون بقضيتهم يحملون عاطفة رهيبة تلتهمهم من الداخل والخارج ومن جميع الأتجاهات).

استأذنك شريف رغبة في عينيه تطلب البقاء معك .المطر والتراب الجاف يحولان الاشياء في ناظريك صوراً باهته تزين صفحات مجلات قديمة تباع على أرصفة

الشارع بعد ان ينزع عنها البائع غلافها الملون. خطواتك تقترب تحس ان عالماً مجهولاً يقترب منك يفصله عنك جسر من زجاج اندفعت اجتزت الجسر الزجاجي احتضنك عالم شاسع ميهم سيده ظلام كثيف يضربك بسوط لسان أمرأة مهشمة: اهلاً لقد تأخرت كم أنا مشتاقة اليك . لم ترد الاستسلام لانك كنت تعلم انك ستحلم بسبع بقرات عجاف ذوات خوار حزين ترعى في حقل بلاعشب وستكرن السماء سقفا من الأسمنت مطلياً بلون رداء الملائكة تنغرس فيك انياب الذئاب بسائل بني لزج .

احتوتك بين ذراعيها نزعت عنك معطف المطر ارتشفت ذرات المطر من فوق شعرك ارتشفتك مرة واحدة (انا سيف وعباءة تلاعبها الريح وجواد يعدو فوق رمال الصحارى)

الأشجار عبر النافذة نجوم خضراء متلالئة لاتدري أتضحك في وجهك أم تبتسق.

(قلبي يطرق باباً مغلقاً همومي أطفال حزن هرم الليل وسادة صلبة تكره المتعبين، القمر الشاحب وجه ساخر يخرج لك لسانه)

صوتها مفعم بالعذوبة والشجن يتلاقى فيه الريح والمطر والحنان العارم اغنية الحاكي تصعد وتبوح بالعذاب المرّالذي يتبقى أثر اندثار الحب أصابع عديدة فكانت ملكك لمستك باشتهاء كما خنقت بغضب ومحت قدسيّة الزواج كما مزقت ورقةالعقد في نسغ الحب بحثت عن الحقيقة في نفسك في نفسها في كل ماحولك (اين تكمن الحقيقة)

اننا نتشدق بها لانعرفها واحياناً نكذب بلسانها بقع سوداء تملأ صفحة عمري لم تحظ بعد بتجربة الارادة بحرية الأختيار انك تسعى وراء الحرية لتحقق وجودك ووجودك يغوص عميقاً في بركة رمال متحركة تبتلعا حريتك .

استفزك صوتها الميحوح وأنت تصطاد نجوماً . جرحك يصرخ في داخلك (ليت الجرح لايصرخ)

اشرقت شمس غضبك دفعتها بعيداً عنك (الليل شعر امرأة لم يتوسده رجل ، الليل افعى تسعى متغلغلة في جحيم غضبك)

– لم تعد تريدني

– لااطلب شيئاً غير حريتي

– لابد أنك فقدت مشاعرك نحوي

أمسكت بك بقوة هرست انفك تحشر جت كأنك في غرفة غاز يعدم فيها انسان بريء .وجدت نفسك رغماً عنك دمية بين يديها .حملني مركبها إلى شاطىء مليء بالصخور. صوت يملأ أذنيك يناديني .يولسيس بكثير من الحنان وانت مرفأي لاتجيب، يبحر مركبه ويلوح بيده لمسافرين شاحبي الوجوه .اندفعت نحو الباب كان الباب جزءاً من سور الصين يطوق منافذ نفسك يقفز عبره الرجال والخيول والسيوف الفولاذية تهدّم السور مع فتحك للباب اندفعت خارجاً وصوت اللعنات يتقاذفك غير ان السور تهدم الآن ّفظل الباب مفتوحاً .

أنا تائه سائر جئت قبل الطريق أخلق للريح صدراً وخاصرة واسند قامتي عليها أخلق وجهاً للرفض واقارن بينه وبين وجهي اتخذ من الغيوم عربتي وأغتسل بجدائل الظلام لاأجد من أحب لاأجد من يحبني هل كثير إذن أيها الموت أن أحب نفسي وان أحبك أمد يدي أخلق من أصابعي دروبي أفجرّ نبعاً لايرويني . اناكسفينة بلاشراع أخلق مناخاً يتلاقى فيه الجحيم والجنة اخترع شياطين وأدخل معهاني السباق أراهنها تغلبني أغلبها تحطمني تمنحني عبر خطاي الطرق المتساقط اعياءّ فوق قارعة الألم . استنجد بالمصلوب بالمنفي في خيمة عبر الصحراء يموت وحيداً يكفن في ثوبه البالي وهو يصلي يشخص بعينيه إلى السماء تتساقط حمم الرب دع مالقيصر لقيصر ومالله لله. نزعت تاج قيصر مرغته بالوحل ضربك بالسوط على قفاك هرولت مستنجداً بالله أسقطك من جنته تحمي عبر خطاي الطرق . لم يقابلك المسيح لم يقابلك ابوذر وجهك في وجه تيمورلنك هولاكو جميع شوارب التتر الكثة أمسك بك بصق لسانه في وجهك براكينه لم تشعلك.

انت انت انت انت بحثت عن أنت عن انا عن نحن لم تجد غير صحراء التتار أراد أن يضربك شحب وجهه اهتزّ كفه أجثهن في البكاء

السماء تبكي صباح عيد تحدث عنه المتنبي طويلاً . عبر مشبك الباب الحديدي

تراقص شاربه التيموري على نغمات موسيقى شفتية رسم وجهك صورة دهشة سرعان ماانزلتها وعلقت مكانها ابتسامة عريضة ...

– ايامك سعيدة .

– بللك المطر . استلقى فوق كرسي أخضر عانق جسدهُ . عيناه حكاية حب طويلة ، قطعة سكر ذوبّ عذوبتها .

– كان قصدي في المصنع أن اغيظك لكنني .. كانت قطيعة طويلة .

إنني أجلك.الساعات نحرت في الثواني.الحديث يتقطع بين الصمت والثرثرة كانت موسيقى الحزن تنشد بضراوة محاولة أن تكون طوقان رمادو الساعات تقتلها الثواني ومدية الليل يدت تنغمس في قلب النهار تساقطت العتمة كثلج أسود ضحكت النجوم عبر عباءتها ، الغيمة البيضاء وصوته وحيد بلا كلمات حزنه ينساب في الشرايين يحول الدم إلى عطر أسود

– أريد أن أقول لك شيئاً .

– انني صديقك هناك شيء مافي داخلك يقلقك بح به اطرده من داخلك .

– انني انني انني وانهمرت سحاباته مطراً وتوقف القلب عن الخفقان أردت أن تقول له انك تعرف سره .

– سرٌ رهيب يقطعني .

– متى مافتحنا قمقم الأسرار تخلصنا من تصال أنفسنا .

– انني انني انني وأحكم سد القمقم وبقيت الة نصال تقطعه .

– انني اعرف كل شيء . ارتفع صوت فيروز القضب الساطع آتٍ وأنا كلي ايمان) وهب الغضب صفق الباب وراءه وعيناه في عينيكَ ينتحب في نحوريهما أسى يمتزج بسحر الغموض)

استطعت قتل القنفذ الباكي في دمي(احب أن القى في عتمة الاشياء في سرها أحب ان أستبطن الخلق، لمن يفتح الضجر شباك عينيه ويحفر فوق ضلوعي طريقه لم الموت يوغل مليء كياني ويربط كياني ويربط عمري في خفق الثواني)

ابتعدت خطواته شاربه التيموري ، نفسه التي تقطعها المدى (ابحث عن معنى أبحث عن نفسي تقول لي أن أهدم الدنيا تقول لي أن أفني الدنيا أبحث في نفسي في صبوتي عن الغد الأجمل والأغنى)

ابتلعت أقدامك كل الطرق سرت قرب النهر بخطوات غير منظورة (أين أذهب ، أريد أن أجثو أن أصلي للبومة المكسورة الجناح للرياح أريد أن أصلي للموت للوباء أريد أن اصلي لكل شيء يجهل الصلاة انا مرثية الأيام ، الضياع غربة نفسي تجتاز الأسوار بين غناء الرفض وزئير النار عطركمطاط يحترق فجرك وطواط يبكي غير الفاجعة لاتلدين غير الحزون لاترضعين هوذا سيدك ياخادمةهاتي له قهوة عدن هيئي له سريره وانا سيد الرفض انني ارتجف في اهدابي لمع التين الشوكي من ضجري مزمار الموت)

وجهاً لوجه أمام سيدك الخضر وضع كفه على رأسك.

— من أين أتيت

— من حيث سيأتي البشر .

— من شق الضجر؟

— من كهف سأم

— أبارك فيك السأم ابارك فيك قلق الانسان

— من أنت ؟

— أنا قبة تزار وانا سوّاح في أرجاء العالم الفسيح .

— أنت الخضر ؟!. عبر النهر خطوتين وذهب بعيداً في الأفق

الباب يطرق .. موسيقى الطرقات تجتذبك عباءة مخططة لحية عانق السواد فيها البياض نظرات تسورك تجذبك نحو العينين تمشي فوق شعاع رصيف العينين تدخل محجريهما تقذفك إلى شرايين القلب .

— صدقة لله

ترتجف يغشى عليك تفيق لاتجد غير ثياب أمك السوداء وصوت جدتك الحنون تصرخ مستنجدة بالعباءة المخططة .. تهمس.جدتك لأتفه لاحد لقد ظهر عليك

الخضر عليه السلام.أرقدك الخضر سنيناً في فراش المرض تجد في حجر أمك أحلام مهدك تصيح بها كلما توقفت ركبتاها عن الدوران ،قولي: الله .. الله

قال لها الطبيب : أذهبي به إلى الدار إنه ميت هل أنسج له رئة جديدة لقد تمزقت رئتيه .

بكت أمي طفلها الوحيد زوجها البعيد الذي لم يعد ليصنع اطفالاً لقد سئم البكاء .. كل طفل في حفرة ، اقحوانة وحيدة تنبت في جفاف التراب إثر ربيع مخصب وما أقل الأخصاب قالوا لها اذهبي به إلى أم الشهيد إلى العذراء لعلها تعطف على وحيدك بعد أن ذاقت حرقة الثكل. المسيح المصلوب جرعات ألم غير متناه بين يدي أمه وجهها جامد لايحسن البكاء ، الرجل على الصليب طفل المغارة عينان باكيتان لاتحسنان البكاء .

— أمه مريم عينان تبكيان مثلي . همست جدتي في أذني أمك قديسة ظهرت عليها العذراء قالت لها سمعت نشيجك لادواء عندي يشفيه اذهبي به إلى القديسة بربارة وحدها تشفيه وحدها قادرة على نسج رئتيه فهي لاتفارق نولها في انتظار من لايأتي تنسج له قميصاً لن يلبسه ابداً . سنة مضت والقديسة بربارة مشغولة في نسيج الثوب الذي لن يأتي ، عيد بربارة نسيج رجال على سفحة تل ، الكل يحمل في يده زجاجة عرق حيث يحلم الأطفال بالحلوى والخبز الأبيض والبيض المعصفر بالعنبة ورفي هدأة الليل صدح صوتها في جنبات الزمكان .. لقد استجبت لك .. صبرتي صبري.. حزنت حزني .. طوبى للحزانى لأنهم يغسلون أدران البشر .. اسقه حليب أتان. وفي الصباح جرعتك حليب الأتان ..وفي اليوم التالي صحوت من غيبوبتك وبعد أيام أردت أن تلعب مع أطفال القرية ، منعهم أهلهم عنك .. بكيت .. صمت .. لم تعد تعرف معنى البكاء .. تعلمت معنى الوحدة .. عدت إلى أهلك لم يصدقوا أنك شفيت .. ارتاع الأطفال منك والصبيان .. اعلموهم بالمعجزة التفوا حولك.. فهمت أن الخطيئة جذر الأنسان .. وان الحياة جميلة مهما أجدبت .

خطواتك حيرى.. الدار .. الدار .. دار سعاد .. النادي .. السينما خير ملاذ للحيارى...

الباب الحديدي اغلق مزلاجه .. الفئران تضحك في داخلها بأفوه غيرها .. تبكي الحزانى تقاتل بسيف دونكشوت .. تقبل أفواه الهواء خطواتك تدفعك نحو الدار (لاأحلام توقظنا .. يوقظنا موت الأحلام .. اليقظة غاب يحترق.. تحبها الرغبة رمادا) احتونك غرفتك .. فم يردد برتابة مملة .. الفدائيون .. حرق .. قتل .. القوى الرجعية .. قتل .. الف قتيل .. حرق خيام اللاجئين.. وددت لو تكتم هذا الصوت... فلم يليد يردد قصة حب مضى عليها الزمن وجه مأبون صورة عامر .. افلامنا لاتعرف معنى الحياة.. تحسن كحل العيون وهز الأرداف.. اغلقت التلفزيون .. جرس المسرة لايكف عن الطرق ادرت المذياع .. الفدائيون .. القوى الرجعية اسرائيل ، الف قتيل .. حرق خيام اللاجئين (السقف فوق جبهتي أخاف ان ينهار) تطلعت إلى الصور المعلقة على الجدار المسيح المصلوب .. أبا ذر المنفي .. فان كوخ مقطوع الأذن شمساً خريفية باهتة .. وجوهاً معوجة هكذا رسم الكريكو .. كان في نظره ضعف في يده قوة .. على الجدار لوحات رسمت باحرف من نار (تمنيت لو يسقط الجدار .. كل الجدران وتطير بعيداً كنجم لايخبو .. كوجه لايخشع للقمر .. ولا للشمس تحتضن الأرض الخفيفة .. تطلعت عبر النافذة شوق ممتلىء بقودك الى السير حيث اللانهاية ضباب باهت كالقمر ينسكب في البرد على عالم جامد خاو .. أدرت اسطوانتك المفضلة .. الديك الذهبي .. أحسست بالوحدة .. وحدة البذرة الأمينة .. وحدة ساكن في بؤرة الحياة .. وجهك نار يحرق أرض النجوم الأليفة.. (القدم تضرب خاصرة الحلم .. الأسى وحده كلمة السر سامشي كحلم حققته اليقظة .. في النهار أحلم بالظل وفي الليل أعانقه وأغفو) وجدتني على فننة .. أصيح بالمخدرين بترانيم ام كلثوم وكل المغنين الكاذبين ..بكل مقامات ابراهيم الموصلي وولده اسحق .. من معبد إلى سيد درويش وتلميذه عبد الوهاب :: افيقوا من افيون النغمة من رغبة الجسد .. جياع كلنا إلى الجسد .. عطاش إلى عصارة الروح .. دفعتني المئذنة إلى قية .. وانا كتمور ... دمائي نجاة من القحط وجسدي وليمة للمحيين.. سلت ماءاً عسلا اليوم عاش صاحبي.. نفسي.. عينان نجمتان ...

ضعت رميت وجهي للغبار.. رأيت في نهاية الطريق صرخت.. صرخ معي الطريق... ماأجمل ان اضيع ممتلئا بالنار .. نبشت اوراقي.. شهادة كبيرة مزقتها.. صورة... خط جميل درجة عالية توقيع ضخم . تطايرت قصاصاتها عبر النافذة عباءة مهيبة قلنسوة كبيرة .. و قوف بين أيد ضخام وعقول كبار مشاهدون مفتونون .. مصور آلة تسجيل ..

(وانا شيد الاشباح اضربها واسوقها بدمي حنجرتي.. أول النهار أنا وآخر من يأتي اضيع وجهي على فوهة البرق وافول للحلم اديكون خبزي أغسل فروة الأرض .. أرفع الفراشة ببرقاً واكتب عليه ثروتي) (١) اذياع يدوي .. الفدائيون .. القوى الرجعية .. اللاجئون .. الخيام المشتعلة .. القتلى . تناولت ورقة كتبت فرق اديمها وداعا ياعمتي .. اذا سألت عني فأنني شهيد برصاص قومي ...الباب تلفظك، الشوارع تسوقها امامك قطيع ثيران .. صوت الفدائي يناديك .. البندقية وجودك الوحيد (الأشجار تهجر الصمت .. تبكي الهها القديم .. الاوزق على الجسد العروق كساؤها الوحيد .. الأشجار تبكي الهها القديم أنه لم يمت بعد ،ذراعه غيمة في افق الصمت رصاصة في سماء الثورة) جثث الخطى صوب المحطة.. واغنية عتيقة تدوم في رأسك (ماالذل دلوني) .

ولكنك كنت تعرف الطريق جيداً ولاتحتاج إلى دليل وساعة المحطة تعلن الثالثة ثلاث ساعات مضت من يوم جديد فيه ساعات كثر حبالى بثورة تشرق في افق وطنك الذي قارع الظلام دائما ولم يستكن ابدا لظالم او مستعمر او عمل .

شباط ١٩٦٨

(١) قد ترد بعض الفقرات والجمل الشعرية لشعر حوته الذاكرة وامحى منها اسم قائله وضعت بين اقواس في اطار المونولوج عبر الرواية .

المقدمة ٣
القسم الأول : ... ...
انسان الزمن الجديد ٥
الفصل الأول — الوصول واستمرارية الرحيل ٧
(١) أميرة ٧
(١) هادي ٩
(٣) شريف ١٢
الفصل الثاني — الشاطيء الذي طردت منه حواء ١٤
أميرة ١٤
الفصل الثالث — الملاك الذي استحال شيطانا عندما طرد من الفردوس ... ٢٢
زبالة ٢٢
شريف ٢٥
الفصل الرابع — الوصول الى بحر الاحزان شريعة الوجود ٢٥
الفصل الخامس — الضياع في اتلانتد ٤٢
هادي ٤٢
الفصل السادس — العودة إلى ارض الميعاد بلا معياد ٥٨
ثامر ٥٨
الفصل السابع : عندما وجدنا الرضا ٨٩
(١) أميره ٨٩
(٢) شريف ١٠٤
(٣) زبالة ١١٠
(٤) خبر ١١٨

القسم الثاني :

	من الذي يأتي؟	١١٩
الفصل الأول	(١) الساعة السابعة...	١٢١
الفصل الثاني	(٢) الساعة السابعة والنصف	١٣٧
الفصل الثالث	(٣) الساعة الثامنة	١٦١
الفصل الرابع	(٤) الساعة الثانية عشرة	١٩٥
الفصل الخامس	(٥) الساعة الثانية	٢٠٥
الفصل السادس	(٦) الساعة الثانية والثلث	٢٢٥
الفصل السابع	(٧) الساعة السادسة	٢٤٠
الفصل الثامن	(٨) الساعة السابعة والنصف مساءاً...	٢٤٩
الفصل التاسع	(٩) الساعة التاسعة...	٢٧٤
الفصل العاشر	(١٠) الساعة الحادية عشرة	٢٨٤
الفصل الحادي عشر	(١١) الساعة الثانية عشرة ليلاً	٢٨٧

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (١١٠١) لسنة ١٩٨١